الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية في الروايتين العراقيتين

ما بعد الاحتلال "الحفيدة الأميركية" و"عجائب بغداد": دراسة

(نسخة منقحة)

(أطروحة جامعية تم تقديمها إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها)

قدمها

صديق م.بي

تحت إشراف

الدكتور زين الدين بي.تي

الأستاذ المشارك، قسم العربية، جامعة كاليكوت

قسم البحوث والدراسات العربية

كلية تونجان الحكومية، تيرور

جامعة كاليكوت

كيرالا - الهند

2025

المحتويات

الأبواب والفصول **رقم الصفحة**

المحتويات 2

مقدمة البحث 10

التمهيد: 10

تحليل العنوان 12

دوافع اختيار الموضوع 14

منهج البحث 15

مشكلة البحث وأسئلته 16

أهداف البحث 17

الدراسات السابقة 17

الصعوبات التي واجهها الباحث 19

خطة البحث 20

كلمة الشكر 23

الباب الأول: تطور الرواية العربية في العراق 25

الفصل الأول: العراق والأدب العربي 26

العراق وأهميته بين الدول العربية 26

العراق وصلته بالثقافة والآداب والفنون..... 27

الفصل الثاني: الأدب الروائي في العراق 31

نشأة الرواية ومراحل تطورها في العراق..... 31

الأعمال الناضجة في الرواية العراقية..... 37

الرواية النسوية..... 38

الحرب في الرواية النسوية العراقية..... 41

الفصل الثالث: الرواية العراقية ما بعد الاحتلال 44

احتلال الولايات المتحدة للعراق..... 44

ظهور الروايات ذات الهوية الجديدة..... 45

واقع الرواية العراقية المعاصرة..... 52

مضامين الروايات الجديدة..... 53

الباب الثاني: رواية "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي 58

الفصل الأول: إنعام كجه جي و آثارها الأدبية..... 59

إنعام كجه جي..... 59

إسهاماتها الأدبية..... 60

الكتب والمجموعة القصصية..... 62

المقالات..... 64

التجربة الكتابية..... 68

ملخص الروايات..... 71

"سواقي القلوب"..... 71

"طشاري"..... 72

"النبيذة"..... 73

"صيف سويسري" 75

الفصل الثاني : "الحفيدة الأميركية" 76

أحداث الرواية 79

المرحلة الأولى: ما قبل الهجرة وأثنائها/ مرحلة الطفولة 82

المرحلة الثانية: ما بعد الهجرة/ مرحلة الحرب 87

المرحلة الثالثة :ما بعد الهجرة / مرحلة الرحيل النهائي عن العراق 96

الفصل الثالث: الكتابة النسوية في" الحفيدة الأميركية" 99

خصائص الكتابة النسوية في الحفيدة الأميركية 99

1 - إسناد البطولة للمرأة 99

2 - كسر الطابوهات 107

3- اللغة النسوية 113

الفصل الرابع: سمات الشخصية الرئيسية 115

1. الهجنة الثقافية 115

ملامح الهجنة في البطلة 115

2. القلق والاضطرابات 119

3. الحب 124

الباب الثالث: رواية "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم 128

الفصل الأول: وارد بدر السالم وإسهاماته الأدبية 129

وارد بدر السالم 129

إسهاماته الأدبية 130

كتابه في أدب الرحلة: "الهندوس يطرقون باب السماء" 134

الفصل الثاني: ملخص الروايات 137

"المخطوفة" 137

"صانع الحوريات" 137

"بنات لالش" 138

"حوريات الجبل" 139

"شظية في مكان حساس" 140

"امرأة بنقطة واحدة" 141

"الحلوة" 142

"جمهورية مريم" 143

"عذراء سنجار" 143

"شبيه الخنزير " 144

"تجميع الأسد" 145

"مولد الغراب" 146

"طيور الغاق" 147

"ثلاثية سنجار: الملحمة الأيزيدية" 147

الفصل الثالث: رواية عجائب بغداد 149

خلفية الرواية 149

إطار واستراتيجية الرواية 149

المرحلة الأولى: الأحداث قبل الوصول إلى قرية الأستاذ 151

شرطي يحترق 155

الأعمى القاتل 156

المشرحة 156

قامة بلا رأس 157
كف الانتحاري 157
الأمريكي الشاذ 159
الإصبع الحي 160
المرحلة الثانية : أحداث قرية الأستاذ 163
قرية الأستاذ 163
المنطقة الخضراء 164
الرأس الأمريكي لعبة الأطفال 165
قارورة الرماد 166
قصة الأستاذ 168
جثة دجلة وبناء المسرح 170
قصة صاحب الزورق 172
مسرحية قرية الأستاذ 174
عواقب "المسرحية البوذية" 178
النهاية المأساوية 182

الباب الرابع: الفوضى الاجتماعية في الروايتين 183

الفصل الأول: مفهوم الفوضى و انعكاساته في الرواية العراقية 184

دور الاحتلال في خلق الفوضى 186
انعكاسات المفهوم في الرواية العراقية 188
توثيق مآثر الاحتلال 188
تصويرالوجع العراقي 189

الفصل الثاني: الفوضى الاجتماعية في "الحفيدة الأميركية" 192

التسامح الاجتماعي العراقي: 192

المجتمع العراقي ما بعد الاحتلال 194

المداهمات العسكرية والإهانة للمدنيين 197

الهجرة 199

غياب الأمن وشيوع الفوضى 203

الفصل الثالث: الفوضى الاجتماعية في "عجائب بغداد" 209

الحروب الطائفية 209

الميليشات 209

الخطف 210

اختطاف الصحافيين 211

غياب رجال ثلاثة 212

اختطاف زينب الشعثاء 212

الأستاذ المخطوف 213

فقراء الحرب 214

الغدر العراقي 215

خيانة فقراء الحرب 215

شخصية أشرف 216

عدم الاستقرار السياسي 218

الصحافة القذرة 220

عناوين المسرحية 220

الصحيفة الكويتية: صحيفة خميس الأسود 222

الهجرة 224

تهاون البشرية 225

الباب الخامس: أزمة الهوية في الروايتين 227

الفصل الأول: مفهوم الهوية وانعكاساته في الرواية العراقية 228

العوامل المؤثّرة على بناء الهويّة 232

حالات الهويّة 233

إشكالية الهوية في الرواية العراقية 234

الصراع الداخلي بين الهويتين 237

ضياع الهوية في المنفى 239

التهجين الثقافي 240

الفصل الثاني: أزمة الهوية في "الحفيدة الأميركية" 243

الهوية الأصلية والهوية المكتسبة 243

الهوية الوطنية وهوية الاقليات والمغتربين 245

الهوية الثقافية 248

الصراع بين الهويتين 252

ملامح أزمة الهوية 256

1- الإحساس بالحزن والاستياء 256

2- الشعور بفقدان الأمان 262

3- انشطار الشخصية 263

الفصل الثالث : أزمة الهوية في "عجائب بغداد" 266

أزمة الهوية الوطنية في "عجائب بغداد" 266

الشخصيات المجهولة 266

هوية السارد 267

مرحلة فقدان الهوية 267

مرحلة كشف الهوية 269

الأستاذ الجامعي 277

محاولة طمس الهوية 278

الحلم عن الهوية الوطنية 279

قرية الأستاذ 280

المسرحية البوذية 284

صياد الجثث والهويات للموتى 286

مظاهر العجائب كعوامل الهوية الوطنية 288

أمثلة الإعراض عن الهوية الوطنية 290

الخاتمة ونتائج البحث 294

خلاصة البحث 294

نتائج البحث 295

نتائج البحث من حيث المقارنة بين الروايتين 300

الاقتراحات والتوصيات 303

المصادروالمراجع 305

المصادر- الروايات: 305

المراجع: 306

الكتب : 306

مقالات المجلات والجرائد: 312

رسالات الدكتوراة والماجستير: 314

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي علم بالقلم والصلاة والسلام على محمد أفصح العرب والعجم وعلى آله وصحبه ذوي الجود والكرم.

هذه أطروحة بحث أكادمي، تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراة في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها تحت عنوان الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية في الروايتين العراقيتين ما بعد الاحتلال "الحفيدة الأميركية" و"عجائب بغداد": دراسة.

التمهيد:

تتناول هذه الأطروحة دراسة تطور الرواية العراقية في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في سنة 2003، والثيمات التي تعالجها هذه الروايات. كما تقوم بتحليل الروايتين "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي، و"عجائب بغداد" لوارد بدر السالم، مع التركيز على الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية.

تطور الأدب الروائي في العراق، كما هو الحال في العديد من الدول العربية الأخرى، تحت تأثيرات مباشرة من خلال ترجمة الأعمال الأجنبية، وتأثيرات غير مباشرة عبر الأعمال القصصية العربية الحديثة القادمة من البلدان التي سبقت العراق في هذا المجال. تميزت التجربة الروائية العراقية عن نظيراتها في الوطن العربي بسبب التطورات السياسية والاجتماعية المتسارعة في تاريخ العراق الحديث منذ تأسيس الدولة عام 1921، وما تلاها من تأثيرات واضحة على الإنتاج الروائي العراقي. وفي مرحلة الحصار، ضاقت السبل أمام الكتاب

العراقيين وقلت فرصة نشر المخطوطات. كما أن الظروف القاسية من الاستبدادات النظامية وتداعيات الحروب المتعاقبة أدت إلى هجرة عدد كبير منهم. فحدث في المنفى انفتاح واسع بينهم. صرحوا في رواياتهم عن عذاب العراقي وخوفه وهلعه ومعاناته وتناولوا من خلالها السير الذاتية للكتاب.

تعرضت الرواية العراقية لتحولات جذرية في فترة ما بعد احتلال الأمريكي للعراق سنة 2003. كان هذا الاحتلال لحظة فاصلة أعادت تشكيل واقع البلاد وانعكست آثارها بوضوح في الكتابات الروائية. برزت الرواية العراقية كمنبر رئيسي يعبّر عن صوت الشعب العراقي، وتسلط الضوء على مختلف التأثيرات التي خلفها الاحتلال وأصبحت مدونة لشتى أنواع القتل ومرثية للأسى العراقي وسجلا موثقا للتداعيات. تتجلى الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية بشكل خاص في الروايات العراقية التي صدرت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003.

تعد الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية من أبرز التحديات التي يواجهها المجتمع العراقي، الذي مر بتجارب مريرة من صراعات عنيفة ونزاعات سياسية متواصلة على مدار عقود من الزمن. اختزل الروائيون العراقيون تجاربهم الشخصية والجماعية في سياق يبرز صراع الهوية في ظل الفوضى التي سببها الاحتلال والحروب المستمرة، وصوروها في الروايات التي أصبحت وسيلة محورية للتعبير عن الصراعات الداخلية التي يعاني منها الفرد العراقي، والتفكك الاجتماعي الذي خلفه الاحتلال.

رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي ورواية عجائب بغداد لوارد بدر السالم تتخذان قضية الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية كالثيمة المحورية. فالحفيدة الأميركية تعكس الصراع الثقافي والهويات المزدوجة والمعاناة الناجمة عن الاغتراب وعجائب بغداد تعكس حياة بغداد في أجواء ملحمية تهتز بين التناقضات والآمال المحطمة بعد الاحتلال مع لمسات من الفنتازيا.

تحليل العنوان

الفوضى: غياب الحكم والنظام وفقدان الأمن و ضياع الاسقرار وعدم الترابط والتناسق بين أجزاء مجموعة ووجود الاضطراب.

الاجتماعية: منسوب إلى الاجتماع، يدل على كل ما يتعلق بالمجتمع. وهنا يراد بها المجتمع العراقي.

مصطلح **الفوضى الاجتماعية** يشير إلى حالة غياب الحكم وفقدان الأمن ووجود الاضطراب والتحديات والانقسامات والصراعات التي تنشأ في البنية الاجتماعية وفي الأنظمة التي تتعلق بالمجتمع نتيجة للاحتلال.

أزمة: كلمة أزمة تدل على المشكلة والاضطراب.

الهوية: منسوب إلى هو، إحساس الفرد بحقيقته المطلقة وصفاته الجوهرية وخصائصه المميزة.

مصطلح **أزمة الهوية** يشير إلى الاضطراب الذي يصيب الفرد أو المجتمع فيما يختص بأدواره في الحياة، ويصيبه الشك في قدرته وعدم التيقن من مستقبل شخصيته فيصبح في أزمة ويجد نفسه مفقود الهوية ويظل يبحث عن هويته الفردية والجماعية.

الروايتين: الرواية هي سرد نثري طويل المدى من حيث الشخصيات والأحداث الواقعية أو الخيالية ذات أنواع مختلفة بمقومات فنية خاصة. كلمة الروايتين هنا تشير إلى اللتين تذكران لاحقا في العنوان.

العراقيتين: المنسوبة إلى دولة العراق. كلمة العراقيتين هنا تشير إلى الروايتين، يذكر اسمهما لاحقا في العنوان واللتين كتبهما الروائيان العراقيان.

ما بعد الاحتلال: يشير إلى الفترة الزمنية المسبوقة بالاحتلال الأمريكي للعراق الذي حدث سنة 2003. وفي هذه الفترة كتبت الروايتان التاليتان.

الحفيدة الأميركية: رواية لإنعام كجه جي الكاتبة والصحفية العراقية الصادرة في سنة 2008.

عجائب بغداد: رواية لوارد بدر السالم الكاتب والصحفي العراقي الصادرة في سنة 2012.

دراسة: يراد بها القراءة وتحصيل العلوم والمعارف، وهي عبارة عن قراءة موضوع معين قراءة واضحة من خلال مصادر ومراجع. ويراد بها في البحث دراسة موضوعية تحليلية.

دو افع اختيار الموضوع

تسبب هذا البحث عن الدوافع التالية:

أدرك الباحث منذ مستهل دراسته للأدب أن هناك نقاشات حول قضية هل الأدب لخدمة المجتمع أم الأدب للأدب. ومن خلال دراسته وجد أن للأدب مسؤولية تجاه المجتمع وأن الأدب ليس بمعزل عن المجتمع وقضاياه. كما أدرك أن الأدب العربي قد لعب دورا هاما في تناول قضايا المجتمع، وخاصة في العصر الحديث. واطلع على دراسات وأبحاث تتناول القضايا المتعلقة بالمجتمع العربي في بلاد مختلفة. فوجد أن الدراسات المتخصصة بقضايا المجتمع العراقي كانت قليلة.

رغب الباحث في أن يبحث عن موضوع أدبي يجلب النفع في مجال اللغة العربية وآدابها. فأدرك أن أزمة الهوية الفردية والجماعية الناتجة عن التغيرات السياسية والفوضى الاجتماعية هي قضية صارمة في بلاد الشرق الأوسط، خصوصا في العراق. ووجد أن الرواية العراقية ما بعد الاحتلال الأمريكي تكشف مشاكل الهجرة والتشتت وتبرز هذه القضية وتعكسها.

أدرك الباحث أن اختيار هذا الموضوع للبحث يساعد على فهم مدى تأثير الاحتلال الأمريكي على المجتمع العراقي واستكشاف موضوعات معاصرة في الرواية العراقية. فوقع التركيز على الروايتين الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي وعجائب بغداد لوارد بدر السالم واللتين تتناولان هذه الإشكالية وتوثقان واقع العراق المضطرب.

أعجب الباحث في تشابه الشخصيتين الرئيستين للروايتين، إذ أنهما عادتا من مغتربهما إلى وطنهما الأصلي للعب دورهما. وكاتبة الحفيدة الأميركية عراقية الأصل، تكتب وهي مقيمة في فرنسا، وبطلتها عراقية الأصل تهاجر إلى أمريكا، فتعود كمترجمة في جيشها إلى وطنها الأصلي. وكاتب عجائب بغداد صحفي عراقي، وبطله المقيم في دبي يعود إلى وطنه الأصلي كمراسل مجلة خليجية. فأراد الباحث على استطلاع كيفية تناول الكاتبين الصحفيين لأحداث الروايتين من خلال هاتين الشخصيتين.

منهج البحث

نهج البحث المنهج الوصفي التحليلي عاما. واتبع المنهج الفني في التحليل السردي.

أولا قرأ الباحث الأبحاث والمقالات والدراسات التي تتعلق بموضوع البحث. ثم جمع الباحث معلومات لتوطئة في تاريخ العراق والأدب العربي، والأدب الروائي في العراق، والرواية العراقية ما بعد الاحتلال الأمريكي، ونظر في مضامينها الرئيسة من الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية وجعل هذه التفاصيل في الباب الأول. كما جمع معلومات تمهيدية عن إنعام كجه جي وإسهاماتها الأدبية ورواية الحفيدة الأميركية وفصل أحداث الرواية والكتابة النسوية فيها وسمات شخصيتها الرئيسية من خلال المقالات في الصحف والمجلات والمقابلات والمكالمات والاتصالات المباشرة والرسالات بالبريد الإلكتروني والدردشات الواتسبية مع الكاتبة وأورد تلك التفاصيل في الباب الثاني. ثم جمع معلومات تمهيدية عن وارد بدر السالم وإسهاماته الأدبية وكتابه في أدب الرحلة وملخص رواياته ورواية عجائب بغداد وفصل أحداث الرواية. وهذه المعلومات التمهيدية حصل عليها الباحث من خلال المقالات في الصحف والمجلات والمقابلات

والمكالمات والاتصالات المباشرة والرسالات بالبريد الإلكتروني والدردشات الواتسبية مع الكاتب. وأورد تلك التفاصيل في الباب الثالث. ثم جمع معلومات خاصة بمفهومي الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية وقرأ الروايتين المنتخبتين قراءة تحليلية ونظر كيفية ومدى انعكاس الفوضى الاجتماعية في كل منهما وأورد التفاصيل في الباب الرابع. وقرأ الروايتين المنتخبتين قراءة تحليلية مرة أخرى ونظر في كيفية ومدى انعكاس أزمة الهوية في كل منهما، وأورد التفاصيل في الباب الخامس. ثم استخرج النتائج من كل باب في الختام.

مشكلة البحث وأسئلته

تسعى هذه الأطروحة لحل المشكلات المتعلقة بالموضوع بطرح الأسئلة الآتية:

1. ما هي مراحل تطور الأدب الروائي في العراق؟
2. كيف انعكست آثار الاحتلال الأمريكي على الرواية العراقية في مرحلة ما بعد 2003؟
3. كيف تفاعل الروائيون العراقيون مع الواقع الجديد؟
4. ما هي المضامين العامة التي تعالجها الرواية العراقية في هذه الفترة وما هي أهمها؟
5. ما هو دور الرواية العراقية في التعبير عن معاناة الشعب العراقي بعد الاحتلال؟
6. ما هي إسهامات إنعام كجه جي ووارد بدر السالم في تطور الرواية العراقية؟
7. كيف يتم تصوير الفوضى الاجتماعية في الروايتين "الحفيدة الأميركية" و"عجائب بغداد"؟

8. كيف تعكس الروايتان أزمة الهوية؟

9. ما هي التشابهات والتباينات بين تمثل الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية في الروايتين؟

10. كيف نقل الروائيان وجهات نظر متعددة حول واقع الاحتلال؟

أهداف البحث

- التعرف بمراحل تطور الأدب الروائي في العراق وتأثير الاحتلال الأمريكي عليه.
- ملاحظة الثيمة الرئيسة التي تعالجها الرواية العراقية ما بعد الاحتلال الأمريكي والتعرف بالروايات التي تتناول الثيمة بالوضوح.
- اكتشاف دور إنعام كجه جي ووارد بدر السالم في تطور الرواية العراقية.
- تحليل الروايتين المنتخبتين وملاحظة انعكاسات القضايا الاجتماعية فيهما.
- إيضاح كيفية ومدى معالجة الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية في الروايتين.
- المقارنة بين الروايتين من حيث الموضوعات والشخصيات.

الدراسات السابقة

أجرى الباحثون العرب والغرب دراسات حول تطور الرواية العراقية والقضايا المعالجة فيها، ومن أهمها:

- رسالة ماجستير حول نشأة القصة العراقية لإيمان عبد دخيل عيسى بجامعة بابل في 2019.

- رسالة جامعية حول تطور الرواية السياسية النسوية في الوطن العربي، " الحفيدة الإمريكية " لإنعام كجه جي أنموذجا لقيرواني أمال بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة في 2012.

- رسالة دكتوراة بعنوان المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة بجامعة القادسية للباحث راما عبد الجليل راضي الأوسي في 2017.

- رسالة جامعية حول أزمة الهوية في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي لمحمد عبد الحسين هويدي بجامعة المثنى في 2018.

- رسالة جامعية حول الوطن في الرواية النسوية العراقية لنصرة أحميد جذوع بجامعة الأنبار في. 2019.

- رسالة جامعية حول المفارقات الزمنية في الرواية النسوية العراقية 2003 – 2013 لوجدان يعكوب محمود بالجامعة المستنصرية و د. زينب هادي حسن بجامعة بغداد في سنة 2018.

- رسالة جامعية حول إشكالية الانتماء في رواية"الحفيدة الأميركية"لإنعام كجه جي للدكتور سناء الجمالي بجامعة السلطان قابوس فس سنة 2019.

- رسالة دكتوراة بعنوان خطاب العولمة في الرواية العراقية 2003 - 2013 لجعفر جمعة زبون بالجامعة المستنصرية، 2018.

- رسالة جامعية حول ضياع الهوية العراقية في المنفى الغربي لوسام علي محمد ورقية ناظم بجامعة كوفة في 2020.

نشرت كتب دراسية عديدة عن التجربة الروائية، ومن أهمها:

- المركز والهامش في الرواية، عذراء سنجار أنموذجاً للدكتورة فوزية لعيوس الجابري، دار الرضوان، الأردن، 2018.
- المكونات السردية في الرواية العراقية، روايات وارد بدر السالم أنموذجاً لدعاء عادل آل عزوز، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، 2018.
- اللعنة المباركة- جدل المقدس والمدنّس في الأدب الروائي عند وارد بدر السالم، للدكتور حسين سرمك، دار نينوى، 2008.

الصعوبات التي واجهها الباحث

- الافتقار إلى الأدبيات النقدية الشاملة التي تتناول الروايات العراقية في فترة ما بعد 2003 بشكل دقيق.
- إعادة بناء بعض المعاني الدقيقة أو الرموز المرتبطة بالثقافة الأجنبية والألفاظ الإنجليزية وخاصة في رواية الحفيدة الأميركية.
- كثافة الرموز الثقافية والتاريخية الخاصة بالعراق بعد الاحتلال، في الروايتين المنتخبتين.

خطة البحث

قام الباحث بتبويب البحث إلى خمسة إضافة إلى المقدمة والخاتمة. تناول في المقدمة خلاصة البحث وتحليل العنوان ودوافع اختيار الموضوع ومنهج البحث ومشكلة البحث وأسئلته وأهداف البحث والتعريف بالدراسات السابقة وبيانا عن الصعوبات التي واجهها أثناء البحث وتبويب البحث وختمها بكلمة الشكر.

الباب الأول: تطور الرواية العربية في العراق، يشتمل على ثلاثة فصول. الفصل الأول: العراق والأدب العربي، يبحث فيه عن العراق وأهميته بين الدول العربية وصلته بالثقافة والآداب والفنون. الفصل الثاني: الأدب الروائي في العراق، يبحث فيه عن نشأة الرواية ومراحل تطورها في العراق والأعمال الناضجة في الرواية العراقية والرواية النسوية والحرب في الرواية النسوية العراقية والرواية المكتوبة في المنفى. الفصل الثالث: الرواية العراقية ما بعد الاحتلال، يبحث فيه عن احتلال الولايات المتحدة للعراق وظهور الروايات ذات الهوية الجديدة وواقع الرواية العراقية المعاصرة ومضامين الروايات المعاصرة.

الباب الثاني رواية "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي يحتوي على أربعة فصول. الفصل الأول: إنعام كجه جي وإسهاماتها الأدبية، يعرف فيه عن إنعام كجه جي الروائية والصحفية العراقية وتأليفاتها من الروايات والكتب والمجموعة القصصية ومقالاتها وتجربتها الكتابية ويأتي بتلخيص رواياتها. والفصل الثاني: رواية "الحفيدة الأميركية" توطئة للرواية، يبحث فيه عن أحداث الرواية ويقسمها إلى ثلاث مراحل. الفصل الثالث: الكتابة النسوية في" الحفيدة

الأميركية"، يبحث فيه عن خصائص الكتابة النسوية في هذه الرواية. الفصل الرابع: سمات الشخصية الرئيسية، يفصل عن السمات التي تتخذها البطلة.

الباب الثالث: رواية "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم يحتوي على ثلاثة فصول. وفي الفصل الأول: وارد بدر السالم وإسهاماته الأدبية، تعريف عن وارد بدر السالم الروائي والصحفي العراقي وتأليفاته من القصص والروايات والكتب الشعرية والنقدية وتلخيص عن كتابه في أدب الرحلة. والفصل الثاني ملخص الروايات، يجمع معلومات ملخصة عن رواياته وثلاثيته. والفصل الثالث: "عجائب بغداد" توطئة للرواية، يبحث فيه عن خلفية الرواية واستراتيجيتها وأحداث الرواية ويقسمها إلى مرحلتين.

الباب الرابع: الفوضى الاجتماعية في الروايتين،يشتمل على ثلاثة فصول. الفصل الأول: مفهوم الفوضى وانعكاساته في الرواية العراقية، يبحث فيه عن مفهوم الفوضى ودور الاحتلال في خلق الفوضى وانعكاساته من توثيق مآثر الاحتلال وتصوير الوجع العراقي في الرواية العراقية. والفصل الثاني: الفوضى الاجتماعية في "الحفيدة الأميركية"، يلقي الضوء على جوانب الحياة في العراق قبل الاحتلال من التسامح الاجتماعي العراقي وما طرأ عليها إثره من المداهمات العسكرية والإهانة للمدنيين والهجرة وآثارها وغياب الأمن وشيوع الفوضى. والفصل الثالث: الفوضى الاجتماعية في "عجائب بغداد" يبحث عن تداعيات الاحتلال من الحروب الطائفية والاختطاف وعدم الاستقرار السياسي والهجرة وتهاون البشرية.

الباب الخامس: أزمة الهوية في الروايتين، يشتمل على ثلاثة فصول. الفصل الأول: مفهوم الهوية وانعكاساته في الرواية العراقية، يعرف فيه مفهوم الهوية ويلقي الضوء على العوامل

المؤثّرة على بناء الهويّة. ثم يبحث عن إشكالية الهوية في الرواية العراقية والصراع الداخلي بين الهويتين وضياع الهوية في المنفى والتهجين الثقافي. الفصل الثاني: أزمة الهوية في "الحفيدة الأميركية" يبحث عن توظف الهوية والجوانب المختلفة من أزمة الهوية. فيشرح الهوية الأصلية والهوية المكتسبة والهوية الوطنية وهوية الأقليات والمغتربين والهوية الثقافية والصراع بين الهويتين وملامح أزمة الهوية. الفصل الثالث: أزمة الهوية في "عجائب بغداد"، يبحث فيه عن مظاهر طمس الهوية في الواقع العراقي وردود الفعل من الضحايا تجاهها وكشف الهوية ويكشف مظاهر العجائب في طمس الهوية وكشفها.

كلمة الشكر

يعبر الباحث عن امتنانه العميق لكل من ساهم في إنجاز هذه الأطروحة. أولا يشكر الله عز وجل على توفيقه له في إتمام هذه الأطروحة بأحسن وجه. يقدم الباحث أسمى آيات الشكر والعرفان مع فائق الحب والاحترام للمشرف الدكتور زين الدين بي.تي. الأستاذ المشارك في قسم العربية بجامعة كاليكوت والرئيس السابق لقسم البحوث والدراسات العربية بكلية تونتشان الحكومية تيرور تحت جامعة كاليكوت، لملاحظاته الدقيقة وإرشاداته القيمة وتوجيهاته السديدة ولتخصيص الوقت للمناقشة معه وتحفيزه الدائم للوصول إلى الغرض المنشود، جزاه الله خير الجزاء. ويهدي جزيل الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور جعفر صادق بي. بي. رئيس القسم لاقتراحاته القيمة ودعمه المستمر وللدكتور أجيت م. س. عميد الكلية لتعاونه الرسمية ومعاملته الودية ولزميليه الدكتور عبد الجليل. تي الأستاذ المشارك في القسم لمساعدته التقنية والدكتور محي الدين كتي كانيات الأستاذ المساعد في القسم الذي ساعده في التحرير والتصحيح ولكل من الأساتذة والدكاترة في القسم لتعاونهم معه خلال فترة البحث، جزاهم الله خيرا كثيرا.

ويتوجه الباحث بشكره الجزيل إلى الروائيين اللذين أمدا الباحث ببعض الكتب والمقالات المتعلقة بمؤلفاتهما، وسائر الكتّاب والمفكرين الذين ساهمت أعمالهم في تشكيل أفكاره والذين أعانوه باقتراحاتهم وملاحظاتهم. كما يشكر ويمتن لكل من قدم الدعم والمساندة له أثناء إعداد هذا البحث من الأساتذة والأصدقاء والزملاء وأفراد الأسرة الذين كانوا عونا كبيرا

ونصائحهم كانت مفيدة في إتمام هذا العمل بالشكل الذي هو عليه. أسأل الله أن يجزيهم جميعًا خير الجزاء في الدارين.

وأخيرا، لايدعي الباحث أنه قد بلغ الكمال في ما جمعه من معلومات، إذ لا يخلو عمله من النواقص والعيوب. لذا، يرجو من القراء تقديم توجيهاتهم وإرشاداتهم وانتقاداتهم البناءة حول هذا البحث. ويود الباحث في أن يكون هذا البحث مفيدا للباحثين والدارسين وأن يسهم في فتح آفاق جديدة للنقاش حول القضايا الاجتماعية والهوية في الرواية العراقية. ويسأل الله أن يجعله في ميزان الحسنات، والله ولي التوفيق.

الباب الأول: تطور الرواية العربية في العراق

الفصل الأول: العراق والأدب العربي

الفصل الثاني: الأدب الروائي في العراق

الفصل الثالث: الرواية العراقية ما بعد الاحتلال

الفصل الأول: العراق والأدب العربي

العراق وأهميته بين الدول العربية

إن بلاد العراق مهبط الحضارات ومنبت الفنون. وهو موطن مختلف النزاعات والشقاقات والمذاهب والطوائف ومتعرض لشتى الخطوب والاحتلالات والتداعيات ومصدر الثورات والانقلابات. ويحمل مشاعل الثقافة العربية منذ قرون عديدة. وقد أنجب العراق أسماء لامعة لا تهمل خدماتهم في شتى مجالات العلم والأدب. مسيرة اللغة العربية في مضيها القديم لم تكتمل إلا بصحبة الأدب العراقي، حيث إن الأدب العربي لم يتقدم ولم يتطور بدون إسهاماته. بالنظر إلى هذا الإرث الأدبي الغني، يصعب تصوّر وجود أدب عربي يمتلك قيمته وهويته دون الاعتماد على الإسهامات الثرية للأدب العراقي.

وللعراق تاريخ عريق وتراث مجيد. فقد شهد مرور العديد من الحضارات على أراضيه، بما في ذلك حضارات بابل، وآشوريا، وآكاد، وسومر. ثم أصبحت هذه المنطقة الخصبة المعروفة باسم بلد ما بين النهرين،نهر دجلة ونهر الفرات جزء مهما من الأنظمة التي سادتها الفرس واليونان والروم. وفي القرن السابع صارت جزء رئيسيا متكاملا من العالم الإسلامي. وتم تحديده في القرن الثامن على أنها عاصمة الخلافة العباسية. وأسس كدولة حديثة في الفترة

الممتدة عام1921، إثر الحرب العالمية الأولى تضمنت مدنا مشهورة في تاريخ الآداب والثقافة العربية مثل بغداد والبصرة والموصل[1].

أصبح العراق الذي يقع في الشرق الأوسط عاصمة الإمبراطورية الإسلامية حيث كانت بغداد مركزا للعلم والحضارة والقوة السياسية والاقتصادية للعالم الإسلامي من أواسط آسيا إلى الأندلس. وكانت عاصمة بغداد تحكم معظم العالم القديم قرونا عديدة.

العراق وصلته بالثقافة والآداب والفنون

يتميز العراق بأنه ممتلك لتراث غني بالثقافة، حيث اشتهر بتوفقه لكي يصير مسقط رأس ومركز نشاط لعديد من مشاهير العلماء والأدباء والشعراء والرسامين والنحاتين ذوي الصيت الواسع في العالمين العربي والأجنبي. وكان العراق معروفا بحرفه اليدوية المميزة الراقية، بما فيها صناعة السجاد والأغطية المختلفة، وبهندستها المعمارية الفاخرة التي يلاحظ جمالها في الأبنية الشاهقة الموجودة في مختلف بقاع البلاد.

تعد الثقافة العراقية أرضا خصبة للتنوع. وهي وريثة التنازع القديم بين المذاهب والجماعات بدء من الأثنيات[2] قبل دخول الإسلام للعراق إلى الخوارج في خروجهم على إجماع أهل العراق، ثم إلى المعتزلة والجبرية التي كان شروع أعمالهم من العراق. ويوجد هذا التنوع في العلوم اللغوية أيضا والمدارس التابعة لها مثل المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية والاتجاهات

1- د . كمال ديب ؛ موجز تأريخ العراق ؛ ص 39 ، النسخة الالكترونية للكتاب- دار الفارابي بيروت؛ 2013.

2- الشعوب الأقليات مثل الأنباط، العرب ، السريان ، الفرس

الظاهرة مثل تيارات الوسطية والمدرسة البغدادية في النحو التي توضع بين المدرستين الكوفية والبصرية.

وصل العراق إلى قمة مجده في القرنين الثامن والتاسع الميلادي في عهد الحضارة الإسلامية أيام الخلافة العباسية حيث كانت بغداد في رئاسة الحضارات العالمية في ذلك الحين. إذ بلغ العراق العصر الذهبي في العهد الإسلامي وانتشرت المدارس والجامعات الإسلامية في بغداد وصارت قبلة للعالم من حيث التطور العلمي والثقافي وازدهار العلوم والاكتشافات المتنوعة في علم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء والتاريخ والفلسفة وغيرها.

أما صلة العراق بالأدب العربي فقوية وطيدة. ولم يسر الأدب العربي في أزمانه المختلفة إلا وقد تأثربالعراق. يقول باسم عبد الحميد الحمودي: "إن قطرا نموذجا كالعراق مثلا، يمتلك رؤيا كاملة وواضحة، استطاع على أساسها أن يبني اقتصاده ويضع برامجه التنموية وينفذها بشكل مدروس، واستطاع أيضا أن يقلب موازين القوى المؤثرة في سياسات الشرق الأوسط، وأن يسمع صوته الخاص المتوهج قوميا وإنسانيا لكل الشعوب والدول، يستطيع أن يؤثر تأثيرا واضحا في جبهة الأدب حيث تمنع إنجازاته لها رفدها الخاص على مستوى عملية الخلق الإبداعي التي تتم بهدوء "[3].

يزخر العراق بالعديد من الأسماء العظيمة والكبيرة في مجالات الفن والأدب. فعلى صعيد الشعر يبرز كمثل، أحد أعظم الشعراء العرب، وهو أبو الطيب المتنبي في العصر العباسي. أما

3 - باسم عبد الحميد الحمودي، رحلة مع القصة العراقية، ص12، النسخة الالكترونية للكتاب ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1980.

في العصر الحديث فمن المشاهير عبد الوهاب البياتي ومحمد مهدي الجواهري ونازك الملائكة وأحمد مطر وبدر شاكر السياب وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وغيرهم. وعلى صعيد فن العمارة تلمع أسماء أمثال رفعت الجادرجي وزها حديد ومحمد مكية. ومن الرسامين الفنانين التشكيليين فائق حسن وإسماعيل فتاح الترك وخالد عبد العزيز القصاب وليلى العطار ومحمود صبري وجواد سليم وغسان فيضي وعباس الكاظم ونزيهة سليم.

أما بالنسبة إلى القصص والحكايات، فإن العراق غني بتراثه القصصي حيث يعتبر أرضا خصبة للحكايات التي ذاع صيتها في جميع أرجاء المعمورة، وتمت ترجمة هذه الحكايات إلى لغات عالمية عديدة وعرفتها الشعوب الأخرى. ومن أهم هذه الحكايات التراثية قصص ألف ليلة وليلة ورحلة السندباد ومصباح علاء الدين. لقد كانت في الحقيقة أن هذه التعابير الأدبية من الحكايات والسير الشعبية هي الشكل البادئ للصور القصصية والروائية[4]. ظهرت قبل العشرينيات من القرن العشرين أعمال قد حوت شيئا من البنية الحكائية الحديثة، لكنها لم تكن متضمنة لفن الرواية الخالص. فمقامات أبي الثناء الألوسي جمعت بين الحكاية والمقامة والرسائل الأدبية والوعظ والإرشادات،فضلا عن اللغة التقليدية التي كتبت بها، ولكنها لم تخل من أن تعالج موضوعات واقعية لها مساس بالمجتمع. كما شاعت في نهاية القرن التاسع

4 - محمد مرادي ،لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها،ص 7، ظهران،2012.

عشر قصص الرؤيا التي هي نمط من الكتابة عما جرى في عالم المنام، وذلك بطابع وعظ إرشادي بغاية انتقاد أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية الواقعية [5].

5- إيمان عبد دخيل عيسى، نشأة القصة العراقية،دراسة، جامعة بابل ،2019/05/25 ، www.uobabylon.edu.iq ،يوم المراجعة : 2020/09/13

الفصل الثاني: الأدب الروائي في العراق

إن الرواية العربية بشكلها الأدبي ونضجها الفني بدأت أن تظهر بعد احتكاك البلاد العربية واتصالها المباشر بالآداب الغربية والثقافات الأجنبية. وذلك في مطلع القرن التاسع عشر إثر البعثات العلمية التي تسببت بالنهضة الأدبية والعلمية المتحققة في العالم العربي، خاصة في بلاد سوريا ولبنان ومصر. وقد سبق اللبنانيون والمصريون غيرهم من العرب في التعرف على أدب الرواية وفي الكتابة فيه بسبب استجابتهم الأولى لهذه النهضة. وفي البداية كانت في صورة الترجمة والنقل، ثم انتقلت إلى الوضع والتأليف عاكسة بكل تفصيلات المظاهر الحياتية والتغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرأ على الأمة. وبممر الأزمنة ازدهرت بكل مناحيها وقيمها ووصلت إلى المستوى العالمي حتى تصح الآن استعارة التوصيف الذي قيل سابقا عن الشعر إنه ديوان العرب والسجل الحافل بأحداثهم ووقائعهم وتاريخهم لجنس الرواية.

نشأة الرواية ومراحل تطورها في العراق

إن الأدب الروائي في العراق وقع شأنه شأن مثيله في الدول العربية الأخرى، تحت التأثيرات المباشرة من خلال ترجمة الأعمال الأجنبية وغير المباشرة من خلال الأعمال القصصية العربية الحديثة الوافدة من الدول التي سبقته في هذا المضمار، وبالتحديد مصر وبلاد الشام. فهو في العراق بالنسبة إلى مثيلته الشعرية فلم يحظ بما حظيت به من ذيوع وانتشار. وتاريخ الرواية الحديثة في العراق لا يعود إلى أبعد من عام 1921 عندما صدرت رواية سبيل الزواج

لمحمود أحمد السيد. وتلتها الرواية مصير الضعفاء (1922) وعمله الروائي الأنضج جلال خالد (1928)[6]. وقدتميزت التجربة الروائية العراقية عن مثيلاتها في الوطن العربى بسبب طبيعة التطورات السياسية والاجتماعية المتلاحقة في تاريخ العراق الحديث منذ نشوء دولته عام 1921، وانعكاساتها على المنجز الروائى العراق. كما أن هجرة بعض كتابه إلى الخارج في سبعينيات القرن العشرين بسبب نفس التطورات، قد أدّت إلى حركة روائية في المنفى اشتغلت على الاغتراب والحنين والقضايا الساخنة في حياة الذات والوطن.

يقسم الدكتور حامد النساج تقسيما جيليا لنشأة الرواية العراقية في كتابه "بانوراما الرواية العربية الحديثة" في فصل الرواية العربية في التقسيم الزمني[7] إلى أربعة أجيال بدء من النشأة حتى العام 1980. وهي: الجيل الروائي الأول: يمتد من العشرينيات حتى نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين أي منذ كتابة محمود أحمد السيد لرواياته الثلاث :سبيل الزواج (1921) ومصير الضعفاء (1922) وعمله الروائي الأنضج جلال خالد (1928) إلى جانب روايات مثل (غادة بابل) 1927 ليوسف رزق الله، التي استلهمت تاريخ العراق. ويمتد هذا الجيل إلى كتابة جعفر الخليلي في روايته الضائع(1037)، وعبد الحق فاضل في روايته مجنونان (1939).

أما الجيل الروائي الثاني فيمتد طوال الأربعينيات والخمسينيات حتى ثورة 1958. فقد انتشرت الرواية الرومانسية مثل رواية "نهاية حب" لعبد الله نيازي (1949). كما ظهرت الرواية

6- جلال خالد صدرت عام 1928 عن دار سطورللنشر والتوزيع ببغداد: أعادت طباعتها ونشرها سنة ٢٠١٧، الرواية تمنح القارئ تصوراً عن أجواء البيئة العراقية زمن كتابة الرواية بتقديمها لنماذج من التعايش السلمي بين مختلف طبقات الشعب العراقي بتنوعه الأثني والديني والفكري فضلاً عن تقديمها نبذة عن الأفكار التي كانت تراود طالبي الإصلاح لوطنهم من بعض السلبيات التي من الطبيعي أن توجد في أي مجتمع بشري.

7- علاء كريم عاجل ،الاختلاف في منشأ وانتماء الرواية العراقية ، مجلة جامعة سومر مقالة 9/23 ،يوم المراجعة 2020/09/12

التاريخية مثل رواية "سلمى التغلبية" لشعبان رجب الشهاب(1949) و"في قرى الجن" لجعفر الخليلي (1948)، وفي عام 1948 كتب الروائي ذو النون أيوب رواية "اليد والأرض والماء" التي وثقت موقف المثقف العراقي في مرحلة الإقطاع.

فالجيل الروائي الثالث بدأ في الخمسينيات وانتقل للستينيات من القرن العشرين. ظهرت روايات مثل "صراخ في ليل طويل" لجبرا إبراهيم جبرا (1955)، وانتشرت فيه الرواية التاريخية مثل "سبي بابل" لعبد السميع بلايا (1955). وفي عقد الستينيات برز جيل غائب طعمه فرمان وفؤاد التكرلي وغيرهما. فقد توجه هذا الجيل لكتابة الرواية الواقعية بما توفرت لهم الظروف الملائمة للخوض في كتابة هذا الصنف من الروايات، فظهرت روايات مهمة مثل "ضجة في الزقاق" لغانم الدباغ (1956)، و"الوجه الآخر" لفؤاد التكرلي(1960)، و"صيادون في شارع ضيق" لجبرا إبراهيم جبرا و"النخلة والجيران"(1966) و"خمسة أصوات" لغائب طعمة فرمان، و"على الدنيا السلام" لذي النون أيوب(1967).

فالجيل الرابع، كما يقول النساج، استثمر التطور العالمي للشكل الروائي فاهتموا بالبناء الفني وبمعمار الرواية كثيرا. وروايات هذا الجيل شغلت بالموضوعات السياسية وما يرتبط بها من قضايا ومناقشات وأفكار وعالجت القضايا الاجتماعية والثورات والانقلابات العسكرية. كما حفلت بأعمال رمزية اعتمدت التاريخ. كان الأدباء يعانون من قضية الرقابة الصارمة الموجودة في تلك الفترة، فالتجؤوا إلى الأساليب الرمزية. ومن أبرز الروائيين في هذا الجيل فؤاد التكرلي وخضير عبد الأمير وعبد الرحمن الربيعي وفاضل العزاوى وعالية ممدوح وسلام عبود وهيفاء زنكنة وعارف علوان وبرهان الخطيب.

أما الدكتور نجم عبد الله فقد اختار التصنيف التاريخي منطلقا لبيان المراحل التي مّرت بها الرواية العراقية حيث ذهب إلى القول بأنها شهدت خمسة تحولات منذ نشأتها[8]. التحول الأول منها بعد الحرب العالمية الثانية والثاني في السنوات ما بين 1958- 1963، ويأتي التحول الثالث في النصف الثاني من السبعينيات، ويأتي التحول الرابع في سنوات الحصار بعد احتلال الكويت وأخيرا التحول الخامس الذي حصل خلال احتلال الولايات المتحدة للعراق عام 2003 وسقوط نظام صدام. رصد الدكتور نجم عبد الله هذه التحولات من خلال الروايات التي كتبت في تلك الحقبة الزمنية التي امتدت قرابة سبعة عقود، مثل رواية "الزقاق المسدود" لياسين حسين (1965) ورواية "النخلة والجيران" لغائب طعمه فرمان (1966) ورواية "القمر والأسوار" لعبد الرحمن مجيد الربيعي (1967) و"الرجع البعيد" لفؤاد التكرلي (1980) و"يواقيت الأرض" (2000) و"العيون السود" (2002) و"الحدود البرية" (2004) لميسون هادي وغيرها.

اختار الأستاذ سلام إبراهيم رأيا ثالثاً مختلفا بعض الشيء عن النساج والدكتور نجم عبد الله حيث لاحظ تاريخ الرواية العراقية وحصر تلك التحولات في نمطين. الأول منهما يتمثل في الرواية المكتوبة في ظل الدكتاتورية والتي صارت مرجعا لمن يريد أن يخوض في معرفة الإنسان

8 - المصدر السابق

العراقي الواقع في ظل الدكتاتورية. أما النمط الثاني فهو الجديد في الرواية العراقية التي كتبت في المنفى والاحتلال [9].

إن مراحل تطور الرواية العراقية تعود إلى تقسيم آخر، وذلك تقسم إلى أربع محطات بارزة[10]. كانت الأولى مرحلة التأسيس التي حدثت مع ظهور العراق المعاصر على العالم بعد أن صار دولة بمؤسسات مستجدة. فمن المعروف أن بدايات فن القصة والرواية كانت على يد جيل بريادة محمود أحمد السيد الذي أصدر أول رواية عراقية بعنوان جلال خالد عام 1928، بث خلالها أسئلته الوجودية حول الإنسان والموت والحياة وفقاً لما عايشه وتأثر به من أفكار عصره. ثم توالت الأعمال الروائية التي عبّرت عن واقع العراق في مرحلة الحكم الملكي. ولقد اتسمت المحطة الثانية بالصراع الآيديولوجي الذي كان ينهل من طروحات عالمية وعربية، كالماركسية والوجودية والقومية بمختلف اتجاهاتها، لا سيما في العقد الستيني. صار الأدب في تلك الحقبة ميداناً لصراع المثقفين والمبدعين العراقيين، وعاكساً لتوجهاتهم أيضا.

أما المحطة الثالثة، فهي مرحلة الحرب والحصار في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين. وكان كثير من نتاج تلك المرحلة قد حافظ على رصانته الأدبية وحمل كثيراً من سمات الإبداع المطلوبة. فالمحطة الرابعة هي مرحلة الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003 وتداعياته، أو

9 - سلام إبراهيم ،الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، ديسمبر 2012 ، العدد الثاني ؛ دورية "التبين "، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ،قطر.

10- www.alaalem.com علاء كريم عاجل ،الاختلاف في منشأ وانتماء الرواية العراقية ، مقالة 2019/07/23 ،يوم المراجعة 2020/09/12

مرحلة ما بعد التغيير. تميزت هذه المرحلة بزخم غيرمسبوق في عدد الإصدارات وعدد الروائيين.

إن أعمال محمود أحمد السيد الروائية المبكرة في عشرينيات القرن العشرين تشكل ريادة مهمة في تأصيل الأدب الروائي الحديث في العراق. فلم تشهد فترة ما بين الحربين العالميتين إلا ظهور نماذج روائية محدودة لم تستطع أن ترتقي بالأسلوب الفني للرواية العراقية إلى مرتبة متقدمة. فلا يوجد، إلى جانب محمود أحمد السيد، سوى قلة من الروائيين، يتقدمهم في الأهمية ذو النون أيوب صاحب الرواية "الدكتور إبراهيم" وعبد الحق فاضل صاحب الرواية "مجنونان" (1939). وهذا لا ينفي ظهور أعمال روائية مختلفة لعدد من الأدباء العراقيين. ورواية "الدكتور إبراهيم" لذي النون أيوب من الروايات المهمة خلال هذه المرحلة والتي تستند إلى بنية متقدمة وإن كانت تبدو معتمدة على السيرة الذاتية والشكل الرسائلي في الصوغ الروائي. و يقول فاضل ثامر في "الرواية العراقية من الريادة إلى النضج": "إن حركة الريادة في الرواية العراقية لم تستطع في فترة ما بين الحربين العالميتين أن تؤصل لهذا الجنس الأدبي، بل ظلت شبه غائبة خلال هذه الفترة. ولم تصدرخلال الأربعينيات والخمسينيات إلا روايات محدودة وغير ذات أهمية كبرى [11].

إن مسيرة الرواية العراقية في شتى الاتجاهات التجريبية والواقعية والأسطورية والتاريخية أفرزت عددا كبيرا من الكتاب الذين حققوا نجاحات روائية كبيرة، وصدر كم وفير من النصوص الروائية العراقية في الداخل والخارج. وقد ضمت ساحة الرواية في العراق عددا

11 - فاضل ثامر ،الرواية العراقية من الريادة إلى النضج، مقالة ، دوريةالمدى الثقافي ، العدد 179 ، 18 أغسطس 2004

كبيرا من الروائيين أمثال غائب طعمة فرمان، فؤاد التكرلي، مهدي عيسى صقر، عبد الخالق الركابي، عبد الرحمن مجيد الربيعي، عبد الستار ناصر، عبد المجيد لطفي، عبد الأمير معلة، عبد الرزاق المطلبي، فاضل العزاوى، عالية ممدوح، لطفية الدليمي، ميسلون هادى، موسى كريدي، محمود سعيد، أحمد خلف، حميد الربيعي، حميد المختار، سعد سعيد، شاكر الأنبارى، بتول الخضيرى، علي بدر، حسن مطلك، جاسم عاصى، وغيرهم كثيرون إضافة إلى من سبقهم من جيل الرواد أمثال محمود أحمد السيد، وذو النون أيوب، وعبد الملك نورى، وعبد الحق فاضل، وغيرهم كثيرون من مبدعي الرواية العراقية على مدى أجيالها المختلفة.

الأعمال الناضجة في الرواية العراقية

لم تستطع الرواية العراقية حتى مطلع الستينيات أن تؤكد حضورها مع التفوق الفني. وشهد النصف الثاني من الستينيات ظهور الإبداع الحقيقي للرواية العراقية حتى يصح اعتبار الستينيات هي التاريخ الحقيقي لولادة الرواية الفنية الناضجة في الأدب العراقي الحديث. وللروائي غائب طعمة فرمان الفضل الكبير في توكيد هوية الرواية العراقية خلال هذه المرحلة والذي أصدر خلال الستينيات روايتين مهمتين هما "النخلة والجيران" (1966)و"خمسة أصوات"(1967). وقد استطاع هذا الروائي أن يرسي بفنه الروائي تقاليد راسخة للفن الواقعي في الرواية العراقية، وأن يغني المجال الروائي العربي بمجموعة طيبة من الأعمال الروائية، منها "المخاض"(1974)و"القربان" (1975)و"ظلال على النافذة"(1979).

وفي هذه المرحلة صدر العديد من الروايات، ومنها روايات "مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة" لفاضل العزاوي (1969)، و"عراة في المتاهة" لمحمد عبد المجيد (1969). كما ظهرت في

أوقات متفاوتة من الستينيات مجموعة من الأعمال التي تكشف عن التيارات المتباينة، منها روايات "ضباب في الظهيرة" لبرهان الخطيب(1968) و"رجلان على السلالم" لمنير محمد(1968) و"الرجال تبكي بصمت" لعبد المجيد لطفي (1969) و "المدينة تحتضن الرجا"ل لموفق خضر (1960) و"الزقاق المسدود" لياسين حسين (1966)و"السجين" لأنيس زكي حسن(1961) والحب أقوى لحازم مراد(1967)والأيام المضيئة (1961)والحقدالأسود(1966)لشاكر خصباك و"الظامئون" لعبد الرزاق المطلبي (1967)وغيرها.

إن التجربة الستينية قد نجحت في تجاوز الإطار التقليدي في البناء الروائي وتخلصت من الأساليب البدائية كما جددت اللغة الروائية. ولم يتضح هذا التأثير كاملا إلا في العقدين التاليين عندما بدأت بالظهور مجموعة من الأعمال الروائية الناضجة،منها روايات عبد الرحمن الربيعي ويوسف الصائغ وجهاد مجيد وأحمد خلف ونجيب المانع وسميرة المانع وعبد الرزاق المطلبي وعبد الأمير معلة وعزيز السيد جاسم وشمران الياسري وعبد الخالق الركابي وغيرهم[12].

الرواية النسوية

حدثت تحولات كبيرة في مجال حقوق الإنسان عموما والمرأة على وجه الخصوص في النصف الأخير من القرن العشرين. وذلك بأسباب شتى مثل كثرة الحروب المتوالية والتداعيات التي عقبتها. وتميز الشرق الأوسط وخاصة العراق في تاريخه بتعرضه الدائم لهذه النكبات ولانتهاك

12 - المصدر السابق

الحقوق الإنسانية عبر القرون. فبرز الاهتمام بالنتاج الفكري للمرأة أمام هذه التحولات الكبيرة حيث بدأت المرأة في البلاد العربية تتحرر شيئا فشيئا من القيود التي فرضتها ثقافات الشرق. قامت الكاتبات بمحاولة ابتكار لغة خاصة بهن للتعبير عن هويتهن ومشاعرهن وهمومهن.

صارت صدى القضايا العظيمة في حياة الشعوب تسمع في الأعمال الأدبية والفنية النسوية. وعلى الرغم من التحديات والشكوك وجدت الكاتبات في الرواية مساحة خصبة لإعادة كتابة تاريخهن المليء بالظلم والألم والمعاناة والتهميش. فأصبحت الرواية المكان الأنسب للمرأة للتعبير وللمساهمة في المناقشات والقضايا المختلفة ولنشر صوتها وتأثيرها في مجالات متعددة وقضاياامتنوعة. فالمرأة الأديبة حينما تعالج تلك القضايا،أضافت مسحة إنسانية عميقة ذات إحساس عال، متجاوبة مع طبيعة تلك القضايا. لقد أثبتت الكاتبة العربية في مجال الرواية جدارتها و إبداعها في التغلب على كل القيود التي تواجهجا. استغلت فضاء الرواية الخصب للتحدث عن خصوصيتها النفسية والوجدانية ولمدافعة الظلم الاجتماعي الذي لحق بها. بدأت الروائيات العربيات كتابة روايات رفض و تمرد على عادات المجتمع، و نظم تفكيره، مدافعات عن حقوق المرأة. يمتاز السرد النسوي الروائي بخصائص من إسناد البطولة للمرأة وكسرالطابوهات وتناول الموضوعات من صراع مع الأنا والآخر وصراع الذات مع نفسها وصراع الذات مع الآخر واستخدام اللغة النسوية[13].

13- قيرواني أمال، تطور الرواية السياسية النسوية في الوطن العربي "الحفيدة الإمريكية " لإنعام كجه جي أنموذجا، دراسة ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2012.

فلا بد من الإشارة إلى أن الأقلام الروائية النسوية العراقية قد احتلت منزلة طيبة على الساحة الأدبية العربية. وسطحت في سماء الرواية النسوية بالعراق روائيات فاقت شهرة بعضهن الحدود الوطنية لبلدهن. وتمت ترجمة العديد منها إلى اللغات المختلفة كما تم نقل بعضها إلى لغات مختلفة كالفرنسية والإنجليزية. وعلى سبيل المثال، إن الرواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي صدرت باللغات الإنجليزية والفرنسية والصينية والألمانية كما أن روايتها طشاري ترجمت إلى الفرنسية..وصدر لإنعام كتاب بالفرنسية والإيطالية واليونانية عن المأساة العراقية بأقلام النساء،يحمل عنوان"العراقيات يتحدثن :الدراما العراقية في كتابات العراقيات[14].

قد اختار العديد من الكاتبات العراقيات الهروب إلى خارج الوطن بينما الأخريات بقين داخله بغياب الاستقرار السياسي في العراق وتوالي الحروب. وعلى هذا، ظهر نوعان من الرواية النسوية العراقية: الرواية المنتسبة للعراق بالحكم الجغرافي كتبت على أرض العراق والرواية المنتسبة للعراق بالهوية كتب بديار الغربة البعيدة عن أرض الوطن. ومن الملاحظ أن النوع الثاني كان أكثر تركيزا حول هموم الشعب واضطرابه لما تمتع به من حرية لم تتوفر للروائيات اللاتي اخترن البقاء في داخل الوطن. والنوعان معا تم فيهما التركيز على موضوع النجاة والهروب بالنفس من المعتقلات ومن الحصار.

14 - هلن نعماوي زاده ،سهاد جادري، علي سهيار، إنعام كجه جي الصحفية والروائية العراقية : حياتها وآثارها، المقالة، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية ،الدوحة ،2014.

الحرب في الرواية النسوية العراقية

ليست الحرب في حياة العراقيين قضية قصة تنتهي، وإنما هي حالة مستمرة لاانقطاع، ولها آثارها في الأمة العراقية. فخلال الزمن الممتد من عام 1980 وحتى اللحظة الراهنة يتخبط العراق في حروب أنهكت بنية المجتمع وحولت حياة الناس إلى جحيم. كما يواجه مأزق مخلفات الحرب من هجرات وموت ودكتاتورية وعنف. وبالنسبة إلى الكتاب العراقيين الذين عاشوا مشاهد الحروب المتلاحقة، يبقى الأدب وسيلة للتعامل مع المصائب وتداعيات الحروب. ولذا لعبت الحرب في السنوات الأخيرة دورا مهيمنا في النتاج الأدبي الروائي العراقي وتركت بصمتها على الرواية العراقية عامة و النسوية خاصة. فظهرت نصوص تخاطب الإنسان الذي فقد مسراته واستقراره،وتصرح بأن الحرب ليست الجانب العسكري والقتالي فحسب، بل هي التدمير النفسي والأخلاقي قي نفوس المدنيين واليتم وإلغاء المواعيد والمآسي العائلية وموت العشاق والأبناء.

إن الروايات التي تناولت موضوع الحرب قد تحدثت عن الحرب بوصفها الخراب والدمار الذي عم البلاد. وهذه الطبيعة جاءت على العكس مما جاء في الرواية الغربية التي كانت دافعة للحماسة التعبوية [15]. وجسدت أثر الحرب النفسي والاجتماعي والاقتصادي في حياة الفرد العراقي كما ركزت على أثر الحروب في نفسية النساء وما جلبت عليهن من مصائب كنساء. فقد عانت المرأة العراقية من مرارة الفقدان التي تسببها الحروب، أي فقدان الأب والابن والزوج والأخ والحبيب، فكان لزاما عليها تحمل المسؤولية بدل الرجل المفقود. ومن الملاحظ أن أغلب

15 - د. داود سلمان العنكبي وغادوة جمال مكي ، قسم اللغة العربية ،جامعة بغداد ، الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج (2003- 2010) ، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد28 ،2017.

شخصيات هذه الروايات تخيم عليها ملامح الكآبة واليأس فضلا عن التشاؤم والسوداوية. فهي شخصيات مأزومة محبطة،فكريا ونثريا تشعر بالضياع وتحاول دائما البحث عن الاستقرار وتعاني الانكسار والضعف وتصارع الموت بالحياة. ومن روايات هذا النمط "ما بعد الحب" و"في الطريق إليهم" و"نساء العتبات" لهدية حسين و"سواقي القلوب" و"الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي و"الحدود البرية" و"نبوءة فرعون" لميسلون هادي و"عندما تستيقظ الرائحة" لدنى غالي و"حديقة حياة" للطيفة الدليمي و"حارسة النخيل" لسمية الشيباني وغيرها.

قد عانى الكتاب العراقييون ومن ضمنهم الروائيون في العقدين الأخيرين من القرن العشرين من تهديد مباشر لكينونتهم. وذلك مما سببته الظروف القاسية من الاستبدادات النظامية وتداعيات الحروب المتعاقبة. فأدت إلى هجرة عدد كبير منهم ما أنشأت نمطا روائيا جديدا في تاريخ الرواية العراقية والعربية. وتطور هذا النمط في المنفى باطراد سريع منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين. وهذا النوع تخصص بتناوله للموضوعات التي لم تتطرق إليها الرواية العراقية كمعاناة المنفى واختلاف الثقافات ومشكلة الهوية.

ومن سمات الرواية العراقية في المنفى أنها صرحت عن عذاب العراقي وخوفه وهلعه ومعاناته وتناولت من خلالها السير الذاتية للكتاب تجربة الاعتقال والحرب. وتعتبر بأنها سجل أدبي حي لتاريخ العراق الحديث ومدون للأحداث العامة وتداعياتها. وأن موضوعاتها تضمنت محنة المنفى والغربة بعد تشرد أكثر من خمسة ملايين عراقي موزعين في بقاع العالم، يعيشون في محيطات ثقافية غريبة عليهم. كما أنها انعكست عليها الحرية التي تمتع بها الروائي العراقي

والاحتكاك المباشر بالحضارة الغربية والاطلاع على أنماطها الثقافية ولغاتها. ومن أبرز الروايات التي عالجت مأزق المنفى وتداعياته الاجتماعية "عندما تستيقظ الرائحة" لدنى طالب و"أقمار عراقية سوداء في السويد" لعلي عبد العال و"موطن الأسرار" لشاكر الأنباري و"المحبوبات" لعالية محمود و"تحت سماء كوبنهاغن" لحوراء النداوي و"زنقة بن بركة" لمحمود و"الكلمات الساحرات"،"ألواح"،"بلاد سعيدة" لشاكر الأنباري و"في حافة القيامة" و"الخائف والمخيف" لزهير الجزائري و"في الجنان المغلقة" لبرهان الخطيب[16].

16 - سلام إبراهيم ،الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، ديسمبر 2012 ، العدد الثاني ؛ دورية "التبين "، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ،قطر.

الفصل الثالث: الرواية العراقية ما بعد الاحتلال

احتلال الولايات المتحدة للعراق

تعرف العمليات العسكرية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية على أرض العراق بحرب الخليج الثالثة والتي بدأت في 20 مارس 2003 واستمرت حتى 15 ديسمبر 2011. سمّت الولايات المتحدة وحلفاؤها هذه الحرب عملية لتحرير العراق وادّعوا أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل تهدّد أمن العالم وأنه يكون محورا للشر يتحدى على الديموقراطية[17]. والحق أن لجان التفتيش عن الأسلحة الدولية لم يجدوا دليلا على وجود أية أسلحة دمار شامل بالعراق وأقروا بأن كل المعلومات الاستخبارية كانت مغلوطة. قاموا بشن غارات متتالية ومكثفة على العراق باستهداف حاكمها وقيادة دولته ونشروا ظلاما خيّم على أجواءه وقدّموا على أهله حياة عشواء.

لم تهدف هذه العمليات إلا سلبا ونهبا لثروات العراق الخصبة ولم تكن إلا استغلالا لآثاره النيرة فسرقوا المتاحف والمكاتب وسائر الموارد. كما أنها تعد من سلسلة محاولات غربية لتقسيم البلاد العربية وتجميد حكومتها وتدمير مقدساتها. إن هذا الزلزال الذي ضرب العراق أكثر من ثمانية أعوام أحدث كارثة حقيقية لا يمكن وصفها، وما زالت آثارها والتداعيات المرة التابعة لها تنزل على شعبه بشتى صنوفها وتنعكس على الواقع العراقي الديني والاجتماعي

17 - الغزو الأمريكي للعراق – مبررات واهية ونتائج كارثية ، مقالة www.aljazeera.net 2016/12/23؛ يوم المراجعة 2020/09/12

والثقافي والسياسي وحقوق الإنسان والنظام السياسي. تباينت مواقف الأدباء العراقيين من الوجود الأمريكي في بلدهم وأبرزوها في أعمالهم الأدبية. ظهرت فرقة تجامل الاحتلال وتبارك ممارساته المختلفة ووصفوا الغزو بالتحرير من النظام الحاكم. بينما الفريق الثاني حملوا لواء ثقافة المقاومة ضد المحتلين وعدّوا الذين يمتنّون الاحتلال بأنهم أبناء الاحتلال وتابعوه وأنهم أقلام مأجورة وانتهازيون يبيّضون وجهه.

ظهور الروايات ذات الهوية الجديدة

إن الاحتلال وما تبعه أحدث تحولات كبيرة في المشهد الثقافي وانفتاحا أعظم على التجارب العربية والعالمية وآذن بميلاد جيل جديد من الروائيين تجرّؤوا على تصوير الواقع العراقي وتعقيداته. وتعلو هذه القضية في مقدمة الإشكالات التي تصدّى لها هؤلاء الروائيون لأن الحرب وما أعقبها من انقسامات اجتماعية وسياسية قدّمت مادة خصبة يستقون منها قصصهم. ففي مرحلة الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003 وتداعياته، أو مرحلة ما بعد التغيير صدر العديد في الأدب الروائي. وإن الظهور لمثل هذه الروايات أمر طبيعي ومتطلب في تاريخ الأدب. يقول باسم عبد الحميد الحمودي: "وإذا كان هذا العصر أدبيا قد تميز على المستوى الإنساني باقتراب كل الأشكال الأدبية من واقع الهموم الجماهيرية، ورصدها لحركة التاريخ ومعالجتها السلبية والإيجابية للظواهر الحضارية والسياسية المختلفة،استطاعتها الصمود والديمومة على مستوى الأدب والحضارة والتاريخ الأدبي أو الانغلاق

والضعف،عندئذ تولد من رحمها أشكال أدبية جديدة أكثر قدرة على التجاوب مع متطلبات العصر والمرحلة"[18].

وكان لهذا الحضور اللافت، ليس عراقياً فحسب بل عربياً وحتى عالمياً أيضاً، أسباب عدّة، منها أن مرحلة الحصار التي ضاقت خلالها السبل أمام المبدع العراقي من أجل نشر ما لديه، بسبب الضائقة المالية وقلة منافذ النشر التي توقف معظمها، وكذلك تعكّر المزاج العام للناس، وانحسار القراءة إلى حد ما، وصعوبة نشر المخطوطات في دار النشر الحكومية الوحيدة لكونها تنطوي على ما يتعارض مع شروط النشر، سواء لأسباب سياسية أو غيرها، فضلاً عن تراكم أعداد كبيرة من الأعمال الإبداعية وبقائها على الرفوف بانتظار الفرصة لنشرها .وحين أتت تلك الفرصة، تسابق المبدعون على نشر ما لديهم، وكان في معظمه حافلاً بنقد المرحلة السابقة. وهكذا، اكتظت المكتبات بالأعمال التي كتبت قبل الاحتلال، تعالج قضايا تلك المرحلة وفقاً لرؤية أصحابها قبل أن تتضح ملامح المرحلة الجديدة، أو تداعياتها، التي كانت قاسية ومحبطة بكل ما تعنيه الكلمة.

أما الروايات الصادرة في العراق بعد 2003 فتعكس التحولات العنيفة التي مرّت بالمجتمع العراقي عقب الحرب العراقيين داخل وخارج العراق كما أنها مرتبطة في أغلبها برابط" الوجع العراقي". فتتميز تلك الروايات بما أن ذات الكاتب المتحررة من قيود النظام السابق تصير بطلا رئيسيا لأغلبها. فسردوا عما رأوا من الأمريكية وما تركته من معضلات كالتهجير الطائفي والغربة عن الوطن وتلامس آلام المواطنين وأحلامهم حتى صارت مرآة عاكسة لأنين الواقع

18 - باسم عبد الحميد الحمودي، رحلة مع القصة العراقية، ص13، النسخة الالكترونية للكتاب ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1980

الذي عاشوا بكل قساوة وحاولوا أن يجدّدوا حياة للضحايا ليحكوا قصة موتهم. ولم يلتزموا بأي فكر أيديولجي أو ميول لفكرة قومية. فاعتمدوا على استخدام أسلوب حديث من حيث تسلسل الأفكار والسرد المشوّق والتلاعب بالألفاظ والعبارات وسائر فنون السرد الأدبي.

تبدو في هذه الروايات الفكرة " الإنسان العراقي أولا"، ولكنها لا تتمثل المقاومة ضد الاحتلال ولا تحاول طرد المحتل من الوطن؛ بل لا تزال تقاوم ضد نسيان حجم الفجيعة الذي يمكن أن يصيب المجتمع في المستقبل. فكأن كتاب هذه الروايات أرادوا اقتناص الصورة وتدوينها على الورق خوفا من انفلاتها عن الذاكرة؛ فقاموا بمجرد تصوير المشهد ونقل الواقع إلى كتابتهم. والعناصر الأساسية الجامعة بين أمثال هذه الروايات هي أنها تروي عن واقع المجتمع العراقي ما بعد الاحتلال والحرب المتعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وأنها تسجل الشهادات الواقعية وتوثّق الأحوال وانعكاساتها على طبيعة ومستقبل المجتمع العراقي أدبيا كما أنها تعرّي الاحتلال الأجنبي وفواجعه وتداعياته الاجتماعية وأهدافه من التدمير والتخريب.

لا ينحصر عدد الروايات التي حكيت على محور واحد وهو الساحة العراقية بوجود القوات الأمريكية والتي تميزت بنقل الواقع العراقي. ومن أبرزها : "حليب المارينز" لعواد علي و"حارس التبغ" و"أساتذة الوهم" لعلي بدر و"بنات يعقوب" لمحمود سعيد و"بين الجنة والنار" لأحمد غانم عبد الجليل و"الأمريكان في بيتي" لنزار عبد الستار و"أموات بغداد" لجمال حسين و"مقامة الكيروسين" لطه حامد الشبيب و"الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي و"يا مريم" لسنان أنطوان و"فرانكشتاين في بغداد" لأحمد السعداوي و"قيامة بغداد" لعالية طالب

وغيرها. ومن الملحوظ؛ بالرغم من كثرة إصدارات أدبية عالجت مشكلة الاحتلال ومآثره الجوهرية التي عصفت في بنية المجتمع بمساحاته العامة؛ أنه لم ينشأ في العراق المغزوّ تيار أدبي يمكن تسميته بأدب المقاومة [19]؛ ولم تجمّع الأعمال الأدبية الشعب العراقي يصطفون ضد أمريكا. بل جرى مجرّد الإنشاد والحكاية والسرد لما وقع فيه من التدميرات الشاملة وما ألمّ به من الفواجع الفادحة. ورواية "فرانكشتاين في بغداد" لأحمد السعداوي قد حازت جائزة البوكر للعربية سنة 2014 ودلت واضحة على أهمية الهوية الجديدة التي صاغتها روايات العراق الجديدة. ولإبراز ما انعكس في هذه الروايات مما حل بالعراق من تداعيات الاحتلال، تلخص هنا على سبيل المثال ثلاثة منها، وهي :

"يا مريم "

أما رواية "يا مريم "لسنان أنطوان[20]، فقد تمكن كاتبها بشكل واضح فتح كتاب حياة المسيحيين في العراق وما مر عليهم قبل وبعد الاحتلال وتدمير العراق وتقديمها كنص سردي متمتع بالصدق الخالص، أو شهادة مصدقة لأوضاع متراكمة من المعاناة والمأساة وتناقض المشاعر والأحاسيس وتباين الخبرات. والمؤلف يوظف ما يرويه بنصوص طقسية لتثبت جدارة السرد الذي اختاره للرواية، وتقدم للتاريخ سجلا واقعيا جارحا بروح وطنية.

بطلا الرواية يوسف ومها يسردان في حوارهما الداخلي والخارجي انتماءهما إلى جيلين مختلفين؛ كل منهما له همومه وفهمه لما يحصل بالعراق من الفواجع كتفجير كنيسة في

19- صديق م بي ،توثيق مآثر الاحتلال في الرواية الحديثة في العراق ،مجلة العاصمة ، المجلد الثامن ،2016

20 - يا مريم ،سنان أنطوان، منشورات الجمل،بيروت، 2013.

بغداد، واحتدام الدم الطائفي. فترى مها أن العنف موجه أساسا ضد أبناء الديانة المسيحية، بينما يرى يوسف أنه موجه ضد الجميع؛ الإرهاب لا يميّز بين ضحاياه ويلعب العمر والتجربة دورهما في أسلوب مشوق وفي تكثيف سرد يوم كامل من حياة شخصيات الرواية. تثير الرواية أسئلة جريئة وصعبة في وضع الأقليات في العراق الحالي حيث تبحث إحدى الشخصيات عن عراق كان (يوسف)، والأخرى تحاول الهروب من عراق كائن (مها)" في إطار عمل فني متميز.

"فرانكشتاين في بغداد "

في رواية "فرانكشتاين في بغداد "لأحمد السعداوي[21] يقدّم هادي العتاك، الشخصية الرئيسية، بائع المواد المستعملة والخردة بحي شعبي وسط بغداد، يمارس صناعة لصق بقايا بشرية من ضحايا الانفجارات في ربيع 2005 ويخيطها على شكل جسد كامل، كائن جديد بروح تشبهه، سماه هادي "الشسمه"، أي الذي لا يعرف ما هو اسمه، وتابعته السلطات باسم المجرم أكس، وأطلق عليه الراوية الصحفي في الرواية اسم "فرانكشتاين". يقوم هذا الكائن بحملة انتقام من كل من أسهم في قتله، أو من قطع الأجزاء المكونة له، كما تخيل أو خطط له صانعه. وفي هذه القصة تبرز روح الفانتازيا التي أجادها الروائي في سرده لحكاية صانع فرانكشتاين والشخصيات الأخرى التي جمعها في دوامة الجثث والدمار والتفجيرات والرعب وصراعات سكان المكان في زمان الاحتلال، مستخدما أسلوب السرد والوصف للشخصيات التي لعبت كل منها دورها وتلخيص ما حصل ودار طيلة زمن الرواية، بعد الاحتلال لبغداد وما

21- فرانكشتاين في بغداد،أحمد السعداوي،منشورات الجمل،بيروت،ط1،2013.

أثمر من فوضى كارثية. أراد الروائي في سرده وأساليب عرضه تسجيل المأساة التي حلت في العراق ورسم فيها رؤية فنية لواقع مضحك مبك، هزلي ومأساوي.

"قيامة بغداد "

رواية "قيامة بغداد" لعالية طالب [22] رواية تسجيلية توثيقية عبر سيرة ذاتية تجسدت فيها الروائية دور الشاهد الحي لما جرى في العراق منذ سقوط النظام العراقي ودخول قوات الاحتلال الأمريكي وما تبعه من أحداث؛ تروي الأحداث بأسلوب سهل متناغم ؛ ترسم لوحة الألوان الأساسية بدون الانحياز إلا لصالح الوطن، تأتي بالتفاصيل الجارحة والعبارات الفاضحة ؛ تسخر من ماضي حكم شمولي وحاضر حكم أفظع وأمرّ ؛ خاصة وأنه يوصف بالديموقراطية. إن أبطال الرواية هم العراقيون ومعهم أشباح الظلام الذين ألقوا بظلالهم الكامدة على ضوء الحياة ؛ لم يتدخل الأبطال في صناعة الواقع أو إعادة تشكيله ؛ بل قالوا كلمتهم بصدق. كما تشير إلى أن احتلال بغداد من قبل الأمريكيين كان احتلالا لجميع العواصم العربية وسرقة الأمريكيين لآثار العراق كان تدميرا لكل مقدس عربي. وعمق آثاره كأخاديد دجلة والفرات التي أصبحت قبورا للأبناء والأجساد البريئة والتراث والفن والفكر والأدب والعلوم والفنون العراقية. فصحت الرواية بكل وضوح عن إفلاس الساسة العرب وتنبأت بأن المحتلين سوف ينهبون غرف نوم المجتعات العربية التي خانت العراق ودعمت

22 - قيامة بغداد ،عالية طالب، مؤسسة شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ،2013

الأعداء وفسحت الطريق لهم. القيامة وقعت لا على العراق فقط بل على جميع العواصم العربية[23].

إن ما تحوي الرواية من أحداث مهولة تذكّر القارئ عن أهوال القيامة وترسم صورة سكرة سكان العراق وما هم بسكارى وأحوال شوارعه وتشير إلى استخفاف الأمريكان لهم حيث تقول :" تلفتُ بارتباك ودون وعي ورأيت شبابًا يركضون وهم يحملون القاذفات فوق أكتافهم، أين أذهب، وأي طريق سيكون أكثر أمنًا؟، فكرت أن أرجع لغرفة ابن أخي وأبقى في المستشفى، لكن الوقت يقترب من الخامسة مساءً، وهذا يعني أنني لن أعرف كيف أعود لمنزلي، لحظات رهيبة، وأخيرًا قررت أن أتخذ طريقي وأتكل على الله ". وتحكي الروائية القصة المؤلمة عن الاختطاف وإطلاق النار على الشبان:" كنتُ أشعر بالتعب، بل بشيءٍ أكبر من التعب، أشعر بالمرض دون سبب، لم تعد قوتي تساعدني على الاستماع لكل البشاعة التي أجدها أينما توجهت. قيل لي إن شابًا اختطف من أحد الأزقة قبل أيام، أعيد إلى أهله بعد أن تُرك أمام منزلهم وهو فوق صينية كبيرة مطبوخًا، ومعه ورقة تقول: (اشربوا الشاي بعد أن تأكلوه). هل يصدق أحد أن هناك بشاعة في العالم تستطيع أن تفعل هذا؟". وتتضح صورة الواقع المجتمع العراقي الراهن في قول الكاتبة لصديقها حينما زارته في مستشفى وهو مربوط بأجهزة تديم حياته؛ تقول له: "إنك ستكون أحسن حالا منَّا نحن الذين لم نعد نعرف كيف سنعيش بأيام بلا مستقبل واضح"[24].

23- صديق م بي ،توثيق مآثر الاحتلال في الرواية الحديثة في العراق ،مجلة العاصمة ، المجلد الثامن ،2016

24- عالية طالب ،قيامة بغداد، مؤسسة شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ،2013

واقع الرواية العراقية المعاصرة

منذ سقوط النظام الدكتاتوري عام 2003 وحتى الوقت الراهن، ظهر عدد كبير من الروايات العراقية التي أخذت على عاتقها تسجيل الأحداث والمتغيرات التي طرأت على الواقع العراقي وقامت بتوثيق الحروب والموت والسجون والزنزانات ومصادرة كرامة الإنسان وحريته. وقد رصدت هذه الأعمال أيضا الاحتلال والإرهاب وتشظي الهويات وضياع الأحلام، وتناولت المواطن العراقي وما يعانيه من اضطهاد وتدهور في كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

تخلص الروائي في هذه المرحلة من قيود الخوف والاضطهاد، وامتلك نوعا من الحرية في التعبير عن الواقع. ونتيجة لذلك صدرت أعمال متلائمة مع واقع الأمة العراقية بخوفها وآلامها وأحزانها. وجاءت هذه الروايات تؤسس واقعية جديدة، هي الواقعية العراقية في زمن العنف[25]. وقد امتزجت هذه الواقعية بالفنتازيا لتجسد الحالة العراقية المعقدة في انعكاسها. وكانت هذه الروايات شاهدا على مسيرة العراق السياسية والاجتماعية تحت الآلام والمعاناة ووثيقة للذات الجريحة والمنكوبة بالعنف المنتشر كالوباء. كما أنها أصبحت مدونة لشتى أنواع القتل ومرثية للأسى العراقي وسجلا موثقا للتداعيات.

25- لؤي حمزة عباس وغانم حميد عبودي، تمثلات العنف والموت في الرواية العراقية ما بعد 2003 ، مجلة جامعة ذي قار ، المجلد9، العدد2014،2 .

مضامين الروايات الجديدة

كان الواقع الذي عاشه العراق- ومازال- يحمل حزمة من المتغيرات ابتداء بسقوط النظام السابق ودخول القوات الأميركية وما تبعتها من عمليات قتل وتفجير مروع وأحداث جسيمة متنوعة. فكل هذه المتغيرات أسهمت وبشكل مباشر في صياغة وعي جديد للفكر العراقي، مما أدى إلى ظهور موضوعات عدة اشتغلت عليها الرواية الجديدة والتي تميز بها هذا النوع من الروايات التي صدرت قبل المتغيرات، ومنها :

1. اللجوء والتغرب

تحتل ظاهرة التغرب جزء مهما من الروايات العراقية المعاصرة، فأغلب النصوص الروائية العراقية تتحدث عن معاناة المغتربين العراقيين الذين تركوا وطنهم كراهية لأسباب سياسية أو دينية أو اقتصادية. وكشفت هذه النصوص الحياة التي تواجهها الشخصية المهاجرة واختلاف الأنظمة وحاجز اللغة والتقاليد والدين بين الوطن والمهجر، مما سبب تصادما وصراعا داخلا بين الوطن الأصل وبين الوطن الجديد الذي التجأت إليه الشخصية. فيلاحظ تشبث الشخصية بالماضي والحنين إليه وذكريات أيام اللهو والصبا مما يزيد من قيمة الماضي ويتيح له مذاقا خاصا. وتوجد نصوص روائية تناولت قضية اللجوء والتغرب. ومن أبرز الروايات التي عنيت بهذه الظاهرة "البلد الجميل" [26]،"امرأة القارورة"[27]، "حارس التبغ"[28]،"مرافئ الحب السبعة"[29]،"سواقي القلوب"[30]، "الحفيدة الأميركية "[31]، "الركض وراء الذئاب"[32].

26 - البلد الجميل،أحمد سعداوي،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط1 ،2004.

27 - امرأة القارورة ،سليم مطر، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد،ط3 ،2010.

2. السجون والمعتقلات السياسية

يعد موضوع السجون السياسية من الموضوعات الأساسية في البنية الروائية، بوصفه ظاهرة نافية لحقوق الإنسان ومبادئه اللازمة. وقد قامت الرواية بإبراز أساليب القهر السياسي والألوان المختلفة من القموع والاضطهادات والتعاذيب النظامية في المعتقلات. وتصرح بأن هذا القهر هو مظهر من المظاهر التي تسببت من غياب الديمقراطية في المجتمع[33]. وصورت هذه الروايات تصويرا واضحا كل ما تعرض له الفرد العراقي في المعتقلات السياسية التي لم تفرق أي تفريق بين رجل أو امرأة، كبير السن أو طفل صغير، بل ضمت جميع الفئات. كما عبرت أزمة الحرية من خلال تصويرها لمشاعر المسجونين وإحساسهم بالرعب والوحشة وانتهاك الحرمات. ومن الروايات التي كشفت هذا الموضوع رواية "مقامة الكيروسين"[34].

3. محاربة الأقليات

قد نالت مسألة الأقليات عناية كتاب الرواية العراقية في فترة ما بعد الاحتلال، حيث صوروا في أعمالهم كل ما يعانيه الفرد من الطبقات الأقليات، وفي مقدمتهم المسيحية واليهودية من

28 - حارس التبغ ،علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت، ط2008،1

29 - مرافئ الحب السبعة،علي القاسمي،المرطز الثقافي العربي، المغرب،ط2012،1

30 - سواقي القلوب، إنعام كجه جي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت،ط1، 2007.

31 - الحفيدة الأميركية، إنعام كجه جي،دار الجديد ،ط2 ،2009

32 - الركض وراء الذئاب ، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت،ط2007،1.

33) راما عبد الجليل راضي الأوسي،المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة،قسم اللغة العربية،كلية التربية جامعة القادسية 2017 ، يوم المراجعة :2020/09/12 www.mobt3ath.com

34) مقامة الكيروسين،طه حامد الشبيب،مركز التواصل لبحوث التنمية والحوار المدني،2007.

ظلم وتشرد واضطهاد وسائر أشكال العنف. وتتولى الرواية "يامريم" لسنان أنطوان والرواية"حارس التبغ" لعلي بدر وغيرهما هذه الإشكالية بكل الوضوح[35].

4. العنف والموت

إن المنجز الروائي العراقي الجديد أبرز مظاهر العنف المتعددة والمشاهد القاسية وقام بتجليتها القوية. كما صور الحياة جحيما لا يطاق وسط رماد العنف بما فيها الجثث والرؤوس المقطوعة والاغتيالات وسائر فجائع الشؤم.

5. موضوع المرأة

يعد موضوع المرأة في الرواية العراقية المعاصرة من الموضوعات التي تناولها الكتاب بعناية كبيرة. فالمرأة في روايات هذه المرحلة مرتبطة بطبيعة الظروف السياسية القاسية التي مر بها العراق. والحروب وتداعياتها أثرت المرأة بشكل خاص. وهي ضحية في كل الأحوال، إما أرملة أو ثاكلة أو منتظرة لزوجها المعتقل الذي لن يعود، وتصير تتحمل جميع مسؤوليات العائلة بدل زوجها المفقود. فيلاحظ الشجون المتغمد والأسى المحيط بالشخصيات النسائية في الروايات. ويحصر هنا ذكر روايتين فقط من تلك الروايات التي عالجت موضوع المرأة "طين حري" لطه حامد الشبيب و"ريام وكفى" لهدية حسين.

35) راما عبد الجليل راضي الأوسي،المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة،قسم اللغة العربية،كلية التربية جامعة القادسية 2017 ، يوم المراجعة :2020/09/12 www.mobt3ath.com

6. الإرهاب

قد انتشرت في العراق في حقبة ما بعد 2003 المجازر الوحشية والاختطافات المروعة وتغييب مصائر الناس وفقدان الأمن والسلامة. وكل هذه الظواهر صارت منعكسة على روايات هذه الحقبة. فأخذت تلك الروايات على عاتقها مهمة القيام بتسجيل كل هذه الظواهر وبتوثيق مآثر الاحتلال وتداعياته وتصويرها تصويرا واقعيا. ومن الصعب أن يوجد عمل روائي صادر منذ هذه المدة الزمنية يخلو من ظاهرة الإرهاب الذي استهدف كل طوائف الشعب وحميع بقاع بلاد العراق والذي استباح الدم العراقية تحت ما يسمى بمقاومة المستعمر الأجنبي. ويلمح هذا الموضوع جليا في "وحدها شجرة الرمان" لسنان أنطوان و"فرانكتشاين في بغداد" لأحمد السعداوي وفي "قيامة بغداد" لعالية طالب وفي "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم [36].

7. مسألة الهوية

أصبح العراق مركزا بارزا لمسألة الهوية لعقود طويلة، الأمر الذي اضطر العراقي إلى ترك أرضه ومحاولة اللجوء إلى وطن آخر. فمن الطبيعي أن تصير هذه القضية مثيرة الاهتمام من جهة الروائيين، إذ ليس هناك جنس أدبي أقدر من الرواية للتعبير عن الهوية والدفاع عنها ومحاولة استرجاعها. والجوانب المختلفة من مسألة الهوية تعرض في عديد من روايات ما بعد التغيير الذي حدث بالعراق.

36- عجائب بغداد، وارد بدر السالم، دارالثقافة للنشر والتوزيع ،أبوظبي،2012

ويتضح مما سبق أن أغلب روايات العراق ما بعد الاحتلال عالجت المشاكل الاجتماعية وسائر الظروف الفوضاوية التي نتجت من الأشكال الإرهابية المختلفة السائدة والشائعة في الشعب العراقي وأزمة الهوية المتداعية إثر الاحتلال. ويُبحث لاحقا عن كيفية تناول الروايتين "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي و"عجائب بغداد" لوارد بدر السالم لهاتين القضيتين.

الباب الثاني: رو اية "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي

الفصل الأول: إنعام كجه جي وإسهاماتها الأدبية

الفصل الثاني: رو اية "الحفيدة الأميركية"

الفصل الثالث: الكتابة النسوية في" الحفيدة الأميركية"

الفصل الر ابع: سمات الشخصية الرئيسية

الفصل الأول: إنعام كجه جي و آثارها الأدبية

إنعام كجه جي

ولدت إنعام كجه جي في بغداد عام 1952 في عائلة محافظة. كان والدها ضابطا وحقوقيا في الجيش في العهد الملكي. وكان خبيرا متضلعا في اللغة العربية. نشأت تحت إنصاف الوالد وفي ظل حنان اللغة والنحو والشعر العربي. ومنذ طفولتها كانت ترغب في أن تصبح صحفية عندما تكبر مثل خالها الوحيد الذي كانت له جريدة في البصرة في ثلاثينيات القرن العشرين. وزاولت دراستها في العاصمة العراقية وتخرجت من جامعتها كلية الآداب التي اكتسبت فيها خبرتها العلمية والمهنية والأدبية.

عملت إنعام محررة في الصحافة المحلية ومارست الترجمة والإعلام. وأعدت برامج لإذاعة "صوت الجماهير" و"تلفزيون بغداد إلى باريس". وانتقلت إلى فرنسا عام 1979، وحصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون. ولا تزال تعيش في باريس حتى الآن. تزوجت بسمير حنا، الفنان والمتخصص في الإخراج المسرحي. أما ولدهما فيعمل مبرمجا للموسيقى في إذاعة فرنسا الدولية وبنتهما تعمل في إعداد الأفلام الوثائقية .

وواصلت العمل في المجلات العربية المهاجرة إلى باريس. وكانت لها بالإضافة إلى البحوث والتغطيات الثقافية أعمدة في كل من "الوطن العربي" و"الحوار" و"الدولية". وتسلمت إدارة تحرير مجلة "الدولية". كما كانت مديرة لتحرير مجلتي "غادة" ثم " الجيل" الصادرتين من باريس. وحاليا تعمل مراسلة باريس لجريدة "الشرق الأوسط" في لندن وكاتبة عمود في مجلة "كل الأسرة " في الشارقة.

كما أنّها هي الأديبة التي تجاوزت الصحافة إلى موهبة أخرى هي السرد الذي تبرع فيه. وهي صاحبة خيال واسع؛ بالاضافة إلى معرفة وثقافة واسعتين بتاريخ العراق الوطن الأم، والبلد الغني بتعدّديته وأساطيره وحكاياته الثرية، وتاريخ فرنسا، البلد الذي جاءت إليه للدراسة ما بعد الجامعية.

إسهاماتها الأدبية

كتبت روايات مشهورة تعبر عن المشاكل الاجتماعية العراقية والظروف المأزومة المأساوية.

- روايتها الأولى "سواقي القلوب"[37]. ترجمها محمد حزبايي زادة إلى الفارسية كما ترجمت إلى الإيطالية .

- روايتها الثانية "الحفيدة الأميركية"[38]. ترجمت إلى الفرنسية تحت عنوان"Bagdad je t'oubli" ("إذا نسيتك يا بغداد") من قبل عُلا مهنا وخالد عثمان. وصدرت طبعتها الفرنسية عن دار ليانا ليفي الباريسية عام (2009). وترجمت إلى الإنجليزية تحت عنوان "The American Granddaughter " من جهة دار بلومزبيري مؤسسة قطر للنشر، قامت بهذه الترجمة ناريمان يوسف، المترجمة الأدبية المصرية. وقد امتدحت مجلة بانيبال [39]ترجمة ناريمان يوسف قائلة: "النسخة الإنجليزية المترجمة بمهارة بواسطة ناريمان يوسف، تعد

37 - سواقي القلوب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت،ط1، 2005.

38 - الحفيدة الأميركية، دار الجديد ، بيروت ،ط1 ، 2008.

39- المجلة الأدبية المستقلة تصدر ثلاث مرات سنويا، تهدف إلى تعزيز مكانة الأدب العربي بترجمته إلى الإنجليزية، أسستها الكاتب العراقي صموئيل شمعون والناشرة البريطانية مارغريت أوبانك سنة 1998.

إضافة مرحب بها إلى الأدب العربي في الترجمة"[40] . كما ترجمت إلى الإيطالية والثينية والفارسية.

- روايتها الثالثة "طشاري "[41] التي ترجمت إلى الفرنسية تحت عنوان "Le Despesés". ولقد حصلت هذه الرواية على منحةالصندوق العربي للثقافةوالفنون(آفاق). ونالت جائزة مؤسسة "لاغاردير" الفرنسية للرواية العربية 2016، كما ترجمت إلى الإيطالية.

- رواية "النبيذة"[42] هي التي صدرت لها رابعة من إنتاجاتها الأدبية والتي صدرت ترجمتها الكردية من جهة الكاتب شير زاد هيني. وترجمت إلى الفارسية كما ترجمت إلى العبرية من جهة كفاح عبد الحليم، الصحافية والمترجمة الفلسطينية عن دار النشر في مشروع مكتوب[43] .

- رواية "صيف سويسري" هي التي صدرت لها مؤخرا عن الدار المصرية اللبنانية بالتعاون مع دار تكوين. هي حكاية أربعة عراقيين يلتقون في بازل لتجربة عقار لعلاج الإدمان العقائدي، أحزابهم أعطبتهم ودمرت بلدهم. وكانت المدينة السويسرية تقدم لهم البونبونات وتعيد وصل حب مؤجل.

40- ناريمان يوسف –ويكيبيديا - يوم المراجعة -2021/8/1 ، www.ar.m.wikipedia.org

41 - طشاري ؛ دار الجديد ؛ بيروت ؛ط1 ؛2013.

42- النبيذة ، دار الجديد ، بيروت ، ط1 ،2017..

43 - مشروع فلسطيني مخصص لترجمة الأدب العربي إلى العبرية. ومن بين الأعمال الأدبية العربية الأخرى التي قام هذا المشروع بترجمتها "أولاد الغيتو" لإلياس الخوري و"زمن الخيول البيضاء" لإبراهيم نصر الله و"ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي.

وقد تم اختيار ثلاثة من رواياتها ضمن لائحة الشرف للجائزة العالمية للرواية الأدبية العربية(IPAF) المعروفة باسم "جائزة البوكر العربية" والتي تهدف إلى مكافأة التميّز في الأدب العربي المعاصر وتشجيع الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً. اختيرت "الحفيدة الأميركية" على اللائحة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية 2009؛ و"طشاري" اختيرت على القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية 2014، و "النبيذة" دخلت في القائمة النهائية القصيرة لجائزة البوكر العربية 2019.

الكتب والمجموعة القصصية

- الكتاب الأول بالعربية هو سيرة روائية لزوجة جواد سليم،النحات والرسام العراقي بعنوان"السيرة الروائية للرسامة لورنا هيلز وسنواتها" بالاشتراك مع جواد سليم. يحكي هذا الكتاب عن تفاصيل حياة الزوجين لورنا هيلز وجواد سليم من خلال رحلة قامت بها الكاتبة للبحث عن لورنا المقيمة الآن في لندن تعيش خريف عمرها تتأمل الحقول الملبدة بضباب منطقة لانوفر جنوب ويلز بعد أن اضطرت للعودة من العراق في عام 1971 وهي تحمل في جوانحها ذكرياتها لأكثر من عشرين عاما عاشتها تحت وهج الشمس البغدادية المتألقة. إنها مازالت وحتى هذه اللحظة ترسم البيوت والحارات وشناشيل بغداد القديمة، ومازالت تستخدم ذات الألوان(ألوان الطين) التي تميز الجو العراقي وتفضلها على ألوان الريف الإنكليزي[44].

44 - لورنا، سنواتها مع جواد سليم - دفتر الصوت - إنعام كجه جي (https://www.storytel.com/ae/books ، يوم المراجعة: 20-09-2024

- الكتاب الثاني عن المأساة العراقية بأقلام النساء، يحمل عنوان"العراقيات يتحدثن: الدراما العراقية في كتابات العراقيات"وصدر هذا الكتاب بالفرنسية تحت عنوان" Paroles d"Irakiennes"عن منشورات لو سيربان آبلوم(Le Serpent a Plumes) كما صدر بالإيطالية واليونانية أيضا.

- المجموعة القصصية "بلاد الطاخ طاخ" صدرت عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة. هذه المجموعة تعتمد التنويع السردي وتواجه الواقع بالفانتازيا والسخرية السوداء. كان القهر، بتنوع مظاهره وأشكاله، أحد المواضيع الرئيسية التي أدرجت في هذه القصص، حيث تعبر عن دلالة مركزية تتماشى مع السياق العام الذي كتبت فيه تلك المجموعة، والذي يتضمن الاضطرابات العربية في أوائل التسعينات والذي انتهى بالغزو الأميركي للعراق، وما ترتب عليه من شتات عراقي في المنافي. في قصة "بلاد الطاخ طاخ"، تتخيل الكاتبة الحاكم المستبد وقد تحول إلى تمثال شمعي، لكنه يحتفظ بقدرته على الحركة ومساومة الحارس ليحرره من وقفته الأبدية. هذا التمثال، اللامع والعاجز، محبوس في مخزن بلا نوافذ، لا يدرك الليل من النهار، مما يجعله غير لائق كأحد القادة العظام. وقد أصبح حكام العالم زعماء عاجزين ومُفلسين، محبوسين في هذا المخزن، بينما يتمتع "الأشوس" بحرية التجول فيه ومشاهدة فيلم يتم تصويره عنه. فيسعى لإنقاذ الفيلم من "الميوعة" ويقترح على المنتج والمخرج أن يؤدي دور البطولة، فهو لا يُضاهى. يحقق الفيلم نجاحاً كبيراً، وتمتدح الصحافة "الوجه الجديد الموهوب".

تلجأ الكاتبة إلى الفانتازيا لتظهر أن آثار الاستبداد تستمر حتى بعد وفاة المستبدين. يتجلى هذا الاستبداد بوضوح في قصة "مسدس من ذهب"، حيث يصف الراوي الرعب الذي شعر به عندما استُدعي لمقابلة الحاكم الجبار. وكانت المفاجأة أنه استدعاه ليمتدح قصيدته الجديدة. يتعجب الراوي من إعجاب الحاكم ويتساءل: "كيف يمكن لفارس مثله أن يعجب بشعر بلا وزن أو قافية؟ كلمات عفوية كتبتها بعد سهرة طويلة مع العرق، حيث أرغبت في التحليق كطائر في الفضاء". لكنه يغفل عن فطنة الحاكم الذي يفهم أن التحليق يرمز إلى الهروب من واقع مؤلم. يسعى الحاكم لتدجينه من خلال هذه الهدية الغامضة التي لا يعرف الراوي كيف يستخدمها، متسائلاً: "ماذا يفعل شاعر بمسدس؟". وقد أثرت الهدية بشكل مريع عليه، حيث شلت فكره وجعلته غير قادر على الكتابة بسبب خوفه "من الصور والمفردات، ومن خيالاته التي قد تقوده إلى التهلكة". فينقذه زوج شقيقته الكبرى، الذي يقوم بترخيص المسدس باسمه. ورغم أن صهره قد أهداه الكمبيوتر الذي كان يتمنى الحصول عليه، إلا أنه ابتعد عن عالم الشعر[45].

المقالات

لإنعام كجه جي الكثير من المقالات، نشرتها في مجلة "الشرق الأوسط" و"إيلاف"، اليومية الإلكترونية من لندن. عناوينها الساخرة تدل على مدى اهتمامها بالمواضيع المحرجة التي

45 - محمد السيد إسماعيل- إنعام كجه جي تقص حكايات القهر في "بلاد الطاخ طاخ"- https://www.independentarabia.com/node/295361- يوم المراجعة : 17 -01- 2022

كتبها يراعها. وهذه العناوين تبين تلك المأساة التي عاشتها هذه الكاتبة العراقية المتنقلة من بلد إلى بلد. ومن مقالاتها :

على نفسها جنت جاعش، راكبة الدراجة، متحف بدون حب، عيون الحكومة السود، نجيب محفوظ والبنت البيضاء، جواد سلسم يتظاهر في بغداد؛ أستاذ حشرات ممنوع من العرض، الكهرباء غائبة وأم كلثوم، السوربون في المحكمة، وردة وبليغ، ذكرى سميح القاسم، أين قضيت إجازتك؟، بيت على الوردي، ثرثرة هاتفية، جاءت المنحة هلابيها، البريكية في الأولمبية، باريس. . زحام على الشعلة الأولمبية، إضراب الصحافيين، يا قلم من يشتريك؟، عن أي أخلاق يتحدثون؟، الأسير البدوي، الحديقة الخلفية للحرية، من رأى الوروار؟، تجري تبارز تسبح تتخطى الحواجز.

وفيما يلي مقالة نشرت بعنوان "عن أي أخلاق يتحدثون؟" في " الشرق الأوسط": "مادة جديدة أضيفت هذا العام إلى المنهاج الدراسي في العراق. سيدرس التلميذ منذ سنته الابتدائية الأولى القيم الحسنة ومبادئ التعامل السليم. كان لنا جار يدعى خلوق. اسم ما عاد متداولاً اليوم. والمفردة نفسها صارت تحتمل الجدل. كأن هزّة ضربت المنظومة الاجتماعية التي كانت أساساً للتربية. وصلنا مرحلة نحتاج فيها إلى تخصيص فصول لتلقين ما يفترض أنه متوارث ومحدد ومعروف، يتلقاه الطفل منذ تفتّح وعيه في البيت.

على غلاف كتاب التربية الأخلاقية للصف الأول الابتدائي رسم لخمسة أطفال. ولدان وثلاث بنات يبتسمون. وهناك من اعترض لأن أياً من الطفلات لا تغطي شعرها. وكانت لدينا حصص للتربية الوطنية، أو القومية. القصد من أغلبها نشر مبادئ سياسية معينة. وهناك دائماً درس

الدين. والدين في الجوهر هو الأخلاق. جاء في حديث للرسول الكريم: «إنما بُعِثْتُ لأتمّم مكارمَ الأخلاق.

نقرأ في تفاصيل الخبر أن كتاب الأخلاق من تأليف أساتذة متخصصين في المديرية العامة للمناهج في العراق وبالتعاون مع منظمات دولية وجهات تربوية علمية. سيكون التركيز على الجوانب القيَمية والسلوكية للطلبة. وهو «منهج متناغم مع ما نصت عليه المادة 2 من قانون وزارة التربية لسنة 2011 والتي تنص على تنشئة جيل واع مؤمن بالله والقيم الدينية والأخلاقية والوطنية، محب لوطنه ومتمسك بوحدته أرضاً وشعباً وبالقيم الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير (...) معتز بالتراث العراقي وثقافة التنوع القومي والديني، منفتح على الثقافات العالمية. جيل ينبذ جميع صيغ التعصب والتمييز (...) بما ينسجم مع أحكام الدستور.

تتوالى التقارير، منذ سنوات، حول استشراء الشهادات المزورة في البلد. فضيحة معروفة مثبتة لا تجد من يلجمها. نواب ووزراء ومحافظون وأساتذة جامعات حصلوا على درجاتهم الأكاديمية من تحت السلّم. اشتروها من مؤسسات هلامية في بلدان مجاورة. ليس مستبعداً أن يشترك بعض هؤلاء في وضع منهج درس الأخلاق.

لنعترف أن الوضع لا يحتمل التأجيل. لا بد من البدء ولو من نقطة الصفر. سوف نجرّب وننتظر النتائج. الأمل في حسن النوايا. سينقرض جيل طاوياً معه مآسيه وأدرانه ويأتي جيل حفظ كتاب التربية الأخلاقية السليمة. من يضمن ألا تعود سليمة إلى عادتها القديمة؟ إن

القضية أكبر من كتاب للصف الأول أو للصف الأخير. ولكي يشفى البلد لا بد من كنس دكاكين التحزّب والفضائيات الطائفية ومافيات الفساد والمخدرات وسلاطين الظلام. تعال يا عم سام وخذ من جئت بهم.

كيف تشرح للطالب المساواة ونبذ التمييز في بلد تحكمه المحاصصة؟ ما مفهوم الأمانة وهو يرى المناصب العليا يشغلها مجرم أو عميل أو سارق أو مرتشٍ؟ أو كلهم معاً في جسد واحد؟ كيف تفسّر المعلمة لطفلة في السابعة معنى الأخلاق وهي تدرك أن قانوناً قد يسمح بتزويج تلميذتها بعد سنتين أو ثلاث؟"[46].

لم تكتف الأديبة إنعام بكتابة المقالات والروايات، بل أنجزت أفلاما وثائقية قصيرة، منها ما أعدت عن الطبيبةالعراقية نزيهةالدليمي، أول امرأة في العالم العربي عينت في منصب وزيرة. و"محجوب عمر خدام اللطافة" هو فيلم وثائقي جديد، والذي يلقي الضوء على شخصية محجوب عمر المناضلة وعلى مساره اللانمطي في عالم الطب والصحافة والنضال والشعر والأدب.

كما ترجمت أعمالها التي كتبتها بالعربية إلى عدة لغات، منها الفرنسية والإنجليزية والفارسية. وتميل أغلب كتابات إنعام كجه جي عن معاناة العراق من ويلات الحروب المتعاقبة عليها حيث أنها تسعى إلى أن تدون سيرة العراق التي زلزلته الحروب.

46 - إنعام كجه جي ، عن أي أخلاق يتحدثون؟ ،. الرأي - https:/// aawsat.com- 5058700 - يوم المراجعة : 20-09-2024

التجربة الكتابية

تعبر الكاتبة عن دافعها الأول للكتابة هكذا :"أظن أنني كنت سأواصل العمل في الصحافة، مهنتي التي أمارسها منذ أكثر من 30 سنة، لو لم يحصل ذلك الزلزال الذي هز بلدي وقلب كل المفاهيم والقناعات ومحا القيم التي كنت وجيلي قد نشأنا عليها وتصورناها راسخة إلى الأبد. ثم بدأت أسئلة من نوع جديد تقتحمني: ماذا فعلت الحروب المجنونة بهذا البلد العريق؟ وكيف جاء الأميركان ومن معهم ليشجعوا العراقيين على الطائفية والفوضى ومحاصرة المرأة والنهب وانتهاك حقوق الأقليات وكل الممارسات التي يحرّمونها في بلادهم؟ ولأنني صحافية، فقد كان نفسي قصيرا. أكتب الخبر والتحقيق في المساء وأراه منشورا في الصباح التالي. أما الرواية فجنس أدبي يستدعي الصبر وانتظار نضوج الحكاية بالاشتغال عليها سنوات. لكن ما مر على العراق أوقد في جوفي نارا لا تخمد بمقال هنا ومقابلة هناك. كأنما الحروب أرحام ولادة للروايات، كأنما الروايات بنات الحروب. وجدت لدي مؤونة من التجارب والشخصيات التي تطالبني بحقها في الحياة والحركة والكلام واتخاذ المواقف وتسجيل حكايات الناس الساقطين من تقارير الصحف وكتب التاريخ. كنت أسعى لأن أوضح للناس المحيطين بي في بلد المهجر أن بلدي الأم ليس مجرد آبار للنفط أو مستودع لأسلحة الدمار الشامل، وأن العراقيين يجيدون الحب أكثر مما يحبون الحرب، وأنهم أهل سماحة وحضارة وثقافة وشعر وطرب ومواهب شتى. جاءت الكتابة الروائية عندما حان وقت حضورها، بعد أن رأيت البلد يتفتت والقيم تتراجع لتطفو محلها قيم وحقائق جديدة، وكان أكثرها إيلاما النبرة الطائفية وتقسيم العراق إلى حصص وغنائم. في تلك اللحظة، شعرت أن الكتابة هي بشكل من الأشكال محاولة للملمة

البلد المكسور والمفتت. كنت أريد أن أثبّت العراق الذي عرفت على الورق مثل الأمهات اللواتي يواصلن التقاط الصور لأطفالهن لكي تحفظن مراحل النمو. وعندما يكبر الولد ويصبح رجلا، أو تصبح البنت عروسا، فإنهما يعرفان أي طفلين كانا"[47].

انتقال إنعام كجه جي إلى الكتابة الروائية جاء بعد أن تجاوزت الخمسين. وتصف هذا الانتقال بأنه كانت تنتظره منذ سنين حيث تقول: "أسعدتني هذه النقلة مثل امرأة رزقت طفلا بعد سن اليأس، لكن الأمر لم يكن تحديا بقدر ما كان مخاضا طبيعيا، كأنني كنت أنتظر ولادة الرواية بعد فترة حمل دامت سنيناً. وأهم هواجسي كان أن أستفيد من تجربتي كقارئة، بل كفأر قراءة، وأن أكتب بروح شابة ما كنت أشتاق إلى مطالعته في كتب الآخرين، وأن أمسك بتلابيب القارئ فلا أدعه يفلت ويترك الكتاب. ولهذا فإن مكافأتي الحقيقية هي حين يقول لي أحدهم إنه قرأ كتابي دفعة واحدة، أو سهر معه حتى أنهاه، كما نسهر مع رسائل من نحب. وعندما ترجمت الروايتان اللتان نشرتهما، كان سروري عظيما حين يقول لي قارئ فرنسي أو إيطالي إنه صار يفهم ما يحدث العراق بشكل أفضل"[48].

تقول الكاتبة عن مجيئها إلى عالم الروايات إنه كان متأخرا مع أن دخولها إلى الصحافة وعالم الكتابة لم يكن متأخرا. بل تدعي أنه كان مبكر جداً. وتضيف ": ونشرت لي مجلة "ألف باء" أولى قصصي القصيرة وأنا في الخامسة عشرة. وفي سن السابعة عشرة بدأت العمل في جريدة يومية وانتظروا بلوغي السن القانونية لتعييني على الملاك. ولأنني صحافية فقد كان نفسي

47- حوار حول الحفيدة في العرب القطرية ، مجلة الدوحة؛ 2010/11/6 ؛ www.dohamagazine.qa

48 - المصدر السابق

قصيراً. أكتب الخبر والتحقيق في المساء وأراه منشوراً في الصباح التالي. أما الرواية فجنس أدبي يستدعي الصبر وانتظار نضوج الحكاية بالاشتغال عليها سنوات. لكن ما مر على العراق أوقد في جوفي ناراً لا تخمد بمقال هنا ومقابلة هناك. ووجدت لديّ مؤونة من التجارب والشخصيات التي تطالبني بحقها في الحياة والحركة والكلام واتخاذ المواقف وتسجيل حكايات الناس الساقطين من تقارير الصحف وكتب التاريخ. جاءت الكتابة الروائية عندما حان وقت حضورها، وكنت قد بلغت الخمسين، وهي سن قد تكون متأخرة لبدء حرفة جديدة، لكن غواية السرد كانت أقوى مني" [49].

كانت لإنعام كجه جي روتين يومي خاص بها عندما تكتب رواية. وتفسر هذا الروتين حيث تقول :"عندما أبدأ كتابة رواية، ينقسم يومي إلى شطرين، الصباح للكتابة الصحافية «لقمة العيش»، والليل للكتابة الروائية. وأنا من الذين يبكرون في الاستيقاظ. أبدأ نهاري بكوب الشاي بالحليب، التركة التي نقلتها لي والدتي وكانت تعلمتها من أيام الانتداب البريطاني، ثم أسقي نباتات البلكون قبل أن أجلس على الكومبيوتر لأقرأ الصحف وأرد على الرسائل، وهذا يلتهم بضع ساعات. بعدها أكتب عمودا لمجلة في الإمارات وصفحة اجتماعية لمجلة أخرى، وأبعث أخبارا لجريدة عربية تصدر من لندن، وتكون الساعة قد بلغت الرابعة بعد الظهر، فأنهض وظهري يتكسر لكي أقوم بحركات مط «ستريتشنغ»[50]، وأدخل المطبخ لأعد طعام أسرتي، أو أضع الثياب في الغسالة، وأرتب البيت، ثم أرتاح أمام التلفزيون أو أخرج إلى المقهى للقاء صديق أو صديقة. في المساء، أقرأ كتابا و «أتصفح» التلفزيون أي أراه «دياغونال»

49 - مقابلة الى وسيلة بنبشي الجزائرية مع سعاد جروس ؛ جريدة الأخبار ؛ www.al-akhbar.com

50- مصطلح أساسي في عالم الرياضة، يعدّ صافرة الانطلاقة والنهاية في كل جولة التمارين.

(diagonal) كما يقول الفرنسيون عن الكتب التي يلقون عليها نظرة سريعة، وعادة ما تكون السماعة على أذني؛ لأن زوجي يشاهد برامجه على شاشة ثانية، وأنام مثل الدجاج قبل العاشرة. أما إذا كنت داخل رواية فإنني أضبط المنبه على الواحدة بعد منتصف الليل، واستيقظ لكي أكتب لساعتين أو ثلاث والكل نيام "[51].

يتضح مما سبق أن الكاتبة إنعام كجه جي الروائية والصحفية العراقية هي الأديبة التي استطاعت أن تضع اسمها على خريطة الأدب العربي والعالمي، حيث أن رواياتها الثلاثة قد ضمنت لائحة الشرف باختيارها لقائمة الجائزة الدولية للروايات العربية. وهي الروائية التي حققت الهدف الأسمى والأكبر لأي روائي وأديب، وهو ترجمة أعماله للغات أخرى، وانتشارها خارج قطرها الأصلي العربي.

ملخص الروايات

"سواقي القلوب "

هذه الرواية هي البداية في مسيرة كجّه جي الروائية. وأحداثها تدور بين بغداد وباريس. وتسرد قصة بطل أمضى زهرة حياته مغتربا في باريس، المدينة التي يرى فيها الموطن الأرحم والمأوى الأكثر أمانا. كما أنها تقدم عوالم متداخلة وتاريخا شخصيا لأسماء عديدة في إطار متخيل. وإضافة إلى ما تمتلكه هذه التحقيقات من رمزية، فإنها تسهم في زيادة منسوب الإبهام بواقعية الحكاية. فكانت "سراب"رمزا للغياب، و"زمزم" الصديق النقي كالنبع في زمن الغربة، و"سوزان" التي تذكر بعدد كبير من السوزانات و"ساري" ذلك الفتى العليل في المسلسل

51 - حوار حول الحفيدة في العرب القطرية ، مجلة الدوحة؛ 2010/11/ 6 ؛ www.dohamagazine.qa

التلفزيوني المعروف،و"كاشانية"تلك المرأة الأصيلة التي تتجدد كلما مر عليها الزمان مثل ذلك النوع من السجاد الثمين[52]. وقد جعلت المشاعر الإنسانسة السليمة بين هؤلاء، فكانوا يلتقون في منزل كاشانية خاتون مثل عائلة واحدة متوادة، رغم اختلافاتهم العرقية وأصولهم المناطقية المتباينة ومعتقداتهم الدينية والسياسية المتعددة.

وترتبط مصائر هذه الشخصيات الهاربة من العراق راهنا بالماضي العراقي. فيجدون أنه ليس هناك أي قيمة للنجاح الفردي أو الخسارة الشخصية أمام خسارة الوطن. هذه الشخصيات وان كانت هاجرت إلى مصير آخر فهي برحيلها لم تتخط دائرة الخسارة التي تحل بالجميع فالهارب مثل الباقي يعاني الحروب والحصارات والتعسف ويعيشها في لحمه ودمه[53].

"طشاري "

تسرد هذه الرواية قصة طبيبة مسيحية اسمها وردية اسكندر من الموصل، تنتقل وعائلتها إلى بغداد تدرس الطب وتضطر للعمل في مدينة الديوانية النائية. وحينما وقع الاحتلال الأمريكي للعراق واهتز المجتمع العراقي وتعرض المسيحيون للقتل والتهديد والتفجير للكنائس، اضطر أعضاء هذه العائلة إلى مغادرة العراق، فعانوا من آلام الغربة والتفرق. وعنوان الرواية نفسه

52 - هلن نعماوي زاده ،سهاد جادري، علي سهيار، إنعام كجه جي الصحفية والروائية العراقية : حياتها وآثارها، المقالة، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية ،الدوحة ،2014.

53 - سواقي القلوب" رواية أولى للعراقية أنعام كجه جي تستدعي الذاكرة وتسائل المكان – المقالة ؛ جريدة الغد ؛ يوم المراجعة : 2021/07/05

يعبر باللهجة العراقية عن التفرق والتشتت[54] الذي يمثل تفرق العوائل والأقارب في أصقاع الأرض. فإن الرواية تمثل رواية الوطن المفقود كما أنها تفضح عن تشظي الذات العراقية وتمزق الهوية الوطنية جراء ما أصابها من أحداث وتحولات سياسية واجتماعية إثر الاحتلال. وتصف أحوال الناس وشؤونهم ومشاغلهم، وتعمد إلى تمثيل وقائع التعايش والتسامح والمحبة التي كانت سائدة بين الناس، دون أن يلتفت أحد منهم إلى الفوارق الدينية والطبقية.

الرواية تعكس واقع الشتات الذي عرفه المجتمع العراقي، واقع تترجمه للقارئ عائلة إسكندر، الأم في فرنسا،الإبنة هند في كندا، ياسمين في دبي، وأخيرا الابن براق في هايتي. وهي نافذة على واقع العراق اليوم، عراق أهلكته الحروب، وشتته الأعراف.

"النبيذة "

يمتزج في هذه الرواية الزمن الذي يأخذ القارئ في جولة عبر الأحداث والسنوات، بطلتها سيدة تمثل تمازج الأعراق والثقافات وتداخل القيم الشرقية، تجمع شخصياتها ماضي العراق بحاضره المؤلم. وتشير إلى أيام الثورات العربية القديمة والانقلابات والأحداث الكبرى التي عصفت بالأمة العربية، منذ عهد الملكية حتى الجمهورية وما بينهما من مظاهرات وحروب وحركات تمرد في أرجاء الوطن العربي كله، من العراق شرقًا إلى مصر والجزائر غربًا[55].

54 - أ.د. نصرة أحميد جذوع ، الوطن في الرواية النسوية العراقية ، دراسة ، مجلة جامعة الأنبار للغات واالآداب ، كلية التربية للبنات ، جامعة الأنبار،2017.

55- إبراهيم عادل ،«النبيذة»: عمرٌ من الأحلام والهزائم العربية – إضاءات ، يوم المراجعة : 2019/02/12 ، www.ida2at com.

بطلة هذه الرواية هي تاج الملوك عبد المجيد؛ الصحافية المتحررة صاحبة مجلة الرحاب التي رعاها نوري السعيد في أربعينيات بغداد. وهي شاهدة على الكثير من الأحداث التاريخية الفارقة، بالمصادفة حينًا وبالمشاركة أحيانًا، لتقلب في تاريخ العراق منذ عهد الاحتلال الإنجليزي وما دار في أيامه من معاهدات بين المحتل والملك، وكيف ثار الناس عليه وانقلبوا، وكيف تحولت حياتها بناءً على تلك الثورات والتغيرات السياسية الكبرى. والشخصية الثانية هو زميلها الفلسطيني في إذاعة كراتشي الذي هاجر إلى فنزويلا وصار مستشارا لرئيسها هوغو شافز. كما أن الشخصية الثالثة هي وديان الملاح؛ عازفة الكمان في الأوركسترا السمفونية العراقية التي يثقل أذنيها صمم عوقبت به لأنها تمردت على نزوات المدرب.

وتجسد الرواية انصهار الذات المؤنثة في التاريخ وارتباطها الحميمي بالأرض. وتصور تشتت الروح العراقية بين مرارات شقاء الدكتاتورية العمياء التي ترسمها الراواية بوجع من خلال شخصية وديان التي تنتمي لعائلة محترمة كما أنها تسكن ذاكرة الأجيال التي عاشت تحت نيران الدكتاتورية التي تسلط فيها أبناء الحكام والمقربين منهم على حياة الناس. كما أنها جمعت بين الهم العربي العام وهموم أبطالها الخاصة ؛ وجعلت القارئ يسير فيها مدفوعًا بالحكايات التاريخية التي ربما يكون قد سمع عن بعضٍ منها، والشخصيات والزعماء السياسيين المعروفين مثل أحمد بن بلا[56]، ونوري السعيد [57]وغيرهما، وبالثورات والأحداث السياسية التي تبدأ منذ العصر الملكي وتنتهي عند ثورات الربيع العربي. ومما يلاحظ بالجدارة

56- أول رؤساء الجزائر يعد الاستقلال ؛ أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني عام 1954؛ سجنته الحكومة الفرنسية بالفترة من 1954 إلى 1962,

57- سيسي عراقي شغل منصب رئاسة الوزراء في المملكة العراقية من 1930 إلى 1958.

اهتمام الكاتبة بحضور المرأة القوي في الأعمال الروائية الأربعة. توجد في"سواقي القلوب" شخصيات نسائية متعددة؛ وفي"الحفيدة الأميركية"الجدة والمترجمة؛ وفي"طشاري"الطبيبة الأم والطبيبة البنت؛ وفي"النبيذة": الصحافية تاج الملوك عبد المجيد. وورديان الملاح؛ عازفة الكمان. كما أن رواياتها تسرد التهجير والشتات العراقي والحياة في المنفى.

"صيف سويسري"

هذه الرواية هي التي صدرت مؤخرا من روايات الكاتبة. تحكي قصة أربعة عراقيين يلتقون في بازل لتجربة عقار لعلاج الإدمان العقائدي، أحزابهم أعطبتهم ودمرت بلدهم. وكانت المدينة السويسرية تقدم لهم البونبونات وتعيد وصل حب مؤجل. وجاء على غلاف الرواية: "هي رواية تفوح برائحة الأوطان الباكية والناس الضائعة، هي رواية تحمل معها في ثِقَل كل صفحة أطنانًا من إخفاقات أهل صفحاتها".

وغالبية هذه الشخصيات في روايات إنعام كجه جي تأتي من بيئة قريبة من الطبقة الوسطى التي تحظى بمستوى جيد من التعليم والثقافة، وعلى صلة مع العالم الخارجي، وتلتقي أيضاً عند مسألة الانتماء القوي للعراق. والكاتبة حاولت أن تتناول وتسلط الضوء على هؤلاء الشخصيات الذين طردوا واضطروا أن يتركوا بلادهم،وانحرفت مصائرهم بسبب الأوضاع والنزاعات السياسية.

كما أن حضور باريس في كل الرويات يشكل وجها آخر،ذلك هو الحرية. وجه غير مألوف في بغداد في زمني الديكتاتورية والاحتلال الأميركي الذي سبب تداعيات شتى ومآثر ساحقة للبلد.

الفصل الثاني : "الحفيدة الأميركية"

تُعد رواية "الحفيدة الأمريكية" للكاتبة إنعام كجه جي تجسيدًا لتفاعل الفرد مع صراعات الانتماء الوطني ومعاناة من يضطر إلى مغادرة وطنه، ليواجه واقعًا جديدًا يفرض عليه التكيف مع ثقافات وظروف غريبة. تتجلى في هذه الرواية مواضيع متشابكة ببراعة، حيث استعرضت الكاتبة بمهارة وبأسلوب فني عال عدة نقاط أساسية. تضمنت هذه النقاط البارزة: الحنين إلى الوطن والشجن، التضارب في هوية الفرد، فقدان الانتماء، معاناة الحروب وما تتضمنه من خراب وتفجيرات وانهيارات، وتفشي الطائفية. أوجزت ببراعة مأساة الفرد الذي يجد نفسه يعيش تجاذبات بين وطنين مختلفين، تعبر عن قصة معقدة تسير أغوار تجربة الهجرة وتأثيرها على الإنسان.

عنونت الكاتبة إنعام كجه جي روايتها بالاسم المنسوب إلى الشخصية الرئيسية؛زينة بهنام. وهي الفتاة المسيحية عراقية الأصل من أب آشوري وأم كلدانية. أبوها شمعون بهنام كان مذيعا تلفزيونيا وأمها هي بتول ابنة العقيد الركن يوسف فتوحي الساعور الذي عمل في الجيش العراقي إلى قيام ثورة 1958والتي كانت أستاذة جامعية. هاجرت وهي مراهقة مع والديها من العراق إلى الولايات المتحدة. فرت عائلتها من تعذيب واضطهاد السلطة الحكومية.

غادرت عائلة زينة بهنام هربا من مصير مخيف وعدم حالة أمنية في بقائهم بالعراق. وذلك بعدما تدخل أحد أصدقاء في قضية والدها شمعون بهنام ودبر له وسيلة للتمكن من أن يهرب من عذاب السجن. وهذا العذاب كتب على شمعون بهنام ؛المذيع التلفزيوني الذي أصبح

مطلوبا أمنيا، نتيجة وشاية مخبر سري بعد أن احتج أمام زملائه على طول نشرة الأخبار في التلفزيون العراقي وإعادتها مرارا وتكرارا، فوشى به أحد زملائه.

عاشت هذه العائلة في فقر وضيق في أمريكا أرض المليونريات. تربت زينة بهنام هناك وانفصل الأب عن الأم للتوتر والضيق وأدمن الأخ الأصغر الحشيش. وكان على زينة بهنام أن تبحث عن عمل. وكان العمل الأمثل الذي يمكن أن يدرّ دخلا ترمم به حياتها وحياة أسرتها أن تعمل مترجمة في الجيش الأميركي .

عادت زينة بهنام إلى العراق وهي في الثلاثين،كمترجمة ضمن صفوف الجيش الأميركي. وكان معها حين عودتها الادّعاء بأنها في سبيل جلب الديمقراطية والحرية إلى وطنها الأول ؛ حسب الأيديولوجية الأميركية "بث الديمقراطية ونشر الحرية في العراق "ولئن كان الإغراء المالي هو الذي دفعها في الحقيقة إلى الانخراط في صفوف الجيش الأميركي." سبعة وتسعون ألف دولار في السنة. ماكل شارب نايم "[58]. وتجري أحداث الرواية كافة في العراق،ما بين تكريت والموصل وبغداد. وتتواجه الحفيدة المجندة في الجيش الأميركي مع جدتها السيدة الموصلية رحمة،أرملة عقيد أفنى عمره في خدمة الجيش العراقي والتي تصطدم على عودة حفيدتها باللباس الكاكي. كما تريد أن تعيد تربيتها من جديد وتستعين في ذلك بطاووس المربية العجوز التي رعت العائلة المسيحية، وهي المسلمة التي تعيش في مدينة الصدر مع أولادها الستة الذين يعمل بعضهم مع جيش الصدر. وتقع المترجمة الأميركية المسيحية في غرام مهيمن الإسلامي الذي يعمل مع جيش المهدي والذي هو في نفس الوقت أخوها في الرضاعة.

58- إنعام كجه جي ؛ الحفيدة الأميركية ؛دار الجديد، بيروت ؛ط 4 ؛ 2016 ؛ ص -15.

تبين إنعام كجه حي كيف خطرت لها فكرة الرواية "الحفيدةالأميركية": " طرح علي احتلال العراق أسئلة كثيرة. وكنت أبحث عن إجابات لعدد من الألغاز، منها: كيف يمكن لمواطن عراقي أن يتعاون مع الجيش الذي جاء يحتل بلده؟ كيف يكون دليلا له أو مترجما؟ وكان بين هؤلاء أناس أعرفهم وأعرف الكثير عن نشأتهم وأفكارهم. ومنهم زميلة سابقة لي من أيام الدراسة الابتدائية، هاجرت إلى الولايات المتحدة وتفرقت بنا السبل سنوات طويلة حتى عرفت أنها تعمل مترجمة في بغداد. بزغت الفكرة في رأسي مثل نبتة شيطانية تطالب بحقها في النمو وفي الشمس وفي الماء. وسمحت لها بما أرادت وتركتها تتسلق كومبيوتري وتتمدد عليه، لنرى إلى أي نقطة ستصل. لكنني لم أكتب رواية واقعية ولا تسجيلية، رغم أنني تحايلت على القارئ لكي تبدو كذلك، بل حاولت أن أكتب الخيال الذي لا يمكن تصديقه، بل يمكن تصديقه، هذا الذي رأيته بعيني يتمشى في شوارع بغداد ويتكلم بلغة أعرف حروفها ولا أفهم معانيها، يوم عدت إلى مسقط رأسي بعد الحرب مباشرة في صيف 2003 "[59].

أما اختيارها لهذا العنوان فهو كما تقول: " إنها حكاية بنت عراقية اسمها زينة، هاجرت مع والديها إلى أميركا وحصلت على جنسيتها، بعد أن تعرض الأب للاعتقال والتعذيب بسبب وشاية تافهة. وهي قد كبرت في ديترويت وعاشت تفاصيل أحداث 11 من سبتمبر، وشعرت بأن البلد الذي فتح لها ولعائلتها أبوابه مهدد في الصميم؛ لذلك تطوعت للعمل كمترجمة مع الجيش الأميركي الذاهب لقلب النظام في مسقط رأسها، خصوصا أن الإغراء المادي كان كبيرا. لكن المغامرة تحولت إلى كابوس بسبب انفلات الوضع هناك، خصوصا بعد أن تلتقي زينة

59- حوار حول الحفيدة في العرب القطرية ، مجلة الدوحة؛ 2010/11/6 ؛ www.dohamagazine.qa

بجدتها رحمة، آخر من بقي لها من الأقرباء الذين تعرفهم في بغداد. كنت أكتب، بسرعة محمومة، الفصل تلو الآخر، في محاولة للحاق بزينة وفهم دوافعها، لا لكي أبرر لها فعلتها، التي هي سقطة في رأيي، وإنما لكي أسجل واقعا لشخصيات قائمة وأرد عليها بما أملك من شخصيات مضادة تسكن في بالي وذاكرتي. ومن هنا جاء الاصطدام بين الحفيدة الأميركية وبين جدتها أرملة العقيد في الجيش العراقي، المرأة العجوز التي هان عليها الموت على أن ترى حفيدتها تلبس بزة جنود الاحتلال"[60].

أحداث الرواية

الرواية تغطي المرحلة الزمنية السابقة لعام 2001– وهو العام الذي دمر فيه البرجان في مدينة نيويورك – ممتدة إلى عام 2008. تدور أحداثها في حقبة احتلال الولايات الأميركية المتحدة للعراق. تصور الرواية الانقسامات السياسية والاجتماعية بين العراقيين من مؤيد ومعارض لغزو أميركا العراق؛ فتعرضت لتباين موقف ثلاثة أجيال من نساء عراقيات ينتمين إلى أسرة واحدة، تجاه الوجود الأميركي العسكري في العراق. كما تظهر الموقف السياسي المتباين لدى الطوائف العراقية المختلفة، مع وحدة الهدف منه، وهو هدف يتمثل في بناء عراق أفضل.

تبدأ الأحداث في الرواية بعد دخول القوات الأمريكية المحتلة العراق ووصول الفتاة الأميركية العراقية الأصل زينة بهنام؛ بطلة الرواية إلى بلدها بعد سقوط نظام صدام؛ لتعمل مع القوات

60 - المصدر السابق ، www.dohamagazine.qa

الأميركية كمترجمة، مدفوعة بضغط الحاجة المادية التي ستؤمن حلّا لمشاكلها الأسرية؛ وبدون دافع وطني ومشاعر حنين إلى مسقط رأسها.

بعد أسبوع حادثة اصطدام الطائرة ببرج نيويورك أعلنت الأف. بي.آي عن حاجتها إلى مترجمين عرب، وعنوان موقع على الإنترنت لتقديم الطلبات. قرأت زينة الإعلان وشعرت بمزيج من الهشاشة والحماسة وفكرت عن إمكانية تقديم نفسها لمساعدة بلدها الذي حضنها في هذه المحنة؛ وأدركت أن على مثلها أن تخدم دولة أميركا.

وزينة كانت تعاني من الحالة الفقيرة الكئيبة التي تواجهها نفسها وأسرتها. فنظرت إلى الفائدة المالية والمبلغ المقدم من قبل الحكومة الأميركية إلى المتبرعين بالانضمام إلى الجيش الأميركي." سبعة وتسعون ألف دولار تكفي لأن يدفع الأبناء آباءهم وأمهاتهم إلى ساحات الحرب، تضاف إليها خمسة وثلاثون في المائة مخصصات خطورة، ونسبة مماثلة لأتعاب المهنة ومصاعبها، ويصل المبلغ إلى مائة وستة وثمانين ألف دولار في السنة. رقم يكفي لوداع حي سفن مايل[61] البائس إلى غير رجعة،ويكفي لدفع مقدم بيت فسيح وسط حدائق ساوثفيلد[62] واقتناء سيارة جديدة بالكاغد، كما أنه يكفي لإرسال أخي يزن، الذي صار اسمه جايزن، إلى مصحة لعلاج الإدمان وإدخاله،بعد ذلك،إلى الجامعة"[63]. فوجدت هذه الآونة فرصة لأن تدرّ دخلا لأسرتها ترمم به حياتها وحياة أسرتها، وملأت طلبا وقررت أن تقدم نفسها لهذه الخدمة.

61 - يقع شاطئ سفن مايل (Seven Mile Beach) على الساحل الغربي لجزيرة جراند كايمان (Grand Cyman).

62- ساوثفيلد (Southfield) مدينة تقع بولاية ميشيغان (Michigan) في الولايات المتحدة.

63- المصدر السابق ، ص-16

عندما تقرر أن تخدم كمترجمة في الجيش الأميركي كانت تؤمن أن أهل العراق هم يستقبلونها باتجاه الشرف. وتخيلت أنهم لن يصدّقوا أعينهم حين تفتّح لهم الحرية ويرشفون حليب الديمقراطية. وأنها حين تصطف في هذه الخدمة تصنع معروفا عظيما لهم. "نحن كنا نصنع مستقبلا جديدا لهذا البلد الذي يحتضن عظام أجدادي وكان يوما حاضنتني"[64].

فعادت البطلة إلى الأرض التي غادرتها قبل خمس عشرة سنة [65]، لا عودة زائرة مشتاقة إلى مسقط رأسها، بل جندية إلى أرض قتال بوصولها إلى العراق، التقت زينة بجدتها من الأم، المفتخرة بالحسّ الوطني الكبير ؛ وهي الجدة رحمة جرجس الساعور. ومع ذلك الالتقاء يبدأ الصراع النفسي الحقيقي لدى زينة، الذي عانت منه معاناة قاسية حتى نهاية الرواية.

ففي بادئ الأمر،حاولت أن تخفي من جدتها الهدف الحقيقي للعودة،وكذبت على جدتها أنها تشتغل مترجمة في شركة للمقاولات كما أنها مندوبة من الأمم المتحدة لمراقبة المهمات التي ينفّذها الجيش الأميركي في أوساط المدنيين العراقيين[66]. فالجدة ترفض عمل حفيدتها في الجيش الأميركي، وتحاول إعادتها إلى رشدها، فيما يتعلق بالاحتلال وموقفها منه، وتذكرها عن مجد وطنها العريق. لكن زينة تقاوم محاولات جدتها رحمة فيما يختص بموضوع عملها مترجمة في الجيش الأميركي. ولكن مع مضي الوقت، تبدأ زينة بإدراك صحة موقف جدتها من الاحتلال الأميركي للعراق، وذلك عندما تتجلى أمامها الانتهاكات الإنسانية التي اقترفها الجيش الأميركي بحق أهل العراق.

64- المصدر السابق ، ص- 94

65- المصدر السابق، ص- 40

66- المصدر السابق، ص – 66 -67

وينتهي هذا الصراع الذي مزق وجدان زينة بين جانبيها الأميركي والعراقي، وبخاصة بعد موت جدتها رحمة حسرة على الحفيدة الضالة. "ماتت بسبب عاري، عارالحفيدة الأميركية"[67]. واتخذت قرار عدم تجديد عقد عملها مع الجيش الأميركي في عام 2008[68]. وعادت إلى أميركا وهي تعبر عن ارتباطها الذي أضحى عميقًا ببغداد : "لم أجلب معي هدايا ولا تذكارات، لا أحتاج لما يذكّرني بها، أقول مثل أبي: شُلّت يميني إذا نسيتك يا بغداد"[69]. وهذا يؤكد انتهاء الصراع الداخلي للبطلة، الناتج عن ازدواج هويتها، بعودتها إلى جذورها.

ولاحقا،توضح المراحل النفسية التي مرت بها زينة بسبب هجرة أسرتها من العراق، عن طريق التجزئة لحياة البطلة إلى ثلاث مراحل على أساس عامل الهجرة؛ (1) ما قبل هجرة البطلة مع أسرتها إلى الولايات المتحدة وأثنائها (2) حين عودتها إلى العراق مع الجيش الأميركي (3) رحيلها نهائيًا عن العراق بعد عدم تجديد عقد عملها مع الجيش الأميركي.

المرحلة الأولى: ما قبل الهجرة و أثنائها/ مرحلة الطفولة

هذه المرحلة مرتبطة في أغلبها بطفولة زينة. وتحكى هذه المرحلة في الرواية بأسلوب الاسترجاع الذي يطغى على هذه المرحلة من حياة البطلة. فعبر أسلوب الاسترجاع يوقف السارد تنامي الأحداث في الزمن الحاضر، ليعود إلى الماضي مسترجعا بعض الأحداث التي وقعت فيه[70]. في

67-المصدر السابق ، ص-181

68 - المصدر السابق، ص-187

69 - المصدر السابق ، ص- 190

70 - وجدان يعكوب محمود ،كلية التربية الأساسية،الجامعة المستنصرية و د. زينب هادي حسن ، قسم اللغة العربية ،كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ؛ المفارقات الزمنية في الرواية النسوية العراقية 2003 – 2013 ، دراسة ، مجلة كلية التربية للبنات، ج29 ، 2018.

رواية "الحفيدة الأميركية" تعتمد الكاتبة على ذاكرة زينة في هذه المرحلة مرتبطة بسنواتها الأُولى من نشأتها في العراق، وهي ممتدة إلى الأعوام العشرة الأولى من عمرها. فزينة وهي الساردة الأساسية في النص الروائي، تحكي قصتها بأسلوب تصاعدي، يعتمد على ذاكرتها المنفتحة على الماضي.

أما عائلة زينة صباح شمعون بهنام فهي عائلة آشورية كلدانية من مسيحيي الموصل في العراق. فوالدتها هي بتول ابنة العقيد الركن يوسف فتوحي الساعور الذي عمل في الجيش العراقي إلى قيام ثورة 1958. أما رحمة جرجس الساعور فهي جدة زينة لأمها. ولزينة أخ واحد وهو يزن بهنام. تزوجت والدتها الكلدانية، وهي موظفة في جامعة من جامعات مدينة بغداد، من والد زينة الآشوري، المذيع التلفزيوني صباح بهنام عن قصة حب، دون الاكتراث بمعارضة والدها لهذا الزواج. وقد أُرضعت زينة عند بلوغها من العمر شهرين من قبل رفيقة عائلة والدتها، التي تنتمي إلى المذهب الإسلامي الشيعي في العراق، طاووس[71]، والتي أصبحت بذلك أمًا ثانية لزينة. ومن ثم أصبح أبناء طاووس إخوة بالرضاعة لزينة. وسبب إرضاع طاووس لزينة في ذلك العمر، هو إصابة بتول والدة البطلة بحمى التيفوئيد [72].

وقد تميزت حياة زينة في طفولتها، بدرجة عظيمة من السعادة، بسبب رعاية الأسرة لها بمحبة كبيرة ومودة واسعة. فنعمت زينة بصحبة جدتها رحمة في تلك المرحلة من عمرها، في بيت الأسرة الكبير. فقد تربت وترعرعت وحفظت قصص تاريخ العائلة التي قصتها عليها الجدة،

71- إنعام كجه جي ؛ الحفيدة الأميركية ؛دار الجديد، بيروت ؛ط 4 ؛ ص- 129.

72- المصدر السابق، ص- 161.

وشعرت زينة بارتباط وطيد بأهلها في الموصل، المدينة التي أحبتها عندما زارتها في تلك المرحلة من حياتها. ففي هذه المدة، كانت زينة الطفلة تحس بارتباط وطيد بأسرتها وعائلتها المتجذرة في العراق، مما جعل ربطها تلقائيًا بوطنها. واحتضنت ثقافة طائفتها المسيحية، ومع انشراح الصدر تقبلت ثقافات الطوائف الأخرى المتنوعة في العراق. وقد تمثل ذلك في علاقتها وعلاقة عائلتها المرتبطة والوطيدة بطاووس وأسرتها، حتى أن أدّت إلى تأكيد روح التسامح والتعاون بين شتى طوائف المجتمع العراقي في تلك الآونة من تاريخ العراق.

كما أن التسامح الذي اتسم به الشعب العراقي، في هذه المدة، بين الطوائف المختلفة، لم يقتصر بما يخص بزينة وعائلتها على شكل العلاقة المتمثلة بينهم وبين أسرة طاووس المسلمة الشيعية؛ بل امتد من الناحية الاجتماعية إلى دائرة الجيران في الحي الذي يسكنونه ببغداد. ومن ذلك علاقتهم بالمنتمين للطائفة الشيعية،مما كان يحمل زينة على الاحتفال معهم بمناسباتهم الدينية،مثل الاحتفال بمناسبة عيد الغدير لدى الطائفة الشيعية. تربت على حب اللغة العربية، التي أتقنتها بفضل والدها الذي كان يجيد اللغة العربية مع كونه آشوري الأصل،إلى أن أدّت إلى تقوية شعورها بالانتماء إلى الثقافة العربية. ودعم هذه الفكرة لديها، أيضًا، جدها الكلداني يوسف فتوحي الساعور، الذي وقف بجانب الفكر القومي العربي وقد كان جدها يشغل منصب عقيد ركن في الجيش العراقي، وأحيل إلى التقاعد بعد ثورة 1958، ليتسلم من بعد ذلك وظيفة مستشار قانوني لمصلحة سكك الحديد في بغداد.

كما أن المدرسة الإرسالية الفرنسية للراهبات، التي درست زينة فيها، ووالدتها من قبل؛ قد أرست أواصر انتمائها إلى العراق، وإلى بيئتها المسيحية، والثقافة العربية، بشكل قوي. فعن

طريق هذه المدرسة تعلمت مبادئ دينها، بالإضافة إلى اللغة العربية التي كانت تدرس بها المواد. واعتناء هذه المدرسة بإقامة رحلات للطالبات إلى مختلف المدن في العراق بهدف تعرّف تاريخه، أوجد عند زينة الذكريات الخاصة بها لبعض الفضاءات والأمكنة الجغرافية والتاريخية لتلك المدن. من ذلك زيارتها لمئذنة الملويّة في مدينة سامراء، مما أدى إلى إحساسها بالارتباط الوطيد بوطنها الأصلي بشكل أكبر.

وقد ظلت زينة، مرتبطة بثقافتها العربية حتى بعد أن استقرت أسرتها في ولاية ديترويت بأميركا[73]؛ وذلك لتمسّك أسرتها بالتحدث باللغة العربية وباللهجة العراقية في البيت, أما اللغة الإنجليزية ظلت لغة الشارع مستعملة خارج حدود بيت الأسرة[74]. هذا إلى جانب أن أغلب أصدقاء زينة في ديترويت كانوا من العراقيين واللبنانيين ومن جنسيات عربية أخرى، تألفت بينهم عصابة لهم. تلتقي هذه العصابة في مطعم عربي، أول سبت من كل شهر[75]. وزينة كانت هي الزعيمة التي تقود عصابة الأصدقاء وتحجز في المطاعم وتخطط للرحلات. كما ظلت متابعة لأهم الإصدارات العربية من الناحية الأدبية.

اقتلعت زينة من جذورها في مرحلة طفولتها، عندما قرر والداها الهجرة إلى الولايات الأميركية المتحدة، فهذه الهجرة نتجت سلبيا من الناحية النفسية عليها. فالألم الذي يصدر بالهجرة بالنسبة للإنسان المهاجر، وبخاصة الطفل المهاجر، هو الألم ذاته الذي يشعر به من فقد

73 - ديترويت بالإنجليزية Detroit ،هي أكبر مدن ولاية ميشيغان الأمريكية. تعرف المدينة بصناعة السيارات، وتعرف باسم "Motor City" أي مدينة المحركات أو السيارات.

74. المصدر السابق ، ص- 21

75 - المصدر السابق ، ص- 23.

عزيزًا بالموت[76]. وربما كان الإحساس الناتج عن ألم الفرقة والترك والاقتلاع من الجذور، هو السبب الحقيقي لتمسك زينة بلغتها العربية،التي تعدها اللغة الأصلية لها. فهي بتمسكها باللغة العربية، لغة أولى لها في المهجر، كانت تحاول الحفاظ على جزء من هويتها.

وتتجلى شدة اضطراب زينة وعمق لوعتها لهجرة أسرتها المفاجئ، عن طريق استرجاعها للظروف التي اضطرت بسببها أسرتها إلى ترك وطنهم العراق. ولجأت هذه الأسرة إلى ترك مسقط رؤوسهم بتعرض والدها للتعذيب لمدة ثلاثة أسابيع، من قبل حزب البعث الحاكم للعراق، آنذاك. وهذه الأسابيع الثلاثة كانت ثلاثة دهور على العائلة. عاد من السجن غير قادر على الكلام، محطّم الأسنان. وقد حدث ذلك بسبب الوشاية به من قبل أقرب زملائه في العمل. والتهمة هي أنه احتج على طول النشرة الإخبارية وقِدَم محتواها [77]. فتركت أمها بتول كل ما تملك والوظيفة الجامعية وهربوا من العراق إلى الولايات المتحدة الأميركية. وهذه الهجرة بالنسبة إلى عائلتها بدت كالرحيل الأخير من سطح الأرض، لأن "هجرة إلى البلد البعيد الذي يكون الرحيل إليه كالذهاب إلى الموت، لا لقاء يرجى بعده"[78].

استقرت الأسرة، في ولاية ديترويت الأميركية، وبدأت رحلة الشقاء تسير معها. جهد والداها بمشقة ليتمكنا من توفير حياة كريمة للعائلة ؛ ولم يمكنا من المحافظة على مكانتهما الاجتماعية التي أنعما بها في العراق، فخسراها نتيجة الهجرة. وحدث اضطراب في علاقتهما

76 - د. سناء الجمالي، إشكالية الانتماء في رواية"الحفيدة الأميركية"لإنعام كجه جي، دراسة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس.

77 - إنعام كجه جي ؛ الحفيدة الأميركية ؛دار الجديد، بيروت ؛ط 4 ؛ ص- 77.

78- المصدر السابق ، ص- 78.

الزوجية، كما هي حالة اجتماعية منتشرة بين الأسر المهاجرة، وظهرت مصاعب الغربة في المهجر من الناحية المادية، كما وقع انفصالهما نتيجة لحدوث نوع من النفور النفسي بين الزوجين[79]. فقد تخلى والد زينة عن دوره في الأسرة وتركها إلى ولاية أريزونا، بهدف الاستقرار فيها. وهذه الأحداث كلها أثّرت في تشكيل شخصية زينة الطفلة ما قبل الهجرة وبعد سكونها في الوطن الجديد. وصارت زينة شخصيةً سرديةً مرجعيةً في النص الروائي، بذاكرتها المفتوحة على الفترتين الزمنيتين المتباينتين -الماضي والحاضر، والتي شملتا الثقافتين المتناقضتين. كما اتسمت بانتمائها إلى هاتين الثقافتين حتى أن أدّى إلى وجود ازدواجية في هويتها.

المرحلة الثانية: ما بعد الهجرة/ مرحلة الحرب

تبدأ هذه المرحلة بالبيان عن حلول موعد تجنيس العائلة المهاجرة إلى أميركا وبالتصوير لموقف الأم بتول منه.

تصف زينة حدث حصول الأسرة على الجنسية الأميركية وموقف والدتها منه بقولها: "بتول لم تهندم وتتزين مثل الآلاف الذين غصّت بهم المنطقة المحيطة بجامعة وين ستيت، في ديترويت....، مشت أمي مبتعدة عنا كمن تسير في جنازة، وجلست ملومة على نفسها تحتضن حقيبتها اليدوية وكأنها تتستر على شيء ما في داخلها، وبدأت ترمق شزرًا جيرانها في الصفوف الأمامية والخلفية، أولئك الذين لا تسعهم الفرحة بحلول موعد تجنسهم، إنه عرسهم الجماعي. اللحظة التي ستطرد عنهم الخوف وتبعد شبح التشرد إلى الأبد.اليوم الذي سيؤدون

79- المصدر السابق ؛ ص – 71.

فيه يمين الولاء للوطن الجديد الفائض الخيرات"[80]. فيوضح موقف الأم هذا درجة التزام الأسرة بفكرة الانتماء للوطن الأصلي. فحاولت زينة أن تحث أمها لأن تهتم بهذه الهيئة الرسمية حيث تقول: "مددت يدي وتلقفت يد ماما المتيبسة، بينما الجموع تضع أيديها على مواضع قلوبها وتلهج بالنشيد الوطني الذي تعزفه فرقة الجاز...، وكان صوت السيدة العراقية بتول الساعور، أمي، هو النشاز الوحيد الذي يولول بالعربية: سامحني يا أبي.. . يابا سامحني؛ كيف حضر جدي يوسف أبو أمي، إلى شارع الجامعة في ديترويت؟" [81]. فهذه الوجهة التي جسدت حزن الأم وقت حصول الأسرة على الجنسية الأميركية، الذي لا يزال أثرها في شخصية البطلة، تصور رفض الأسرة وعدم تقبلها لاحتمالية حدوث الانقطاع التام بينها وبين وطنها الأصلي والذي تخشاه أسرة البطلة. وذلك بما أن الخوف الموجود لدى كل مهاجر من أن ينسى وطنه الأصلي بسبب عامل الهجرة،هو الذي يدفعه أن يتمسك بانتمائه إلى وطنه الأصلي

تبدأ قصة الرواية التي تسرد من قبل البطلة في تاريخ 2001/9/11، اليوم الذي جرت فيه حادثة انهيار البرجين في مدينة نيويورك. وهذه االحادثة مرتبطة بهذه المرحلة التي تمتد إلى مدة عودتها إلى الولايات الأميركية المتحدة من خدمتها في الجيش الأميركي التي قامت بها في العراق. وتؤدي زينة دور الساردة بطريقة تساعد على توضيح موقفها فيما يتعلق بالوجود الأميركي في العراق، وطنها الأصلي.

80 - المصدر السابق ، ص- 28-29.

81- المصدر السابق ، ص-29-30.

أثارت حادثة انهيار البرجين، لدى الشخصية الرئيسية إحساسين متناقضين بالانتماء، فقد انتابها إحساس بانتمائها إلى كل من العراق وطنها الأصلي وأميركا وطنها الجديد، في الوقت نفسه، وبسبب ازدواجية هويتها يبدأ توترها النفسي والصراع الداخلي. ويتضح ذلك في قولها : "كيف تكون المشاعر الوطنية؟ خزعبلات، لم تكن تعني لي الكثير، لا في طفولتي العراقية ولا في شبابي الأميركي. لكن ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر أصابني بمس كهربائي، سرت حرارته في أجسام كل من أعرف من أصدقاء وجيران[82].

فزينة وأخوها يزن، يعدان الجيل الثاني لأسرة بهنام المهاجرة إلى الولايات المتحدة؛ والجيل الثاني للأسرة الشرقية في المهجر الغربي. ويحاول هذا الجيل لأن يتبني ثقافة البلد الجديد، باستهداف النجاح في التأقلم مع المجتمع الجديد. فتحاول زينة التأقلم مع المجتمع الجديد مع عدم التخلي – بشكل تام – عن ثقافتها الأصيلة العراقية. وتظهر محاولة التأقلم مع المجتمع الجديد والهجنة مع ثقافته في مواقف كل من زينة وأخيها. يوافقان على تغيّر نطق اسمهما واسم عائلتهما؛ إذ ينطق باسم عائلتهما بهنايم بدلاً من بهنام، أما اسمها فينطق في بعض الأحيان زاينا بدلاً من زينة، وكذلك اسم أخيها يزن الذي يبدل إلى جايزن. بل إن محاولة تأقلم زينة ويزن في المجتمع الجديد الذي انتميا إليه والهجنة مع ثقافته، أدت إلى معاناتهما من قسوة عدم الاستقرار النفسي. فزينة وهي تقترب من الثلاثين من العمر، مرت ببعض

82 - المصدر السابق ، ص- 18.

الإحباطات العاطفية في ذلك المجتمع، آل بها المآل إلى الارتباط العاطفي بكالفن رجل أميركي[83].

أما يزن، فقد أدت به محاولاته للانخراط في المجتمع الجديد إلى إدمان المخدرات[84].

أما سبب هذا التشتت النفسي، الذي عانى منه كل من زينة ويزن في المجتمع الأميركي فيعود إلى محاولتهما لاحتضان هويتهما المزدوجة، دون ارتباك. فيبين سرد زينة لأحداث هذه المرحلة من حياتها سماتها النفسية التي لا تلائم مع ثقافتها العراقية الأصيلة،أثر الأحداث التي تمشّت معها في المجتمع الأميركي. وذلك واضح فيما تقول :" هو تلك البلاد التي سلبتني أخلاقي ومسختني وجعلت مني إنسانة أخرى"[85]. فيحدث التحوّل والتطور لشخصيتها، نتيجة صراعها الداخلي مع هويتها المزدوجتين والمتناقضتين من الناحية الثقافية

تسوّغ زينة الدوافع التي أدت بها إلى اتخاذ خطوة الانضمام إلى الجيش الأميركي المتوجه إلى العراق بعد حادثة انهيار البرجين في مدينة نيويورك. كانت أسرتها تعاني من الحالة المادية الكئيبة وافتقارها إلى حياة كريمة، فرغبت في تحسين الوضع المادي لأسرتها. كما كانت ترتبط بإحساسها أن أميركا تعد الوطن الثاني بالنسبة لها. ومن ثم ما كان يليق لها أن تجلس مكتوفة الأيدي ووطنها الثاني يحترق أمامها[86]. هذا بالإضافة إلى أنها كانت لديها الإحساس بالواجب نحو أهل بلدها الأصلي العراق، الواجب المتمثل في إرادتها بتحريرهم من الديكتاتورية. فأهل العراق المساكين كما تظن زينة "لن يصدقوا أعينهم حين ستتفتح على الحرية" [87]. فهذه هي

83 - المصدر السابق ، ص- 52.

84 - المصدر السابق ، ص - 71

85- المصدر السابق ، ص-125

86- المصدر السابق، ص- 20

87 - المصدر السابق ، ص- 18

الأسباب التي تتضمن من انتماءها لأسرتها في هذه المرحلة من حياتها، و إحساسها بانتمائها إلى كل من أميركا فالعراق،أدت بزينة، إلى اتخاذها قرار الانضمام إلى الجيش الأميركي المتوجه إلى العراق، بعد حادثة تفجير البرجين التجاريين بمدينة نيويورك.

يتوزع انتمائها بين عدة أشياء، بسبب ازدواجية ثقافتها.وذلك يسبب لديها نوعًا من الشرخ في شخصيتها؛ ويؤكد ذلك قولها: "ورغم حماستي للحرب، اكتشف أنني أتألم ألمًا من نوع غريب يصعب تعريفه. هل أنا منافقة؟ أميركية بوجهين؟ أم عراقية في سبات مؤجل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو من سنوات.؟ لما ذا أشعر بالإشفاق على الضحايا وكأنني تأثرت بالأم تيريزا،شريكتي في اسم القديسة شفيعتي؟ كنت أنكمش وأنا أشاهد بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأميركية"[88]. وذلك نتيجة ألمها على الضحايا من الأطفال والأبرياء الذين كانوا يقتلون في القصف الأميركي على بغداد، وقد يكون منهم أفرادًا من عائلتها أو من أصدقاء طفولتها. ومع ذلك لا ترغب زينة في التراجع عن قرارها بالانضمام إلى الجيش الأميركي. وهكذا تعد شخصيتها السردية في النص شخصية متغيّرة، بسبب الصراع الداخلي الذي تعيشه والناتج عن ازدواجية هويتها الثقافية.

تعبر عن المشاعر الجديدة تجاه العراق وطنها الأول،عند استيقاظها في اليوم الثاني من وصولها إلى بغداد؛ تلك المشاعر بالانتماء إلى العراق. ويعتبر ذلك بداية لرأب الصدع بينها وبين العراق،الناتج عن الهجرة منه. فتقول: "الصباح جميل، ولو في منازل الشيطان، فكيف لا

88 - المصدر السابق، ص- 23

يكون كذلك في بغداد! "[89]. فهذه العبارة مع المساواة بين بغداد ومنازل الشيطان توحي بجمال صباحات بغداد مع صعوبة الحياة الكئيبة فيها كما تدل على عمق حنين البطلة لوطنها الأصلي. كما تصف نظرات العراقيين إلى الجيش الأميركي بأنها لم تكن تعكس ألفة ولا فرحا، ففكرت كيف ستكون أيامها المقبلة في البلد الذي لم يعد يعني لها أكثر من أنها حاوية لعظام الأجداد؟"[90].

وفي مرحلة وجودها في العراق وكونها شاهدة لأحداث هذه الفترة الممتدة من عام 2003 إلى عام 2008 كمجندة أميركية، تزداد زينة تيقنا وإدراكا في كل يوم من نفور العراقيين وكرههم الشديد تجاه الأميركان. وتلك الصورة تعكس بالتمام لما نشرت به القنوات الإعلامية الأميركية،مما أدى بها إلى التدرج في إرجاع النظر إلى موقفها من الحرب. أثناء خدمتها في الجيش الأميركي تنقلت ما بين تكريت والمنطقة الخضراء في بغداد والموصل. قد أتاح تنقلها في المناطق العراقية المختلفة أثناء أداء مهمتها في الترجمة،فرصة لها من أن تكون ملمة بكل ما يحدث ومحاطة به. فتمكنت من تصوير ظروف البلاد بشفافية، وكشف حقيقة ما كان يعاني أهل العراق من قبل الأميركان.

ومن الأحداث التي صورتها لنا زينة، كونها شخصية سردية مرجعية تحكي حالة عثور الجيش الأميركي على مجوهرات وأموال ووثائق في قصر زوجة صدام حسين بمدينة تكريت[91]، والمفاجأة التي أصيب بها الجنود والضباط في الجيش الأميركي، عند دخولهم لأحد قصور

89- المصدر السابق ، ص- 43

90 - المصدر السابق ، ص- 47

91- المصدر السابق ، ص- 63-64

صدام حسين بمدينة تكريت لاحتوائه على مظاهر بذخ تفوق الخيال،مما يشير دلالة إلى احتكار قادة حزب البعث لثروة البلاد واهتمت زينة بذكر كيفية ملاحقة الجيش الأميركي لعزت الدوري، وهو نائب الرئيس السابق لجمهورية العراق، من منطقة إلى أخرى دون أن يظفر به، مما يدل على حنكة الدوري، الذي لم يكن يستقر في أي مكان لمدة طويلة. ولم تغفل زينة، كذلك، تأكيد وجود بعض الخونة بين العراقيين، ممن كانوا يعملون مخبرين للجيش الأميركي؛ والذين كانوا يتعرضون للقتل من قبل العراقيين الوطنيين عند اكتشاف أمرهم. مثلما حدث للمخبرة التكريتية الشابة[92]. واهتمت زينة، أيضًا، بذكر التجاوزات الأخلاقية، التي بدأ الجيش الأميركي بارتكابها أثناء أدائه لبعض المهمات الأمنية؛ وكان لها أثر سيّء في نفسية العراقيين، بسبب امتهان كرامتهم؛ فقد كان الجيش الأميركي يقتحم بيوت الأهالي بطريقة مهينة،بحجة البحث عن أفراد من النظام القديم. ووصفت استخفاف بعض جنود الجيش الأميركي بمعتقدات المسلمين من الشيعة فيما يرتبط بشعائر عاشوراء كما لم تتجاهل ذكر فضيحة سجن "أبو غريب" [93].

توثق زينة كل الأحداث المتعلقة بتلك المرحلة التاريخية وتحلل الوضع الذي أدى إلى سقوط العراق تحت الاحتلال الأميركي؛ وفي الوقت نفسه، وتسوّغ سبب ظهور المقاومة العراقية ضد الوجود الأميركي في البلاد. وتفضح بذلك عن الادعاء الكاذبة للحكومة الأميركية في احتلالها للعراق بأنها جاءت لبث الديمقراطية ولتحرير العراق. وفي بعض الأحيان تتمثل غيرتها الوطنية الأصلية كما برز في تصديها للضابط الأميركي الذي كان يستهزئ بشعائر عاشوراء،كما

92- المصدر السابق ، ص93 - 94

93- المصدر السابق ، ص- 148-149

يتضح فيما تقول: "لا أدري ما دهاني، فالمزحة تبقى في نهاية الأمر مجرد مزحة. إن الجنود متعبون والصيف حار، وقليل من الترويح لن يضر نفسًا، لكن ضحكاتهم استفزتني، رغم أن الدين لم يكن ديني، لذلك تصرفت مثل أي متطرف غيور على العقيدة.

- تعال يا شون نؤدي تمثيلية المصلين أمام حائط المبكى. أولئك الذين ينحنون ويعتدلون ثم ينحنون ويعتدلون..مثل اللعب الأوتوماتيكية.

- لم يكن صوتي هو الذي يخرج من بين شفتي، لعله صوت أبي المذيع، أو صوت طاووس" [94].

فهذا الموقف يعبر لنا درجة تغلغل ثقافتها الجمعية الوطيدة في شخصيتها، ورسوخها المتين بقوة بداخلها. فصدر منها صراع نفسي عنيف مع جانبها الأميركي. وتستخدم زينة عبارات ترمز إلى أن ثقافتها الأصلية –العربية/ العراقية- لم تتخل عنها تماما،وأنها قد تشرّبت عشق تلك الثقافة من أبيها ورضعتها من مرضعتها المسلمة الشيعية، طاووس. وتزداد حدة انتماء زينة للعراق بتفجر قضية سجن "أبو غريب"؛ حيث تقول: "سمعت الجنود يعلقون على المناظر التي تعيد القناة عرضها مرة بعد مرة، لم يسعفني ذهني في فهم كل ما يقولون، بينهم الساخط، وبينهم من يحاول التبرير، يقول إن من قاموا بهذه الأعمال هم من الجنود الجهلة وأصحاب الرتب الواطئة، سمعت جنديًا يصف أولئك الأولاد بالغباء، كيف سمحوا بالتقاط الصور؟ أجابه صوت أجش أن هؤلاء المساجين هم عتاة القتلة، وإلا لما عوملوا بهذا الشكل، أسمع وأعجز عن الدخول في الجدل، ثم انطلقت عبارة شيخوا، أحد مترجمينا المحليين، كالسهم المسموم إلى أذني:

94- المصدر السالق ، ص- 96

- يا معودين، هذا التعذيب زلاطة، قياسًا بما كان يجري في سجون البعثيين.

- شيخو سد حلقك أحسن لك.

- شدعوة متضايقة ست زينة؟

- لأن شغلنا مو تبديل تعذيب بتعذيب.

قلتها بصوت خافت، بالعربي بيني وبينه، ثم وقفت وكررت العبارة بالإنكليزية، بصوت تعمدت أن يسمعه الآخرون؛ التفتوا نحوي، ونظروا إلي باستغراب، وكأنني الناطقة باسم العدو" [95].

فهكذا بدأ انتماء زينة بالتحول، شيئًا فشيئًا إلى جانبها العراقي، لكونها شاهدة دقيقة وتفاعلها الملازم مع الأحداث المحيطة بها في العراق أثناء وجودها به، خلال خدمتها في الجيش الأميركي.

وكرد فعل لتلك الانتهاكات الفادحة الجسيمة التي قام بها الجيش الأميركي بحق العراقيين، ظهرت المقاومة في العراق ضد الاحتلال الأميركي. فكانت المقاومة العراقية تحصد أعدادًا كبيرة من القتلى في الجيش الأميركي. وحسبما تقول البطلة،سقطت إحدى قنابل المقاومة في غرفة مجاورة لغرفتها في المعسكر الأميركي. فظهر عن ذلك ازدياد شراسة الضباط الأميركان واعتداءاتهم نحو العراقيين، مما قوّى أيضا حدة المقاومة العراقية تجاه الجنود الأميركان. فأدى ذلك إلى إرسال العدد الكبير من جثث الجنود الأميركان إلى الولايات المتحدة لدفنها في مقبرة "آرلنغتن" الخاصة بهم.

95- المصدر السابق ، ص- 149-150

وتشعر البطلة بالألم على كل ما كان يحدث لوطنها الأصلي، ويزداد ألمها النفسي عندما تجد نفسها أنها لا تستطيع من الاقتراب من العراقيين لمواساتهم التي تهدف بها التخفيف من آلامها النفسية ولجعلهم يعترفون بموقفها، وذلك لنفورهم منها بسبب خدمتها في الجيش الأميركي، لأنها تبدو عندهم بمظهر الخائنة.

قد ارتبط صراعها النفسي الذي نتج عن ازدواجية ثقافتها المتناقضة، بطبيعة علاقتها بجدتها لأمها، وهي رحمة الساعور. أدّت الجدة دورًا كبيرًا في جذب زينة إلى ثقافتها الأصلية مرة أخرى. وقد حاولت الجدة، لتحقيق ذلك بتوجيه توبيخها الدائم لحفيدتها على موقفها الموافق بالجيش الأميركي. مع أنها تحدثت حفيدتها عن جدها، العقيد الركن بالجيش العراقي قبل ثورة 1958، يوسف الساعور، الذي كان معروفا بإخلاصه وولائه لبلده.

فقارنت زينة فيما بين موقفها وموقف جدها من العراق. فموقف الجدة من زينة، أدى بزينة إلى أن تدرك أن عودتها إلى العراق بعد خمسة عشر عامًا من الغياب، لم تكن عودة مرحبًا بها، لمجيئها مع الجيش الأميركي، مما جعل من شخصيتها تبدو ابنة ضالة بالنسبة لأهلها وطائفتها في العراق. وعلمت أن باب مجتمعها العراقي يكون مفتوحًا أمامهاعلى مصراعيه بعد أن تخلع البدلة العسكرية الأمريكية.

المرحلة الثالثة :ما بعد الهجرة / مرحلة الرحيل النهائي عن العراق

بدأت زينة تجد كل ماله صلة بالعراق وبالثقافة العراقية مستساغا ومستطابا. وقد تغير موقفها من سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق. وهذا يتضح في انتقادها بأسلوب لاذع

لبوش الرئيس الأميركي آنذاك:" سيذهب وتبقى اللعنة... سيقول العراقيون، في الآتي من الأجيال، لعنة بوش، مثل لعنة الفراعنة. أظن أن الأميركيين سيقولونها أيضا: "على النازا أن تستكشف كوكبا مضادا للعنات"[96]. فلا تستطيع على أن تجد أي مصداقية في سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق؛ بل تدرك أن كل التبريرات التي تقوم بها الولايات المتحدة في شنّ الحرب على العراق زائفة.

ففي هذه المرحلة حدثت الهجرة النهائية من العراق لما انتهى عقد زينة فيما يتعلق بوظيفتها المرتبطة بالجيش الأميركي في اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار عام2008. فعزمت على أن لا تجدد عقدها في الجيش مرة أخرى[97]. تأبى أن يرزح وطنها العراق تحت انتهاكات الاحتلال وتقررالعودة إلى ولاية ديترويت بأميركا، لا تحمل شيئًا ماديًا معها ليذكرها بالعراق، سوى ذاكرة جدتها رحمة الساعور. وهكذا تتغلب المؤلفة على الجانب الأميركي في شخصية البطلة أثناء صراعها في سبيل تحديد انتمائها الوطني والثقافي. ويظهر الجانب العراقي في شخصيتها حينما تقول الكاتبة :"تشرب نخب انتصارها على الحفيدة الأميركية"[98].

كاستجابة للتغيّر المتدرج الذي اعترى ظاهرا في شخصية زينة؛ قد تغيّرت نظرتها إلى نفسها، فهجرت "بلوزات ملونة وشعر مقصوص قصة حديثة. كانت الحكاية تحولها فصلاً بعد فصل، إلى سيدة رجعية، أولد فاشن، تتبنى قيما عفا عليها الزمان"[99]. وأخذت نفسها تظهر في"ثياب

96- المصدر السابق ، ص- 189

97 - المصدر السابق ، ص- 178

98 - المصدر السابق ، ص- 188

99 - المصدر السابق ، ص- 188

سيدة من الفلوجة،. .. عليها إهاب الموصليات الصارمات اللواتي يصلحن قاطبة للعمل مديرات مدارس أو رئيسات ممرضات دؤوبات، حريصات، عصيات على المساومة"[100]. ساقتها هذه المرحلة من حياتها إلى أن تصبح امرأة من العراق شاهدة لهزيمة جيش بلد قام باحتلال بلدها الأصلي. كما تعرضت للإحساس بالشجن الدائم والذي بدأ أن يلازمها خلال فترة الاحتلالات القاسية.

ووصلت زينة إلى الولايات المتحدة عام2008؛ ولم تلبث أن تحتفي بمظاهر البهجة الموجودة في أميركا لاقتراب انتهاء مدة رئاسة الرئيس الأميركي. وتبادر إلى زيارة مقبرة آرلنغتن؛ حيث دفن الجنود الأميركان الذين خدموا في حرب الولايات المتحدة في العراق، لتعبرعن احترامها لحياتهم التي تظنها أهدرت في حرب لا طائل منها. كما سارعت كذلك إلى التخلص من بدلة الجيش الخاكية والخوذة الخاصتين بها ورمتهما في برميل المطبخ. وتدرك حق الإدراك بأنها لا تحتاج لشيء يذكرها بانتمائها التام للعراق وتكرر قول أبيها: "شُلت يميني إذا نسيتك يا بغداد."[101] تغادر زينة العراق هذه المرة؛ فليس لها أمل في العودة إليه مرة أخرى، فهذه المرحلة تمثل الهجرة الثانية للبطلة من وطنها الحقيقي، وهي هجرة أخيرة لا رجوع منها. فالهجرة الثانية، تعدها البطلة هجرة أشد قهرا من الأولى. وذلك بسبب تعقد الأحوال الاجتماعية والسياسية التي كان يشهدها العراق.

100 - المصدر السابق ، ص- 188

101-المصدر السابق ، ص- 190

الفصل الثالث: الكتابة النسوية في" الحفيدة الأميركية"

رواية الحفيدة الأميركية جسدت الكثير من خصائص الكتابة النسوية، من إسناد البطولة للمرأة وكسر الكثير من الطابوهات، واستخدام لغة بخصوصية نسوية.

خصائص الكتابة النسوية في الحفيدة الأميركية

1 - إسناد البطولة للمرأة

تعتبر الشخصية حجر الأساس في السرد الروائي، وهي الحاملة لرسائل متعددة. تبدو أول خاصية من خصائص الكتابة النسوية حاضرة في رواية الحفيدة الأمريكية، وذلك من خلال إسناد البطولة للمرأة، والذي تظهر ملامحه الأولى من خلال العنوان نفسه. ومما يلي البيان عن الشخصيات الأكثر حضورا.

ا – زينة الحفيدة الأميركية

في السرد الروائي، تأتي الشخصية كركيز أساسي، حيث تحمل معها رسائل متنوعة. ويلاحظ أن أحد مظاهر الكتابة النسوية تظهر بوضوح في رواية "الحفيدة الأميركية" من خلال تسليط الضوء على دور المرأة كبطلة، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال العنوان.

لم تعبّر الكاتبة عن اهتمامها بالجوانب الخارجية لشخصية زينة بشكل كبير، ولا توجد في الرواية إلا تلميحات ضئيلة حول مظهرها، مثل الإشارة إلى أسنانها المعوجة التي وصفها

صديقها كالفن الأميركي " بأنها تشبه مقهى شعبيا تشاجر رواده بالكراسي" واسمرارها العربي الواضح أثناء تعريفها بالصورة التذكارية التي جمعت أسرتها قائلة: " والشابة السمراء التي تبدو وكأنهم استعاروها من أسرة أخرى".

حظيت زينة بفرصة العمل كمترجمة في العراق للغتين، وعلى الرغم من الصور المروعة التي عُرضت على شاشات التلفاز عن العراق، إلا أنها أصرت على الذهاب إليه متحدية الموت. هناك، في العراق، شهدت دمارًا يفوق ما شاهدته على التلفاز، وتحولت إلى مجندة تعيش حياة قاسية في عالم التجنيد. خلال فترة خمس سنوات، انتقلت بين مدن متعددة في العراق مثل تكريت، المنطقة الخضراء، والموصل، وشاهدت الموت عدة مرات. عاشت تجارب عديدة مع الدمار وفهمت معنى الرعب والإرهاب، ولكنها لم تتراجع. غير أنها أثناء عملها، واجهت أصعب المواقف فيما يخص بازدواجية انتمائها.

ب- **الجدّة رحمة**: على عكس التناقض الذي تعيشه زينة، تبرز لنا الجدة رحمة رمزا للأصالة والوطنية. رحمة جرجس الساعور، التي وُلدت في الموصل في عام 1917 من أصل كردي، تجسد الكثير من معاني التسامح والرأفة والعطف. وهذا العطف الذي كان لزينة نصيب أكبر منه. فعند ولادتها كانت رحمة وزوجها يوسف "قد عتبا أرض الشيخوخة وتعودا وجع الكآبة. ثم هطلت زينة عليها، أشعة باذخة، وليرات وأهليه، ربياها منذ كانت في القماط". و بسبب عمل والدتها، نشأت زينة في جوّ من الاهتمام والرعاية من قبل جديها، فمنحاها الفرصة للنمو والسعادة. كان لهجرة زينة مع والدها تأثير عميق في قلب جدتها، ولم تكن بتول الراحلة الوحيدة التي غادرت المنزل، بل جميع أبنائها أيضا رحلوا "كانت تشتاق الى أبنائها المهاجرين ولا

تغفر للزمان الذي جعلها تنتهي وحيدة في البيت الكبير،كأنها تعيش عمرا زائد لا طائل من ورائه".

رحمة تجد تعويضًا لوحدتها في الطقوس التعبدية التي تقوم بها وتضبطها حسب مزاجها واهتماماتها وحالتها الصحية، وحتى حسب توفر الكهرباء أو انقطاعها. تجنبت تعارض أوقاتها مع جدول مشاهدة المسلسلات. تعيّن مهاما للقديسين وتعبر عن انزعاجها تجاه من يتأخرون في الامتثال بتوجيهاتها، لكنها تعبر عن امتنانها للعذراء على الاستجابة لدعائها، وكانت البشرى بعودة زينة الى العراق. بعد لقاء مبك، تكتشف الجدة بمهمة زينة مع الجيش الأمريكي فتفاجئ بصدمة، ولكنها استفاقت من الصدمة بعزمها على إعادة تربية زينة بوطنيتها من خلال استنهاض ذكرياتها وتغيير برجمتها" "تمسح جدتي بيد راعشة على شعري وكأنها ترجو أن تعيدني تلك الحكايات العائلية إلى صفها...تغرف من خزان حكاياتها وتروي لي ما يسقى شجرة جذوري".

إصرار زينة على الاستمرار في العمل وزيارتها لجدتها بالزى العسكري كان له تأثير كبير على الجدة، مما أدى إلى انهيارها وتدهور حالتها الصحية حتى وصلت إلى حالة الوفاة. وفاة الجدة كانت صدمة كبيرة لزينة، وكانت لحظة استفاقة لها من وهم كانت تعتقد أنه حقيقي. فما لم تستطع الجدة تغيره في حياتها استطاعت أن تغيره بمماتها.

ج - **الأم بتول :** كانت أستاذة جامعية ذات شجاعة تحدت الأعراف الاجتماعية التقليدية التي تمنع الزواج بين أفراد من طوائف عربية وغير عربية مثل الكلدانيين والآشوريين. كما تحدت

عناد والدها وسلطته وتمسكه بالعادات والتقاليد من أجل أن تتزوج بالمذيع صباح بنام، الذي كان الآشوري غير العربي. قامت بدعمه خلال فترة سجنه وتعذيبه، حيث تخلى عن وظيفتها وسيارتها ووطنها من أجل حمايته. ولكن حدث انفصالهما في بلاد المهجر. لم تشر الكاتبة وزينة إلى الأسباب التي أدت إلى انفصالها عن زوجها، الذي نشأ عن علاقة مبنية على الحب والتحدي. ويظهر ذلك في سؤال الجدة لزينة عن والديها "وين راح الحب الذي تحدت به أمك الدنيا، لم أدري ما الحب، ولم أكن رغم اقترابي من الثلاثين قد جربت الحب الذي يجعل صاحبه يخالف دنياه لكي يعيشها".

تقص زينة بداية حياة أسرتها في المهجر عندما أُصيب والدها بأزمة قلبية. فاضطرت والدتها في هذه الحالة إلى العمل كخياطة، ثم أخذت دور مساعدة طباخ وفيما بعد نقلت إلى الاستقبال. لكن مرارة الأستاذة الجامعية في المهجر لم تخفف إلا حينما شاهدت الدكتور يعقوب رئيس قسم الفلسفة السابق في جامعة بغداد والذي يعمل الآن مسؤولا على أرفف الخضار، شرح لها "بفخر شديد كيف ينقذ رؤوس الخس من التلف السريع. يشّذب وريقاتها الخارجية ويغمّس خناجرها بالماء البارد .وبفضل تلك المهمة استحق تقدير المراقب ونصف دولار زيادة في الساعة". واقع مؤلم يعكس درجة الألم والإذلال الذي تعانيه فئة المهاجرين، وبخاصة الطبقة المثقفة منهم.

بتول التي مثّلت بصدق حب الوطن الأم في يوم التجنيس الذي أسعد الكثير من المهاجرين فاعتبروه عيدا وتزينوا له. إلا بتول التي مشت مع المهرولين في تشييع وطن، لذلك كان صوتها النشاز الوحيد بين أفواه تلهج بالنشيد الأمريكي فكانت تولول بالعربية:" سامحني يا أبي. ...يابا

سامحني". حملت بتول عبء مغادرة وطنها حينما انفصل زوجها، فأصبحت مدمنة سجائر وتأثرت صحتها وأدى ذلك إلى إصابتها بسعال مزمن. على الرغم من عدم تلقيها تقديرا أو مكافأة عن تضحياتها في مواجهة الغربة والهجرة، ومن وجود ابن يعاني من إدمان المخدرات وعمل وضيع، إلا أنها لم تخن وطنها ولم تتخل عن أسرتها. وبقيت بتول رمزا للأم المضحية، وظلت تتغذى على الحب والوفاء لوطنها.

د – **طاووس** : الشخصية النسوية الرابعة التي أضافت عنصرا غير متوقع في السرد الروائي هي امرأة تدعى "طاووس". اسمها يبدو غريبًا بالنسبة لزينة في البداية، ولكنه في الواقع اسم لنوع من الطيور يتميز بجمال ريشه البارع والمبهر، ويعتبر رمزا للاعتزاز بالذات والتفاخر. تنطبق معاني هذا الاسم بشكل كبير على شخصية طاووس، حيث تتميز بنشاطها اللافت ومهارتها الفائقة في مختلف المجالات. وتتباهى بإنجازاتها بكل فخر. تخاطب زينة قائلة " هل رأيت يا زينة يدين تفهمان في كل شغلة ؟ طبخ وعجن وتطريز وخياطة وكنس". والقائمة تطول، لذا أوصت زينة بقولها "إذا مت لا تدفنوا هاتين اليدين معي. ...فإذا انقطع نفسي خذي يدي وضعيهما فوق يديك...مثل الكفوف...تفتح طاووس يديها وتتأسف على مهاراتها اليدوية التي ستدفن معها ".

طاووس المرأة الطويلة السمراء، أم حيدر ومهيمن، المرأة المسلمة كانت سندا قويا للجدة رحمة. لم تكن طاووس مجرد خياطة أو مساعدة للجدة رحمة، بل كانت شكلاً آخر للأمومة بالنسبة لزينة؛ أمها من الرضاعة، وذلك بعد أن مرت بتول بأزمة صحية خلال إصابتها بالتيفوئيد. فقامت بإرضاع زينة لمدة شهرين. على الرغم من عدم إتقانها للقراءة والكتابة، إلا

أن ملامح الحكمة تظهر واضحة على وجهها، فتقول زينة عنها :" قد تكون مجنونة وجامحة وصاحبة ألف بال، لكنها تنطق بالحكمة خصوصا عندما تشخص حاله من حالاتي تنظر إلى حليبها في شراييني وتعرف مكمن دائي".

لا يمكن اعتبار اختيار زينة لهذه العلاقة بين الأمومة والنسوية عملا جزافيا، بل كان اختيارا دقيقا ومتعمدا. حيث عمدت زينة إلى إلصاق كل معاني الطهر والتجذر في كل واحدة من هذه النساء. وقد قامت بتوضيح الارتباط الأزلي بين مفهوم الأمومة والانتماء العميق للوطن بطريقة تجعلها مشددة على تلك الروابط ومعانيها العميقة.

وهكذا من خلال منح الأدوار البطولية للنساء، حققت الرواية إحدى خصائص الكتابة النسوية. وفي الوقت نفسه، توجد في الرواية الأدوار البطولية الرجالية مع قلتها كما تبرز في:

ا - **شخصية الجدّ** : يوسف فتوحي الساعور هو والد بتول المسيحي الكلداني، وهو شخصية عنيدة وقوية. كان يشغل مناصب عسكرية، حيث بدأ كضابط في الجيش، ثم تقدم إلى رتبة عقيد. وفي سن الأربعين، تم تقديمه للتقاعد بعد أن اتهم بصلته بمحاولة انقلابية في الموصل، على الرغم من عدم مشاركته في هذه المحاولة كمؤامر أو معارض. كان يغمره حبه وتقديره لبدلته العسكرية الخاصة وكان يعتبرها شيئًا مقدسًا "فلا يمدّ يده الى المشروب وهو بالخاكي، حتى المشاحنات كان يمتنع عنها وهو بالبزة فإذا استفزه أحد وأخرجه عن طوره سارع إلى خلع السترة وفك الرباط، ورمى بالقميص العسكري ثم انهال عليه بالشتائم".

أصبح يوسف مستشارا للسكك الحديدية، لكنه لم يتراجع عن عادته في تنظيف بدلته الخاكية وتلميع أزرارها في السادس من يناير كل عام، الذي يتزامن احتفالات عيد الجيش. بعد رحيله، استمرت الجدة في مواصلة هذه الطقوس، حيث استمدت زينة الإلهام من ذكريات الجد وبطولاته. كانت الجدة حاولت بهذه الذكريات لتأصل المقاومة وحب الوطن في نفوس أحفادها. الجد يمثل بالنسبة لها رمزا للأصالة والوطنية، وكان يظهر في أحلام زينة في ليالي الديترويت وخاصة في يوم التجنيس، الذي أثر بشدة على بتول وأبكاها وجعلها تستحضره لطلب المسامحة.

يلاحظ الباحث أن الكاتبة نسبت إلى جد البطلة جميع الصفات الإيجابية من حبها للوطن وتضحيتها من أجله ومن أجل الأسرة، ومع ذلك، في تطورات الرواية، تجسدت وفاته بمثابة خسارة للقيم والشجاعة والأصالة والوطنية.

ب – **الأب صباح بهنام:** كان الصحفي الآشوري، الذي يتميز بوسامته، أحب بتول. وبالرغم من أنه ليس من الخلفية العربية، كان يحمل في قلبه حبا عميقا للغة العربية وكان ينقل ولهه بها إلى ابنتها زينة. لم يكن من هوايته شراء الألعاب التي تتناسب مع سن زينة، بل كانوا يستمتعان بالمطاردة الشعرية كوسيلة ترفيههما المفضلة. تم اعتقاله وتعذيبه بسبب تعليقه على نشرة الأخبار ووصفه لأخبارها بأنها بائتة. وبسبب هذه الظروف الصعبة، اضطرت أسرته الصغيرة إلى الهجرة إلى أمريكا. هناك، انفصل عن أسرته وبدأ حياة جديدة في ولاية أريزونا.

كانت البطلة مرتبطة به بشدة من جهة، وشديدة التخوف من الحب بسبب فشل علاقة والديها من جهة ثانية. وبالنظر إلى تخلى والدها عن أسرته في بلاد الغربة دون توضيح مبررات واضحة، يظهر أن شخصيته كانت سلبية بالنسبة للأم بتول، على الرغم من التضحيات التي قدمتها من أجل الأسرة.

ج -**كالفن** : زينة تصف الحبيب الأميركي السكير بأنه" لا تنفرني منه واقعيته وافتقاده الى الخزعبلات الشرقية التي تثقل جيوبي لا أتضايق من ثقل دمه ولا شعره الأحمر الخشن ولا النمش الذي يرقط أنفه وأعلى ظهره يعجبني كالفن هكذا كما هو وعلى قليل ما يمللك فلو كان رومانسيا مختالا على شيء من الأريحية وذا شعر قائم لتولهت به حيا". لم يكن فارس أحلامها بل كان مجرد تجربة عابرة تشبه النزوة، حيث جمع في شخصيته جميع الصفات السلبية والمنفرة. هذا الحبيب لم يكن قادرا على ملء الفراغ في قلب زينة أو تخفيف همومها.

د - **يزن** : الأخ الأصغر لزينة، أصبح يسمى جايزين شخصية عنيفة مدمن مخدرات طمحت زينة إلى معالجته وإدخاله الجامعة.

هـ - **حيدر** : أخو زينة من الرضاعة، شاب مسلم أراد أن تكون زينة طوق نجاة له، يمكنها أن تنقله إلى الضفة الأخرى من العالم وتمنحه الجنسية الأميركية. قام بالتفكير في أن يتزوجها لتحقيق هذا الهدف والهروب من واقع معيشته المعقدة في العراق. لكنه لم يكن متحمسا لفكرة رحمة بإعادة تربية زينة، حيث لا يراها خائنة، فالترجمة حسب رأيه لاعلاقة لها بالسياسة.

و- **عبد المهيمن:** الأخ الأكبر لحيدر وأخو زينة من الرضاعة. تسأله زينة عن اسمه الغريب، فيجيب" شلون غريب ياأختي العزيزة؟ المهيمن من أسماء الله الحسنى وأبي اختار لكل واحد منا نحن الثمانية اسما ذا مرجعية دينية". بعد سجنه، تغيرت أفكاره التحررية وتحوّل من شيوعي إلى متشيّع وانضم إلى جيش المهدي. كان الرجل الوحيد الذي أقنع زينة برجولته، وهذا الأمر جعلها تشعر بالأمان الذي فقده في وسط أسرتها ووطنها. اهتمامه الأخوي وملامحه الرجولية أثرت فيها بشكل كبير، وجعلتها تنسى الأديان والأعراف وتكون أسيرة له. ولكنها لم تنجح في استدراجه، حيث استطاع هذا الرجل المهيمن تغيير العديد من مواقفها.

الباحث يلاحظ أن الكاتبة قدمت نماذج رجولية معطوبة من خلال شخصيات مدمن وسكير وانتهازي، في مقابل شخصيات نسوية بطلة تتميز بمواقف رجولية. وهذه تعتبر أحد خصائص الكتابة النسوية البارزة. مع أن هناك انتقادات واضحة توجه نحوهم سوى شخصية الجد، التي تمثل معاني العراقة و التجذر، وشخصية مهيمن التي تمثل معاني التعفف والأمان، بالإضافة إلى الحب المستحيل والعراقة المدفونة، والأمان المفقود.

2 -كسر الطابوهات

في هذه الرواية، يمكن ملاحظة أن الكاتبة قد قامت بتحدّي النمط الاعتيادي وكسر المألوف، حيث لم يُظهر النص الشخصيّة النسائية على أنها مجرد جسد يُبرز تفاصيل أنوثتها، بل بدلا من ذلك، قدمت الشخصية النسائية بوصفها كبطلة تمتلك وعيا ورؤية وموقفا نحو العالم المحيط بها.

تبرز ممارسة كسر القيود والتقاليد بوضوح في شخصية بتول، الأستاذة الجامعية المثقفة، حيث انتهضت على أعراف المجتمع وأظهرت جرأة فائقة عبر مشاعرها العاطفية تجاه صباح بنام، المذيع. ولم تتوان بتول عن التمسك بقرارها بالزواج منه، رغم معارضة الجد يوسف الساعور ومعارضة المجتمع الذي يرفض بشكل عام الزواج الطائفي سواء كان بين الطوائف العربية أو غير العربية.

لكن هذا الحب العميق انتهى بفشل مرير، وألقت والدة زينة بظلالها المرة على قرارها وتضحيتها. هذا الانكسار القاسي دفع زينة إلى أن تخشى العلاقات العاطفية، واستقرت فيما بعد على تكوين صلة غير شرعية مع كالفن، الذي كان يعاني من الإدمان على الكحول وعدم وجود عمل، وبالإضافة إلى ذلك، كانت مظهره مهملاً. ولاشك أن اختيار زينة لهذه العلاقة كان قرارا موازيا مدروسا،، لأنه كما تصفه "لو كان رومانسيا مختالا على شيء من الأريحية و ذا شعر سرح قاتم لتولهت به حبا وتركت الدنيا وبركت عند قدميه، و أنا أخشى الحب الذي يصل حدود الوله و أتحاشاه لكي لا أفقد دفة روحي التي ليست لي من سميرة سواها في عمري الذي أراه يجري بلا طائل".

هكذا تنظر زينة إلى الحب، إذ رأت تأثيراته السلبية الواضحة على عائلتها، ولا سيما على والدتها بتول. وعلى الرغم من ذلك، فإنها ليست معارضة لإقامة علاقة غير شرعية مع رجل أمريكي، بل تعجب بصراحة صديقتها المصرية المترجمة، وتتوقع أن تكونا صديقتين، فقد حكت لها : "أنها ألقت بشباكها على أمريكي زار الإسكندرية فتزوجها وجاء بها إلى بلده، أخذت

الجنسية و انفصلت عن زوجها بعد أن حملت من موزع بيتزا كوبي، التحقت بالمترجمين و تركت طفلها الرضيع مع زوجها".

زينة تمثل نموذجا آخر للتمرد على المجتمع ومفهوم الأمومة، حيث تحمل في داخلها مشاعر الخيانة والتلاعب. حينما تتعرف زينة على مهيمن، الذي سرعان ما استولى على قلبها وعقلها من النظرة الأولى، وتجلت فيه معظم صفات الرجل الذي كانت تحلم به.. وخلال رحلة جدتها العلاجية في الأردن، قامت زينة بكسر طابو الجنس، وبدأت تستخدم جميع الوسائل والإغراءات لجذب مهيمن نحوها. ولم تكن تدري لماذا شعرت بهذه القوة الجاذبية نحوه.

فتقول:"هل أحببته لصفاته أم تحديا لقدرتي على الاقتراب من خصومي".

زينة لم تتردد في استعراض مفاتنها أمام مهيمن، الشاب المتدين المسلم الذي ينتمي إلى جيش المهدي والذي يشترك معها في صلة الرضاعة. وصفت بدقة كيف قامت بتقديم أساليب الإغراء الخاصة بها قائلة:" وبساقين تصلحان لموديل من الجزر الاستوائية سرت إلى مهيمن ولوحت أمام وجهه بسعفة غوايتي .و أنا أعرف أن نهايتها واخزة، لم أكن أحجب عاطفتي بل أمضي وراء مسراتها التي ستتفتح رويدا رويدا على مسامات جلدي، لكن مهيمن لم ينظر إلى فيء سعفتي، رأى شوكها وانتفض من التوتر والارتباك و كأننا نتواطأ في إثم أجهله، لا يمكن مستحيل، أنت أختي من الرضاعة".

مهيمن امتنع عن زينة ولكن امتناعها جعلها تظهر كبطلة متمردة وثائرة. ووصفها حيدر بأنها "امرأة ذات إصرار قوي، تخطط وتنفذ و تنطلق و لا تسأل رأيا أو تطلب عونا". لكن إصرارها

القوي لم ينفعها أمام مهيمن، إذ أن مهيمن نجح في ترويضها وجعلها تتحول إلى قطة أنيسة. وفي حوار بينهما تقول زينة" أتمنى لو يتزوجني رجل هنا وأبقى في بغداد قطة أنيسة تحت قدميه أنت؟ قطة أنيسة ؟

حتى لو كان زواج متعة.

- عيب ما تقولين يا زينة، من أين لك هذا الكلام الماسخ ؟.

- أليس هذا ما يفعله الرجال هنا و تقبل به النساء؟

إن إعجاب زينة بمهيمن ينبع من إعجابها بالنمط الشرقي الذي يمنح الحماية والأمان، والذي يثير مشاعر الأنوثة داخلها. يتقدم مهيمن بالمبادرة في السير ويختار مكان الجلوس في مطعم الغذاء، ويجلس على كرسي يواجه الآخرين، في حين يترك لها الكرسي المواجه للحائط. كما يقوم بطلب الطعام ويتجاهل وجودها عندما يلتقي بصديق وينحرف بجانب آخر. هذا الشعور الفريد من نوعه جعل زينة تلعن قطرات الحليب التي وقفت بينهما وتلعن اللحظة التي عادت فيها إلى هذا البلد والتي جمعتها بحبها الممنوع.

حب زينة لمهيمن أشعل كافة مشاعر الأنوثة فيها، وذلك بعد أن واجهت رجلاً في الشارع عرض عليها التحدث بشكل غير لائق. ردت عليه بنظرة قوية تعبيرا عن عدم خوفها منه، ولكن الرجل عمد إلى الاقتراب منها بصورة متعمدة قائلا: "شلون عين ؟. ..تقره و تكتب" هذه المعاكسة أبهرت زينة و عبرت عن انبهارها بقولها: "يا ألله كدت أدور على عقبي و أجري وراءه و أتوسل إليه أن يسمعني المزيد من تلك الحرشة العبقرية، ففي البلد الذي جئت منه لم يعد أحد

يتحرش بالنساء ليس بي على الأقل لا شك أن نساء هذه البلاد يرفلن في حرير الغزل و النظرات الملتهبة التي تكشط عن جلودهن قشرة البلادة والإهمال".

زينة تشعر بالحسرة لعدم تلقيها تلك التجارب الجريئة التي تعزز أنوثتها بالمقابل، و تأسى لكالفن الذي لا يمكن أن يُضاهي ذلك العراقي، وتغار من النساء العراقيات على قدرتهن على نعمة التمتع بالتجارب المثيرة. يدرك الباحث أن الكاتبة قامت بكسر الحواجز الاجتماعية حول الموضوع الجنسي من خلال البطلة زينة، دون اللجوء إلى لغة خادشة، بل عبرت عنه من سلوكيات زينة وأفكارها.

الطابو الديني الذي تم اختراقه بدأ بحب البطلة لمهيمن، أخيها من الرضاعة على الرغم من تحريم الأديان و الأعراف لذلك، لم تتقبل فكرة أن بضع قطرات من الحليب قد تكوّن علاقة نسب بين أشخاص غرباء، بل تعجبت من أن هذه القطرات تقدر على أن تقضي على حلمها بالزواج من رجل كانت تحلم به. حاولت كسر هذا الطابو بكل ما تملك من قوة وتمرد، لكن مهيمن كان دائما حائلا أمامها. كان رد أمها بتول الحاسم على سؤالها مؤكدا لها أن هذا القانون لا يمكن تجاوزه ويجب عليها أن تقبل الواقع كما هو:

:"هل صحيح أنها (أي طاووس)

أرضعتني و أنا طفلة ؟

-أرضعتك شهرين لما أصابتني حمى التيفو، خفت عليك من حليبي. أنت و أبناؤها صرتم إخوة.

-وضعت أمي النقاط على عصب قضيتي، بهذه البساطة التقريرية. مكان الولادة بغداد لون الشعر أسود، العلامات الفارقة، شقيق في ديترويت و ستة إخوة في مدينة الصدر".

بهذه النهاية الساخرة حاولت زينة التخلص من حبها من إحساسها بالأمان الذي افتقدته بسبب التشتت الأسري و الوطني ومع ذلك، استمرت في التواصل مع مهيمن وتمنت من كل قلبها لقاءه.

هناك نموذج آخر لمحاولة تجاوز القيود الدينية، وذلك من خلال استعراض طقوس الجدة الدينية التي تظهر فيها مزاجيتها الملفتة. فقد تجد الجدة نفسها تؤدي صلاة الصباح في الواقع على أنها صلاة مسائية، وربما تكون تصلي وهي في نفس الوقت تستخدم آلة التدليك الكهربائية على ركبتها. وعندما تنقطع الكهرباء فجأة، يظهر على وجهها انزعاج وغضب، حيث تنتقل من حالة التعبد إلى حالة الثورة بسرعة: " ليش يا عذرا هل كثير عليك أن تبقي الكهرباء خمس دقائق زيادة حتى أنهي المساج "

كما تظهر سخرية زينة واضحة على الطقوس اليهودية في ردها على استفزازات الجنود الأميركيين عندما قاموا بتقليد طقوس عاشوراء فتقول :" لا أدري ما دهاني، فالمزحة تبقى مزحة، لكن ضحكاتهم استفزتني رغم أن الدين لم يكن ديني تصرفت مثل أيّ متطرف غيور على العقيدة.

تعال يا شون نؤدي تمثيلية المصلين، أمام حائط المبكى، أولئك الذين ينحنون ويعتدلون، ثم ينحنون ويعتدلون، مثل اللعب الأوتوماتيكية".

3- اللغة النسوية

تمتاز كاتبة هذه الرواية بمهارة توظيف لغة الحواس، حيث تختلط معانيها بسلاسة مع عالم الخيال والعواطف. توجدحاسة الشم حاضرة بقوة في هذا النص، إذ أن زينة استشعرت عبير العراق فور وصولها، واستمر التفاعل مع حاسة الشم في لقائها الأول مع جدتها، وحتى في أحلامها عندما رأت مهيمن وهو يختطفها ويسلمها لجماعته:" ولم أره لأن عيني كانتا معصوبتين لكنني شممت رائحته بينهم". حاسة الشم تُصبح مولدة لإشارات تعبر عن مشاعر العشق والحنين واللهفة نحو الحضن الآمن. وفي هذه الرواية، يتم تناول كل الحواس بدقة، بما في ذلك حاسة اللمس التي تعبّر عن رغبات الجسد، وهي الرغبات التي تحاول زينة بكل جهدها جذب مهيمن إليها، فتضع "يدا مسترخية على ساعده النافر الأعصاب"، لكن مهيمن يتمنع عن إغراءات زينة.

الانتقال العميق إلى التفاصيل يمثل خاصية أخرى من سمات الكتابة النسوية التي تظهر بوضوح في نص الكاتبة. بالإضافة إلى ذلك، يوجد استخدام مميز للغة التقريرية التي تعكس تجربة عملها في مجال الصحافة. هذه اللغة تمكّننا من تتبع تفاصيل الأحداث وتدخلنا بعمق إلى عالم زينة. من خلال هذه اللغة، يمكن التعرف على تفاصيل حياتها والوصف الدقيق لقصور صدام، حتى أن زينة تصف بكل وضوح أمام القارئ معاناتها في مراحيض القصر القذرة التي يوجد على "جدرانها كتابات ورسوم بذيئة وهناك دائما من يقف لك في الخارج و يتلصص عليك من الشقوق".

تمثل لغة المكاشفة والتمرد سمة بارزة في الكتابة النسوية[102]. وهذه اللغة تظهر بوضوح من خلال استخدام الكاتبة لكلمات جريئة تصدم القارئ العربي الذي اعتاد على اللغة الرقيقة في الأدب. تلاحظ هذه الكلمات في الحوار الذي جرى بين الجدة وزينة بطريقة غير متوقعة، حيث استخدمت الجدة عبارات بذيئة باللهجة الموصلية والتركية للتعبير عن غضبها، وهذا يشير إلى تحدّ للتقاليد وتمردها على القيم التقليدية مثل قولها: (تربية سز،هل الجمّاقة بنت الزقاقات....). زينة، المتحررة من القيود الثقافية والتقاليد المكبوتة، تستخدم كلمات جريئة تنبعث منها تصدرا إلى العالم بما في ذلك تعاملها المستمر مع الجنود، حيث تعتبر اللغة البذيئة وسيلة للتواصل معهم واستنكارًا لقمعهم. ومن بين ما قالته زينة :"سأدس حذائي في مؤخراتهم(Fuck you ,put it in your ass).

قد مارست الكاتبة في روايتها تعدد الهويات وتنوع اللغات. كما اختارت استخدام اللغة الفصحى كإطار للرواية، بالإضافة إلى لهجات أخرى ممزوجة بلهجات متنوعة من العراق، بدءا من العراقية وصولا إلى الموصلية. كما استخدمت اللغة الإنجليزية بأحرفها الأصلية أو بالأحرف العربية، مما يضيف بعدًا آخر إلى تنوع اللغات ويثري تجربة القراءة.

102- قيرواني أمال، تطور الرواية السياسية النسوية في الوطن العربي "الحفيدة الإمريكية " لإنعام آجه جي أنموذجا، دراسة ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2012

الفصل الرابع: سمات الشخصية الرئيسية

عندما تلاحظ شخصية زينة بالدقة يدرك أنها تأثرت بالهجرة كثيرا، وتلك الهجرة جعلتها تندمج بالثقافات الأخرى كل الاندماج كما أثارت فيها بعض الاضطرابات النفسية، وهذه التغيرات تمثلت في سماتها المتخصصة، ومنها :

1. الهجنة الثقافية

توفرت ظروف لزينة، الشخصية الرئيسية لأن تكون شخصية الهجنة في كثير من جوانبها. فشخصية زينة هي عراقية مسيحية هاجرت في عمر المراهقة مع عائلتها إلى أميركا. وتلك الهجرة كانت أثر التعذيب الذي تعرّض له والدها من قبل النظام الحاكم. فاندمجت زينة في المجتمع الأميركي اندماجا كليا قبل أن تصطف الجيش الأميركي الذي جاء لاحتلال العراق، وطنها الأول. إن عودتها إلى العراق كمترجمة في الجيش الأميركي، قد كشفت كثيرا من النواحي المهمة التي تمثل ملامح إنسان الهجنة في شخصيتها.

ملامح الهجنة في البطلة

يمكن تحديد ملامح الهجنة لشخصية زينة في نواح ثلاث، فهي :

ا.**الناحية النفسية** : لا تشعر الشخصية بمشاعر الارتباط المكاني لبلد معين ولا تلتصق بأحد البلدين دون الآخر، عندما تتخذ قرارا لتقديم نفسها للانخراط في صفوف الجيش الأميركي الموجه إلى العراق لهدم النظام الدكتاتوري. وعدم الارتباط المكاني هذا للشخصية

يظهر حيث تقول: " أعلنت الأف. بي. آي. عن حاجتها إلى مترجمين عرب وعنوان موقع على الإنترنت لتقديم الطلبات. قرأت الإعلان وشعرت بمزيج من الهشاشة والحماسة. ماذا في إمكاني أن أقدم لمساعدة بلدي في هذه المحنة؟ بأي وسيلة تخدم مهاجرة مثلي، لا حول لها ولا قوة، دولة أميركا العظمى؟ "[103]. هذا القرار لم يكن نابعا من الرغبة في الحصول على الفائدة المادية أجرا لوظيفة الترجمة فقط، بل قرارا نابعا من رغبتها في خدمة بلدها المأوى،أميركا؛ ومن ثم تخليص بلدها الأصلي، العراق من نظام الحكم الجائر. تقول: " إنني ذاهبة في مهمة وطنية جندية أتقدم لمساعدة حكومتي وشعبي وجيشي، جيشنا الأميركي الذي سيعمل على إسقاط صدام ويحرر شعب ذاق المر..... هناك في البلد الذي كانت فيه ولادتي، مساكين أهل العراق لن يصدقوا أعينهم حين ستتفتح على الحرية"[104].

فيبدو عدم الارتباط المكاني للشخصية لبلد معين أنه هو الملمح الذي تتركز فيه هجنة هذه الشخصية. كما أنه ليس أمرا غريبا على المهاجر،لأن الهجرة المكثفة والانتقال المستمر للأفراد والجماعات من مكان لآخر قد أعقبت تيارات ثقافية مزدوجة حتى أن أدت إلى بروز فكرة التحرر المكاني بين من اضطروا إلى ترك بلادهم الأصلية واتخذوا بلادا جديدة مهجرا لهم. غير أن هذه الفكرة لا تعني اللامبالاة لمفهوم الوطن الأصل، بل وجود ثقافة جديدة تظهر عبر ثقافة المهاجر، بالانسجام مع الثقافتين[105]. كما يتجلى في شخصية زينة، ذات ثقافة عابرة للحدود، إذ أن انفصالها المكاني والثقافي لا يدفعها أن تتخلى كل التخلي عن وطنها الأصلي

103 - إنعام كجه جي ، الحفيدة الأميركية ، ص- 20، ط-4

104 - المصدر السابق ، ص- 18 ، 19

105- جعفر جمعة زبون ، خطاب العولمة في الرواية العراقية 2003 - 2013 ، دراسة ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، 2018

وثقافته، وإنما لتقديم الخدمة لكلا البلدين، اتحذت قرارا في انضمام الجيش الأميركي كمترجمة .

ب. **الناحية الثقافية :** تتمظهر الناحية الثقافية من الهجنة للشخصية فيما يتعلق بمشاعر الوطنية وإحساسات الحنين إلى الوطن والرؤية للهجرة. وهذه المشاعر والإحساسات من سمات الإنسان الذي يتمسك بهوية معينة منغلقة، غير أن شخصية زينة لا تشعر بهذه المشاعر. تقول: " كيف تكون المشاعر الوطنية ؟ خزعبلات لم تكن تعني لي الكثير، لا في طفولتي العراقية ولا في شبابي الأميركي" [106]. فلا تشعر بوطنية تجاه أحد البلدين، إذ لا تريد أن تكون منغلقة على أي من الهويتين اللتين شكلتا ثقافتها. أما عن مشاعر الحنين إلى الوطن فتقول في حديثها بسخرية عن والدتها التي طالما تسمع أغنية " الهجر موعادة غريبة... لا ولا منك عجيبة"وتبكي دون انقطاع : " من الخطأ بيع هذا الشريط وحده. لا بد من إهداء "ماسحات عيون" مثل ماسحات الزجاج معه. تشيح بوجهها عني وتواصل الغناء مع الكاسيت "كلمن يسوقه حليبه. .. كلمن يسوقه يردّه حليبه"، لم يردّني حليبي إلى بغداد، سلختني منها الكارثة وأعادتني إليها الكارثة، فمن له الحق في حسابي؟ "[107]. فلم تكن زينة تشعر بحنين إلى الوطن طالما تعيش حياة رغيدة في أرض المهجر بغير إشكالات في التعايش مع أهلها، تلك الحياة التي لم تحظ بها في بلدها الأول.

106- المصدر السابق ، ص- 18

107- المصدر السابق ، ص- 126، 127

وهذا الجانب الثقافي من الهجنة للشخصية يتجلى أكثر وضوحا عبر رؤيتها للهجرة. وذلك في موقفها عند مقابلتها لمهيمن،أخيها بالرضاعة حيث تقول:" يلقي عليّ مهيمن بنظرياته عن الشرخ الذي تحفره الهجرة في النفوس،يسألني عشرات الأسئلة عن حياتي في أميركا. إنه مهموم لأن خمسة ملايين عراقي تركوا الحياة التي يعرفون ومضوا إلى المجهول. يقول إن الهجرة مثل الأسر، كلاهما يتركك معلقا بين الزمنين، فلا البقاء يريحك ولا العودة تواتيك. أما أنا، فأرى الأمر بطريقة مختلفة. أقول له إن الهجرة هي اسقرار هذا العصر، والانتماء لا يكون بملازمة مسقط الرأس". فواصلت حديثها له : " يمكن للعالم كله أن يكون وطنك. ألم تسمع بمصطلح "المواطن العالمي" ؟[108]. وتحاول بموقفها هذا أن تبين أن الإنسان مع الاحتفاظ بالهوية يستطيع التعايش والتفاعل على مستوى عالمي مع أي شخص مهما اختلفت ثقافته وموطنه.

ج. **الناحية العاطفية :** يبرز هذا الملمح من الهجنة لشخصية زينة حينما تلتقي بمهيمن، الفتى المحافظ دينيا والذي يقف ضد وجود قوات الاحتلال الأميركي في العراق. أحبته وهو ابن مرضعتها طاووس وأرادت الارتباط به. ويتضح إعجابها بمهيمن من قولها : "حرّك مهيمن تيارات داخلية في روحي. ولم أكن صغيرة ولا بالسذاجة التي تجعلني أعشق رجلا من النظرة الأولى، لكن اسمه كان فخا جميلا منصوبا بدون قصد. .... أحببت اسمه قبل أن أحبه. كان هو الشخص الذي سحبني إلى توتر شخصيته وأسلوبه الخاص في الكلام. شخص نسيج وحده"[109]. لكنه يصدها، لكونه أخًا بالرضاعة لها. وأن زينة لا تستوعب مفهوم الأخوة بالرضاعة، لكونه مفهومًا غير مألوف لدى بيئتها الأميركية، وأن لها سمات نفسية لا تلائم مع

108- المصدر السابق ، ص- 138، 139

109- المصدر السابق ، ص- 123

ثقافتها العراقية الأصيلة،أثر الأحداث التي تمشّت معها في المجتمع الأميركي. وذلك واضح فيما تقول :" هو تلك البلاد التي سلبتني أخلاقي ومسختني وجعلت مني إنسانة أخرى"[110].فتريد استمالة عبد المهيمن تجاهها،وتحاول بعد تعرفها إليه أن تلتزم بأخلاقيات النساء العراقيات المحافظات. وهذا يبدو حيث أنها تمتنع عن التدخين أمامه ولا تتقدمه في السير، إلا أنها لا تستطيع تحقيق هدفها،لأن مهيمن لا يريد خرق معتقداته.

حينما تشعر زينة المسيحية والمنفتحة الهوية بعاطفة تجاه مهيمن المسلم المحافظ دينيا والمنغلق الهوية، لا ترى في اختلاف الأديان عائقا، ولا تعبأ بفكرة الاختلاف، لأن مبادئها المهجنة لا تضع الحواجز والفروقات أمام إراداتها. وهذه المحاولة التي قامت بها زينة للارتباط مع مهيمن،كانت مع أنها مرتبطة بعلاقة مع كالفن،صديقها الأميركي. فيمكن أن يلاحظ جليا قدرة هذه الشخصية على التعايش مع الطرفين بنقيض الثقافة، المتمثلة بثقافة كل من كالفن الأميركي ومهيمن العراقي.

2. القلق والاضطرابات

تشكّل الرواية بما فيها من عناصر شتى عالما مصغرا يحفل بألوان الحياة الإنسانية و يناقش مشاكل إنسانية متنوعة. ومن بين هذه المشاكل، يوجد القلق أمرا مهما يواجه الإنسان في حياته فهو يهز الإنسان من أعماقه و يدفعه إلى التحرك. ويعد القلق من أهم الأمور التي تعترض الإنسان في حياته فهو يهز الإنسان من أعماقه و يحرضه إلى التحرك. والشخص الذي يعاني من القلق يشعر وجود شيء مبهم يتحدى مفهومه لذاته، ويصاب بحالة من انعدام

110- المصدر السابق ، ص-125

المعرفة الحقيقية للذات فيتحول القلق إلى حالة من التناقض بين ما يفهمه الفرد عن نفسه و بين ما هو عليه في الواقع.

وتتباين مظاهر ذلك القلق و بواعثه من شخصية إلى أخرى في الروايات، كما تختلف وسائل التعبير عنه من شخصية لأخرى. فبينهم من يتخذ الاستسلام طريقة للهرب، ومن يوثر التصدي والمجابهة و التعايش مع القلق. والرواية "الحفيدة الأميركية" تتناول هذا الموضوع البارز في شخصيتها الرئيسة التي امتازت بعمق القلق و الاضطراب.

يبدو أن الشخصية الرئيسة تتسم بسمات الشخصية المغتربة عن ذاتها، تظهر خلال السرد كشخصيتين : هما شخصية المؤلفة، وشخصية الحفيدة الأميركية. وانقسام الشخصيتين هذا يدل على أنها تعمقت في إحساسها بالقلق وأنها لا تعرف لمن تنتمي ومن تنتسب إليها في الحقيقة. وهذا القلق العميق يبدو حينما تصف حالها بعد عودتها من بغداد: "بائسة أنا. طاولة زينة مقلوبة، مشروخة المرأة. أضحك من قشرة القلب بإيجاز و بلا كثير حبور. ...هل أضحك بالفعل أم أجاهد لتطلع مني ابتسامة وجيزة. ...أتستر على جوفي لئلا يفورما فيه وينضح و يشي بالهزة التي حدثت لي منذ أن عدت من بغداد خرقة معصورة من خرق مسح البلاط"[111]. تصف نفسها بأنها مشروخة المرآة. وهذا يدل على انقلاب أحوالها، وكأنها تشير إلى الازدواج الذي تمتاز به شخصيتها منذ أن وصلت إلى العراق. كما تصف نفسها بالخرقة المعصورة، وهذا يدل على أنها تشعر بأن شخصيتها قد خلت من مضمونها كما تخلو الخرقة

111 - المصدر السابق ، ص-153، ص- 9 - 10

من مائها عند العصر. فمجيئها إلى العراق قد حولها وألغى شخصيتها القديمة التي وصل بها من أمريكا.

تصدم زينة من الاختلاف بين الخيال والواقع، عندما تمر مع الرتل الأميركي، بالقرى المحيطة بمدينة الموصل. ترى الفتيات يقفن أمام البيوت ينظرن إليها و إلى رفاقها نظرة لا ودّ فيها، و هنّ لا يلوحن للجنود ولا يتبادرن للوصول إليهم كما كانت ترى في الأفلام الأميركية. فترغب في أن تختلط بهن، و ترجو لو تنزل من مكانها فتفتح معهن أي موضوع. لكن القوانين العسكرية لا تسمحها بذلك. وهذا تؤدي الى أن تكون ضيقة ببزتها العسكرية لأنها تعزلها عن الناس. كما يتضح حيث تقول :" كنت أريد أن أتباهى أمامهم بأنني منهم، سليلة منطقتهم. ... لكن كل هذا كان مخالفا للتعليمات لذلك. تضايقت للمرة الأولى من بزتي العسكرية التي تعزلني عن الناس.[112] . حينما تسمع رفاقها في السيارة يقولون إن أهل بلدها يكرهونها لا تريد تصديقه، بل تعتقد أنه لا يمكن أن يكرهها أهل البلد الذين يشبهونها في سمرتهم وتشبههم في الملامح واللغة والدم الفوّار.

تبرز بوادر القلق في شخصية زينة تسأل نفسها السؤال الأثير " من أنا؟ " [113]. فهي مجندة أميركية وفي نفس الوقت فتاة عراقية. وفي رحلة البحث عن ذاتها الحقيقية تذكر عن الأسباب التي دفعتها إلى أن تلتحق بالجيش الأميركي. فيلاحظ أن من هذه الدوافع رغبتها في خدمة وطنها الجديد فضلاً عن العامل المادي لأنها أدركت أن سعادة والدتها لا تتحقق إلا بالمال الذي

112 - المصدر السابق ، ص-153

113 - المصدر السابق ، ص - 117

ستجلبه بطريق خدمتها في الجيش الأميركي. فاضطرت إلى أن تعود إلى العراق، وطنها الأول والذي لا يهمها سوى كونه مستقر عظام الأجداد. فعندما قامت بهذا الاختيار والتحقت بالجيش الأميركي صارت تعاني من القلق. وشعرت بأنها أميركية بوجهين، فهي على الرغم من حماستها للحرب تتألم عند رؤيتها للدمار وترى في المداهمات العسكرية العمياء موقفا يشبه ما حدث معها يوم رأت تفجير البرجين في نيويورك[114]. وهذا من مظاهر القلق البارز لديها.

تشاهد القنابل والمدافع تطلق على مدينة بغداد و أعمدة الدخان ترتفع فيها بعد الغارات الأميركية فتشعر كأنها تحرق نفسها. وحينما تعاين ما يحدث تتعاطف مع العراقيين على الرغم من أنها تعتقد بأن الغزو الأميركي للعراق كان لهدف نبيل تحرير العراق وبث الديمقراطية فيها، فتنشأ شخصية أخرى لديها، غير شخصية الحفيدة الأميركية، و هي تهرب من قلقها بخلقها لهذه الشخصية الأخرى، تقول : " أقول للأخرى التي هي أنا أن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد "[115]. وكل واحدة من هاتين الشخصيتين نقيض للأخرى. أما الشخصية العابثة من الحفيدة الأميركية فلا تنتمي لمكان، ودفع الدافع المادي هذه الشخصية لدخول الحرب ضد وطنها الأول. فالشخصية الوطنية وهي شخصية المؤلفة التي تنتمي للعراق وأهله وتتعاطف و تلوم الحفيدة على اختيارها للجانب المضاد بالنسبة للمؤلفة. كما أن هذه الشخصية تثير في زينة القلق.

114 - المصدر السابق ، ص - 148

115 - المصدر السابق ، ص - 24

فشخصية الحفيدة تفضل الهرب من المؤلفة، لأنها ترى أن المؤلفة تحاول أن تلغي وجودها و تعيدها إلى أصلها. فتتمرد الحفيدة و تثور على المؤلفة وتسخر منها بل و تضحك من وطنيتها و من الشعارات التي ترددها. وعلى الرغم من أنها تبرر موقفها في اصطفافها في الجيش الأميركي إلا أنها تنقسم على ذاتها. فهي تدرك سوء اختيارها عندما انضمت لجيش الاحتلال.، وهذا يؤدي إلى أنها تحاول أن تخفي حقيقة عملها مع الجيش الأمريكي عن جدتها وعن مهيمن، حيث أنها تعلم بأنهما لن يتقبلا عملها مع الجيش الأميركي، فتخير جدتها بأنها تعمل في شركة مقاولات. تقول " كذبت على جدتي رحمة، وما كان في يدي غير ذلك، قلت لها إنني مندوبة من الأمم المتحدة لمراقبة المهمات التي ينفّذها الجيش الأميركي في أوساط المدنيين العراقيين".[116] لكن كذبتها تصير مصدر قلق آخر لها، حينما تعرف أن جدتها قد أدركت حقيقة عملها مع الجيش الأمريكي.

تصطدم بحقيقة أخرى فيما يتعلق بحبها لمهيمن. وذلك بعد أن كانت حرة تفعل كما تشاء في جميع معاملاتها تكتشف أن لحريتها التي كانت تدعيها حدودا. وبما أنه أخوها بالرضاعة لا تستطيع الحصول عليه. وإن كانت لا تعترف بذلك فهي ترى أنه مما لا يبرر أن إرضاع طاووس والدة مهيمن لها و هي ابنة الشهرين يجعل منه أخا لها. لكنه يرفضها. فتصدق نفسها بالخيال فهي تعلم أنها يقف على الطرف النقيض منها فهي جندية في جيش الاحتلال وهو شاب مقاوم للاحتلال. ولأجل اعتبار هذا المنظور تخبرزينة مهيمن بكل شيء عنها إلا عملها في الجيش الأمريكي.

116 - المصدر السابق ، ص - 67

3. الحب

يتمظهر الحب في رواية "الحفيدة الأميركية" بعلاقتين: علاقة زينة بكالفن صديقها الأميركي وعلاقتها المستحيلة بمهيمن أخيها في الرضاعة. الأول يمثل حياة الليبرالية واللامبالاة التي عاشتها زينة في أميركا. وأما الثاني فيمثل استفاقتها على واقع لم تعهده وظروف لم تأنسها.

فهي فيما يخص بكالفن ترضى بواقع علاقتها. تصف شرب كالفن للبيرة و كأن لا شيء مثيرا للإعجاب فيه غير قدرته على شرب البيرة تقول: "يستطيع كالفن أن يأتي على علبة البيرة المثلجة بجرعتين لا ثالثة لهما. ... كالفن وسيم أيضا، في عيني على الأقل وقد حاولت أن أترجم له المثل العربي عن القرد الذي في عين أمه غزال لكنه واصل التحديق بي. بدون أن تختلج في وجهه عضلة و قال إنه يعد القرد، بالفعل. أجمل من الغزال "[117]. وقولها هذا يبين أنها لا تشعر في شخصية كالفن بالعمق الذي قد يجذبها إليه حقا، لا تتخيل فيه رجل حياتها. ومن الحق أنه يوجد بينهما اختلاف ثقافي، وثقافته الواقعية لا تأنس بخيالها عن الجمال. ولعل هذا الاختلاف هو العائق الأكبر يحول بينهما في طريق وصولها معه إلى درجة من الحب تغنيها به عن غيره. فتعده زينة رجل المرحلة فقط. تقول :" أقعد في الشرفة و أتأمله ممتداً على أريكة البامبو وأشعر بأنه رجل المرحلة. يكفيني منه اليوم هذا الذي يمنحه لي، أما الغد فهو بحسب سكارلت اوهارا يوم آخر"[118]. وأن زينة قبل مجيئها إلى العراق في الصفوف المجندة لم تكن

117 - المصدر السابق ، ص - 52

118- المصدر السابق ، ص - 53

تفكر في أن تكون لها علاقة حقيقية، فهي تخشى الحب؛ و ترى في الحب قيداً يقيد روحها التي ليس لها سميرة سواها في عمرها الذي تراه يجري بلا طائل [119].

عند التحاقها بالجيش و مجيئها إلى العراق، تتعرف بمهيمن وتحاول أن تصنع علاقة به. وتقول:"حرك مهيمن تيارات داخلية في روحي. و لم أكن صغيرة و لا بالسذاجة التي تجعلني أعشق رجلاً من النظرة الأولى, لكن اسمه كان فخاً جميلاً منصوباً بدون قصد. و أنا في عمان،منتزعة من وحدتي العسكرية وآمنة من تهديدات الموت في بغداد أعيش حالة لطيفة من انعدام الوزن. أتمتع بلعبة حجب مهمتي في الجيش عن مهيمن و عن جيراني. أتظاهر بأنني مغتربة عراقية اشتاقت للوطن و الأهل"[120].

ترى زينة أن انجذابها لمهيمن هو أمر طبيعي بسبب عوامل مشتركة بينهما، ومنها اللغة التي تجمعهما وحفظهما للقصائد العربية ومعرفتهما العريضة بالشعر الشعبي والذي تحفظه زينة على الرغم من ابتعادها عن وطنها الحقيقي. ومهيمن يستغرب مما تحفظ وتلقي قصيدة مظفر النواب، و هذا مما يجلب انتباه مهيمن لها التي يعدها أميركية. و على الرغم من أنها مسيحية غير أنها على إلمام بدينه الاسلام وحتى بمذهبه. ويتضح هذا حيث تدافع عن الدين الإسلام. وذلك حينما يسير موكب من المواكب الحسينية، يستهزئ به زملاؤها في الجيش، فتثور و تغضب على الرغم من أن الدين ليس دينها. وتبين الكاتبة أن هذه الفكرة هي الروح

119- المصدر السابق ، ص - 53

120 - المصدر السابق ، ص-123

التي تجمع العراقيين معاً، فلا نظر إلى الانتماءات الضيقة الحرجة بين أبناء الوطن الواحد. كما أنها تشير أن حب زينة لمهيمن يمثل رغبتها الشديدة بالانتماء إلى وطنها من جديد.

لكنها فيما يتعلق بحبها لمهيمن تدرك بالواقع، وذلك أنه أخوها بالرضاعة. وهو لا يستطيع حتى أن يتخيّل في أن يكون الحب معها. فأمه طاووس قد أرضعتها عندما مرضت والدتها بالتيفوئيد، وعلى الرغم من أنها لا تؤمن بمسألة "الاخوة بالرضاعة" إلا أنها لا تقدر أن تقوم بشيئ تجاهها. وعلى الرغم من ذلك تستمر بمحاولة استمالته لها، وهذا يتبين حيث تشير الكاتبة إلى معاملتها : " بساقين تصلحان لموديل من الجزر الاستوائية سرت إلى مهيمن و لوحت أمام وجهه بسعفة غوايتي، وأنا أعرف أن نهايتها واخزة. لم أكن أحجب عاطفتي بل أمضي وراء مسراتها التي ستتفتح رويداً رويداً على مسامات جلدي لكن مهيمن لم ينظر إلى فيء سعفتي. رأى أشواكها و انتفض من التوتر و الارتباك وكأننا نتواطأ في إثم أجهله". وإجابة مهيمن لها : " لا يمكن مستحيل. أنت أختي بالرضاعة".[121]

وهنا يبرز أثر الثقافة الأميركية التي تعايشت زينة في ظلها، من استخدام وسيلتها لاستمالة مهيمن والاغراء والجرأة في كشف الرغبات والعواطف والأخيلة. وهي بإدراك تام بأن تستحيل العلاقة بينهما، وعلم يقين بأن الطريقة التي استخدمتها لن تجلبه إليها، ولكنها تحاول لتكوين علاقة تجمعها معه، فهي ترى نفسها تسير كالمنومة خلفه: " أحببت اسمه قبل أن أحبه. كان هو الشخص الذي سحبني إلى توتر شخصيته و أسلوبه الخاص في الكلام. شخص نسيج وحده. ... هل أحببته لصفاته أم تحدياً لقدرتي على الاقتراب من خصومي؟ أي فيلم كان ذاك

121 - المصدر السابق ، ص-125

الذي تعشق فيه الرهينة خاطفها؟ لم أكن رهينته. سرت كالمنومة إلى نهره العميق الممتلئ بالطمي وخضت فيه بلا وجل. استأمنته و هو عدوي. وانجذبت إليه و هو أخي. فماذا سأكتب لكالفن بعدما غلبتني الموجة ؟"[122]. ولأجل اجتذاب انتباهها تغير عاداتها تدريجيا فلا تدخن أمامه و لا تسب أو تبتذل كما كانت تفعل مع غيره من الرجال. فتسير خلفه ولا تعترض.

أما مهيمن فلا يقف بهذه العلاقة و لا يرى المتعة اللحظية التي تريدها، بل يعتبر محاولتها تلك إثما كبيرا. فهي أخته في نظره و هي محرمة عليه. فهو يصرّ على رفضه لها مما يجعلها مستغربة :"يعاند و لا يريد خرق معتقداته التي لا تعني لي شيئا. كيف يكون هذا التمثال السومري المبهم أخاً لي لمجرد أن طاووس أخذتني إلى صدرها و أنا بنت شهرين؟"[123]. فلا تفهم كيف يمكن أن يرفض حبها بمجرّد إرضاع أمه لها. فهنا يظهراختلاف فكرتهما، إذ أن زينة عاشت في البيئة الأميركية التي تقف بأن الديانات والاعتقاد يمكن أن تتغير كما تتغير الأزياء وتبيح كل شيء و ليس فيها محرمات بيئية و لا دينية والتي هي كما ترى تلك البلاد التي سلبتها أخلاقها ومسختها وجعلت منها إنسانة أخرى. ففي العراق، إن الدين والمجتمع والأخلاق بل وحتى أهلها يرون مهيمن أخاً لها. بعد ما عادت إلى أميركا، عندما تسأل أمها عن هذا الموضوع فتجيبها بأن مهيمن وإخوته هم إخوتها بالرضاعة. فهنا تدرك أن ما أرادت في شأن علاقتها به لا يتحقق.

122 - المصدر السابق ، ص -123

123 - المصدر السابق ، ص - 128

الباب الثالث: رواية "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم

الفصل الأول: وارد بدر السالم وإسهاماته الأدبية

الفصل الثاني: ملخص الروايات

الفصل الثالث: رواية "عجائب بغداد"

الفصل الأول: وارد بدر السالم وإسهاماته الأدبية

وارد بدر السالم

وارد بدر عبدالرضا السالم هو صحفي وكاتب قصة ورواية. ولد في البصرة عام 1956. بدأ مسيرته الأدبية والصحافية في العراق. حاز على شهادة دبلوم فني من معهد الفنون التطبيقية 1979-1980. وعمل كمحرر في عدة صحف عراقية وعربية. وشغل منصب مدير تحرير في عدد من هذه الصحف. وتولى منصب عضو اتحاد الكتّاب العرب وعضو نقابة الصحفيين وعضو اتحاد الأدباء في العراق.

عمل في الصحافة العراقية والعربية في مناصب شتى كرئيس تحرير لمجلة الطليعة الأدبية في العراق. انتقل إلى الإمارات العربية المتحدة حيث عمل في القسم الثقافي لمجلة المرأة اليوم وجريدة البيان. عاد إلى العراق في عام 2008 وعمل كسكرتير تحرير تنفيذي في جريدة المدى البغدادية ومحرر في مجلة الأقلام في التسعينيات وسكرتير تحرير تنفيذي في جريدة المدى2009.

تولى منصب مدير تحرير جريدة الصباح الجديد 2010 ومدير تحريرفي جريدة الناس 2013 ومحررفي الأقسام الثقافية في جريدة البيان ومجلة المرأة اليوم بالإضافة إلى عمله في مجلة الأقلام. الآن يعمل رئيسًا لتحرير مجلة الطليعة الأدبية ويكتب مقالا أسبوعيا في جريدة العرب التي تصدر في لندن.

إسهاماته الأدبية

أصدر عدداً من القصص والروايات والكتب الشعرية والنقدية. ومن رو اياته:

الرواية	الناشر
المخطوفة	دارفضاءات للنشروالتوزيع - 2023
صانع الحوريات	دارنشرخطوط وظلال- الأردن - 2021
بنات لالش	بيت الياسمين -2020
حوريات الجبل	دارحركة الكويتية- 2021
شظية في مكان حساس	مؤسسة ثائر العصامي – بغداد 2019
امرأة بنقطة واحدة	دارنينوى – دمشق – 2018
الحلوة	دارنينوى - دمشق – 2017 دارسطور- بغداد – 2017
جمهورية مريم	دارالمتوسط - ايطاليا- 2017
عذراء سنجار	دارضفاف - بيروت – 2016 دارشنكال – دهوك – 2016

	مؤسسة ثائر العصامي – بغداد -2018
شبيه الخنزير	دار سطور– بغداد- 2015 دار فضاءات - عمّان - 2009 دار الحضارة العربية - القاهرة 2004
تجميع الأسد	مؤسسة ثائر العصامي - بغداد- 2018 دار العربية للعلوم -بيروت – 2014
مولد غراب	دار الحضارة العربية - القاهرة 2004
عجائب بغداد	الدار العربية للعلوم - بيروت – 2012 مؤسسة ثائر العصامي – بغداد- 2018
- طيور الغاق	دار الشؤون الثقافية - بغداد - 2000

ومن قصصه:

القصص	الناشر
البار الأمريكي	مجلة دبي الثقافية – 2007

	دار سطور – بغداد - 2015
المعدان	دار الشؤون الثقافية – بغداد – 1995 وزارة الثقافة – بغداد – 2013 دار سطور – بغداد - 2015 مؤسسة ثائر العصامي – بغداد -2018
عكس المقص	اتحاد الكتاب العرب- دمشق - 2000
بيتنا	دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1990
جذوع في العراء	دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1988
اصابع الصفصاف	دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1987
ذلك البكاء الجميل	دار الشؤون الثقافية - بغداد - 1983

قد ألّف **كتبا** أخرى في **مواضيع شتى**، ومنها :

الكتاب	**الناشر**
وردة بعشيقة – نصوص في الحب والجمال	مؤسسة ثائر العصامي – بغداد - **2018**

جماليات الكتابة	دار ميزوبوتاميا - بغداد – 2015
دليل العاشقات - نصوص	دار نينوى – دمشق 2015 دار سطور - بغداد - 2015
برلمان تحت الصفر(سياسة)	دار الجواهري - بغداد - 2014
أصابع السرد	دار ميزوبوتاميا - بغداد - 2013
الهندوس يطرقون باب السماء (أدب رحلات)	دار السويدي للنشر والتوزيع- ابو ظبي- 2011 دار المدى – دمشق -2012
انفجارقلب	بغداد - 2007
فصول الحصار	بغداد - 2000
انفجاردمعة	دار عشتار - القاهرة – 1998 دار الشؤون الثقافية -بغداد- 1994
ثلاثية سنجار: الملحمة الأيزيدية	مؤسسة ثائر العصامي- بغداد
دليل العاشقات - ما رواه حفارالقلوب	نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - 2015

الجسد.. بين الحب والجنس	دار العرّاب السورية - 2021

كتابه في أدب الرحلة: "الهندوس يطرقون باب السماء"

يبين هذا الكتاب الرحلة المثيرة والفريدة إلى سلسلة جبال الهيمالايا الهندية، والتي قام الأديب وارد بدر السالم كأول صحفي عراقي بزيارة هذه المنطقة الغامضة والخلابة. تُعرف هذه السلسلة بجمالها الأخّاذ وأسرارها المحاطة بأساطير هندوسية عجيبة وغريبة. ويقدم وصفًا أدبيًا للمناطق والولايات المحيطة بالجبال، بما في ذلك المدن والقرى والأرياف، بالإضافة إلى الأمطار والثلوج، وثقافات الهنود، والحضارات المتعددة التي تتداخل فيما بينها. كما يعرض الملحمة الحضارية المليئة بالخرافات والأساطير والعجائب. من خلال تدوينه الدقيق، استطاع الكاتب أن يلتقط روح هذا المكان الأسطورية، التي تتجلى في جماليات الطبيعة الغنية وسحر الغناء الجماعي الهادر من المعابد الهندوسية والشلالات المتدفقة والجبال الشاهقة، فضلاً عن الريف الهندي العريق. يقدم الكتاب وصفاً أدبياً عميقاً للولايات والمدن والقرى والأرياف، ولطبيعة الأمطار والثلوج، وتجربة الإنسان الهندي الذي يجمع بين حضارات متعددة في تناغم روحي نادر لا يُضاهى.

أشار في الكتاب إلى أنه أول صحفي عراقي يزور هذه المنطقة ويسجل مشاهداته. وقد قدّم الكتاب بمقدمة جاء فيها: "هذه كتابة أولية عن رحلة قصيرة إلى شمال شرق الهند، تهدف

كمحاولة إلى إعادة بناء العلاقة المفقودة بين القارئ وهذا النوع الأدبي الذي غاب عن حياتنا الثقافية والمسمى بأدب الرحلات.

يؤكد السالم أنه لم يخطط لرحلة إلى الهيمالايا، لكنه سعى للخروج عن النمط السائد في كتابة الأسفار الجغرافية. ويشير إلى أن الواقع العراقي، الذي أفرز تفاصيله المؤلمة بعد سقوط بغداد عام 2003، فرض نفسه عليه بشكل غير مقصود. فقد كان الوطن المحترق يرافق خطواته في أعالي الجبال، مما أثار لديه مشاعر الخوف والحزن، ليس من باب المقارنة، بل من أجل استكشاف التقابل بين مكانين وحالتين مختلفتين.

في فصل بعنوان "ديمقراطية الأصنام والصواريخ"، يتناول السالم أفكاره المشوشة عن الهنود، ويقدم معلومات جديدة حول الهند، الدولة المتقدمة التي يتجاوز ثراؤها حدود الأساطير. في فصل آخر بعنوان "نساء الدراجات النارية"، يتحدث السالم عن خصائص بعض الولايات الهندية، مشيرًا إلى أن لكل ولاية خصوصياتها القانونية والتشريعية وشخصيتها المستقلة. كما يلاحظ كيفية تطبيق القانون الضريبي على جميع السيارات أثناء التنقل بين هذه الولايات، مؤكدًا أن الجميع متساوون أمام القانون، بغض النظر عن لونهم أو ملابسهم.

الجوائز

قد منحت الجوائز المختلفة لأعماله الأدبية، ومنها :

1- جائزة دبي الثقافية[124] عام 2007 عن أفضل كتاب في القصة القصيرة عن عمله "البار الأمريكي".

2- جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات [125]عام 2008-2009 عن كتابه "الهندوس يطرقون باب السماء".

3- جائزة الإبداع الروائي عام 2017 عن روايته "عذراء سنجار".

4- جائزة كتارا للرواية العربية [126]الدورة الخامسة عن فئة الروايات غير المنشورة عام 2019، عن روايته" المخطوفة".

124 - جائزة تقدمها مجلة دبي الثقافية للإبداع وتمنح للكتاب والفنانين والنقاد والمبدعين.

125 - جائزة أدبية، تمنح سنويا منذ سنة 2003 ويقدم الجائزة سنويا (المركز العربي للأدب الجغرافي - ارتياد الآفاق) في أبوظبي ولندن لأفضل الأعمال المحققة والمكتوبة في أدب الرحلة بهدف تشجيع أعمال التحقيق والتأليف والبحث في أدب السفر والرحلات.

126 - جائزة سنوية أطلقتها المؤسسة العامة للحي الثقافي – كتارا في بداية عام 2014، وتقوم المؤسسة بإدارتها لتعزيز أدب الرواية العربية وتوفير الدعم والمساندة والإشراف عليها من خلال لجنة لإدارة الجائزة ، باستهداف إثراء الثقافة الإنسانية عامة والأدب العربي خاصة، وتعزيز الحوار بين الحضارات، وبناء روح التقارب بين الأمم من خلال ترجمة الروايات للغات متعددة

الفصل الثاني: ملخص الروايات

"المخطوفة"

تواكب هذه الرواية التغيرات الاجتماعية في المجتمع العراقي بعد عام 2003، التي نتجت عن التحولات السياسية المعروفة. تتناول ظاهرة خطف النساء كجريمة غير أخلاقية بشعة، عانى منها المجتمع بسبب عصابات محلية استغلت الوضع السياسي المتدهور. في هذا السياق الاجتماعي والأخلاقي والسياسي المعقد، تبرز "المخطوفة" كعمل يتناول الصراع الاجتماعي المباشر وغير المباشر ضمن إطار من حلقات بوليسية معقدة، تجعل القارئ يشك في كل الشخصيات التي تشكل هذا المسرح السردي الصعب.

تدور القصة حول سيدة عراقية متعلمة، تمكنت من تحليل شخصيات خاطفيها بوسائل نفسية غير تقليدية، باستخدام حواس الشم والخيال والرائحة، بعدما تغلبت على خوفها. تعاملت بشجاعة وصلابة وحكمة مع واقع اختطافها، مما أتاح لها في النهاية كشف الكثير من الزيف السياسي والاجتماعي وتشخيص خاطفيها. الرواية تستند إلى حبكة بوليسية مشوقة تثير الاهتمام وتدير موضوعات ممتعة، مما يجعلها رصدًا حقيقيًا لما يدور في خفايا المجتمع.

"صانع الحوريات"

تبدو هذه الرواية القصيرة في إطارها العام كحكاية شعبية مألوفة في الأوساط الاجتماعية القروية، وهي كذلك. ولكن في الإطار الشخصي، تعتمد على بنية سردية غير مألوفة، تمتزج

فيها أحداث الماضي بالحاضر بدقة عالية. يتناوب الجد والحفيد على سرد الحكاية وتفسيرها، بما تحمله من مفاجآت غير متوقعة، وقد أضاف الكاتب أصوات المستمعين المتحلقين حول الراوي لتجنب رتابة الحكاية والوصول إلى عمق أكبر من مجرد توصيفها العابر.

تمزج الرواية بين الأصوات الشفاهية القديمة التي تحفظ الموروث الشعبي، وبين حداثة الأصوات الجديدة التي تتعامل وفق منطق العصر الحديث بآلياته الإلكترونية، وتنظر إلى التراث نظرة موضوعية، تعتمد على التحليل والتوقع والاختبار العلمي. ترى في حكايات الماضي عِبَراً تستحق النظر إليها من زاوية الحاضر المتقدم كتراث محلي يجب استيعاب مضامينه الثرية.

"صانع الحوريات" هي رواية توثيقية لحكاية تراثية منسية أحكم الروائي وارد بدر السالم نسجها فنياً، وأعاد تقديمها برؤية ما بعد الحداثة السردية، ليصبح "صانع الحوريات" هو الحكاية الوحيد المتبقي في هذا الزمن

"بنات لالش"

الرواية تتابع المسار الشخصي لرواية الكاتب المعروفة "عذراء سنجار" عندما أغلقت الأخيرة الباب الضيق في البحث عن إحدى الأسيرات الأيزيديات التي اختطفتها عناصر داعش بعد احتلال مدينة سنجار العراقية.

"بنات لالش" تصعيد درامي لحادثة الخطف واستلاب الهوية المحلية لدى الطائفة الأيزيدية التي عانت على مدار تاريخها من فرمانات السبي والاغتصاب والتهجير حتى بلغت 74 فرماناً،

ومثلما كانت "عذراء سنجار" تلقي الضوء على حادثة الاحتلال الداعشي الهمجي، عززت "بنات لالش" هذا الرصد الميداني وانطلقت من البؤرة ذاتها في البحث عن صبية الروايتين التي توارت خلف أجندة داعشية غامضة وغريبة. هذه الرواية تفتح الأفق السنجاري بشكل واسع راصدة الكثير من جغرافية المكان وتضاريسه وتاريخيته في محاولات حثيثة للوصول إلى قلب المدينة وقلب المشكلة لانتشال صبية سنجارية لم تظهر في "عذراء سنجار" لأسباب واقعية وفنية، على أن "بنات لالش" تُظهرها في اللحظة الفنية المناسبةفي صراع درامي عجائبي إلى حدكبير. " بنات لالش" رواية مستقلة تحفر في المأساة ذاتها فتقدم ملحمة ثانية من ملاحم لبطولة الفردية ذات النسق الثأري لعدو عالمي شرس ومغتصب ومنتهك للأرض والعرض. والرواية واحدة من أغرب السرديات الخيالية التي تلامس الواقع الأيزيدي وتحوّلها إلى عجائبيات روائية. الروائي المصري ابراهيم عبدالمجيد قدم لها على الغلاف الأخير، متعاطفاً مع العالَم الأيزيدي الذي كان عالماً مهمّشاً مع ديانته الصغيرة غير المعروفة وقال في كلمته الموجزة "هذا العالم الذي قرأنا عنه أخباراً كثيرة يتجسد هنا برعبه وجبروته وخروجه عن كل ما جاءت به الديانات السماوية وعلى رأسها الإسلام الكريم. عالم داعش وما فعلته في بلد حضارته من أقدم الحضارات التي عرفها التاريخ. أعني به العراق الذي وجدت فيه داعش مكانها منذ وقت قريب. وهنا تتجسد أبشع جرائمها وهي الإتجار بالنساء."

"حوريات الجبل"

هي الجزء الثالث من "كتاب سنجار" الذي دشنه وارد بدر السالم بروايتين سابقتين هما "عذراء سنجار" و"بنات لالش". هذه الرواية التي تفترق عنهما في إيجاد شخصيات نسائية

تختصر المشكلة الأيزيدية في توثيق فني للمأساة الأيزيدية عبر تسع نساء أطلق داعش سراحهن وهنّ حوامل في الشهر الأخير في رحلة جبلية استغرقت تسعة أيام مليئة بالقسوة والألم والمعاناة الفردية بين الوحوش والضباع والمفترسات الأخرى. المعمار الفني للرواية جاء من النهاية عندما وضع الكاتب مصائر النساء في خط الرحلة الأخير بوصول سبع نساء فقط، بينما فُقدت أخريان أثناء الرحلة، واحدة أكلتها الضباع وهي تضع جنينها في الجبل، والثانية انتحرت في (بحيرة الدموع) في مشهدين دمويين لا يمكن أن يفارقا ذاكرة القارئ. وتتكثف صورة الرعب التي امتثلت لها فتيات الحمل، وهنّ تحت وطأة المجهول مع الدليل الشهم الراعي رافيارالذي يوجد كأحد الشخصيات الفاعلة في رواية بنات لالش والذي امتد الى الرواية الثالثة كدليل اضطراري لإيصال الفتيات الى المشوار الأخير وهن متثاقلات بالحمل الداعشي، ليواجهن مصائر مختلفة بسبب الدين والتقاليد الاجتماعية الصارمة التي يعرفنها جيدًا.

"شظية في مكان حساس"

هذه الرواية واحدة من أكثر الروايات العربية جرأة في تناول المحظور الإجتماعي الذي تعكسه الحرب وتفرضه كواقع جديد لا بد من التعايش معه، حتى ولو كان بطريقة فيها انتهاك لقدسية الفرد وسريته الشخصية. الرواية تقدم نظرة عميقة على حياة سيدة عراقية تتعرض لإصابة صغيرة في منطقة حساسة من جسدها، مما يدخلها في صراع داخلي شديد وتغيرات جنسية معقدة. تتناول الرواية كيفية تعامل زوجها مع هذه الأزمة، وفهمه العميق لجذور المشكلة وتأثيرات الحرب السلبية على النفسية العربية. هذا الإدراك يجعله يواجه الإحساس

بالعجز والمأساة، اللذين حوّلاه من شخص مسالم إلى كائن يبحث عن إجابات لأسئلة عديدة طرحتها الرواية بوضوح وشجاعة.

حازت هذه الرواية على اهتمام واسع من الجمهور منذ صدورها، وتم تناولها في العديد من المقالات والمداخلات التي ساهم فيها النقاد والقراء العرب. حظيت بتقدير كبير لما تتميز به من وصف إنساني مؤثر وعميق، مما زاد من تأثيرها وجعلها قريبة من الواقع العربي وقضاياه النفسية والاجتماعية الناتجة عن الحروب.

"امرأة بنقطة واحدة"

هذه رواية حب غريبة وفريدة من نوعها تطوي خمسين عاماً من حب جميل عاشه رجل وامرأة بلغ بهما العمر سبعين عاماً، فذهبا يبحثان عن نقطة حب قديمة في أشجار قديمة بحديقة عامة تتوسط العاصمة بغداد ؛ غير أنهما يجدا أن الزمن تغير في تاريخ الأشجار حيث تراكمت النقاط المحفورة والخطوط المائلة ومدونات الحب المتواصلة والتي لم تنقطع طوال خمسين سنة مضت.

هذه الرواية هي البحث عن حرف بنقطةٍ واحدة وهو حرف الـ ز وعن ذكرى امرأة كانت هنا ذات يوم متجسدة بتواريخ عشق ومنحوتة فنية تجسد الزمن الآتي الذي تنبأ به نحّات الرواية كشخصية ذات حضور ملهم وقوي ابتكرت حضورها بطريقة ناجحة وتواصلت مع الحياة بالرغم من منقلباتها الكثيرة التي عصفت بأرض الرافدين.

في الرواية حرف ضائع وزمن ضائع وسط ركام الحياة ومتواليات الحروب التي عاشها العراق، فالأزمان المتعاقبة بالحروب لم تترك أثراً جميلاً في الحياة اليومية فمسخته الشظايا وشطبت على الكثير من حروف العشق ونقاطه البريئة، غير أن الزمن بحرفه الوحيد يعود بأسطورة البحث عن الجمال في تاريخ الأشجار العالية حتى تحدث أكثر من مفاجأة حينما ينتهي البحث عن ذلك الحرف الرمزي بطريقة أرادها الروائي أن تكون مفاجئة وغير متوقعة .

"الحلوة"

هذه الرواية تقدم سردًا مهمًا ومثيرًا حيث إن كل شخص مر بتجارب مشابهة بطريقته الخاصة في تلك الفترة المضطربة من الفوضى السياسية والاجتماعية التي اجتاحت العراق بعد عام 2003. تركز فكرة الرواية على قضية حساسة وشجاعة تتعلق بالزنا بالمحارم، حيث تعرضت بطلة الرواية لها من داخل بيتها ومجتمعها المحكوم بالتقاليد والعادات الصارمة، وذلك بسبب خالها القادم من الخارج. البطلة، مثل مئات الضحايا في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق، تعكس مأساة كبيرة كشفها الوضع الذي أحدثه الاحتلال. هي جميلة ويتيمة، فقد والدها في ظروف غامضة خلال الحرب الطائفية، فانهالت عليها اللعنات .

تعد الرواية كشفًا جريئًا لكل من انتهك الوطن والشرف، ولمن أثار الفوضى في العراق. كما أن ما يميز هذه الرواية هو شكلها السردي الجديد والمهم، حيث اعتمد الكاتب على تقسيم السرد إلى مقاطع مرقمة بأسلوب يشبه حديث النائحات، مما أضفى لمسة حزينة ومؤثرة على النص.

"جمهورية مريم"

تختلف هذه السردية القصيرة عن سرديات السالم المطولة ببقائها ضمن حيز مكاني واحد وتناو ر في زمنين هما الماضي والمستقبل من دون الإشارة إلى الحاضر، بمعنى هي رواية مستقبلية في أحداثها التخييلية التي استثمر فيها السالم لغة الشعر كثيراً من دون التقيد بلوازم السرد الروائي المتعارف عليه، كسراً لهذه القاعدة الروائية في محاولة شخصية لتحديث الشكل الروائي في مجمل إنتاجاته لا سيما في روايته "الحلوة" التي استعمل فيها الترقيم شكلا وحاضنة للأحداث.

هذه الرواية الجديدة تعود قليلا إلى عام 2006 حيث الاحتراب الطائفي الأهلي في العراق وتوثقه عبر عدسة إعلامي ياباني شهد تلك الوقائع وسجلها فيديويا آنذاك ليحتفظ بها طيلة ثلاثين سنة. ثم يعيد الياباني أشرطته المصورة والتي تمثل شهادات حية عن معاناة العراقيين، في نفس المكان ويسندها إلى نفس الشخصيات التي عانت من ويلات الطائفية والتهجير والقتل على الهوية، ونجت من الموت بأعجوبة سردية، لتعيش المستقبل بطريقة ثانية تفترق كثيراً عن العيش في الماضي أو الحاضر".

"عذراء سنجار"

يعتبر "عذراء سنجار" شهادة على مأساة العراق المستباح. تتناول هذه الملحمة الإيزيدية مرحلة حاسمة وصعبة في تاريخ الإيزيديين بالعراق، حيث تعرضت هذه الطائفة المسالمة للاحتلال من

قبل داعش التي قامت بتجاوزات فظيعة، بما في ذلك بيع النساء في أسواق النخاسة وارتكاب أعمال قتل بحق الرجال والأطفال تحت رايات مشبوهة تدعي الانتماء للإسلام[127].

"عذراء سنجار" هي الرواية الأولى التي تسرد أحداث الإيزيديين من داخل قضاء سنجار المحتل، وتقدم مغامرة سردية نادرة عبر أسلوب روائي يجمع بين الخيال الفني والإبداع. يتميز الكاتب وارد بدر السالم ببنائه السردي المحكم، كما عُرف في جميع أعماله السابقة.

"شبيه الخنزير"

تتصدر هذه الرواية مقدمة للقاص عبدالستار ناصر، حيث أعرب عن إعجابه بالعمل قائلاً: "لم أقرأ منذ وقت طويل رواية عربية تضاهي مستوى 'شبيه الخنزير'."[128] تتميز الرواية بإمكانية تجسيد الفانتازيا، إذ يقنعنا المؤلف بأن ما يبدو غير معقول قد حدث فعلاً في أهوار العراق، حين يتحول بطل الرواية "لازم" من إنسان إلى كائن شبيه بالخنزير، مما يسبب فضيحة لا يمكن تجاهلها بين العشائر.

تُعد هذه الرواية نموذجاً أدبياً مكثفاً، حيث قضى المؤلف حوالي أربع سنوات في كتابة 140 صفحة فقط، مع العلم أن كل صفحة يمكن أن تُوسع لتصبح ثلاثة أو أكثر. ومن هنا، يتضح أنه من المستحيل حذف أي كلمة، إذ جاءت الرواية متماسكة في معناها وشكلها.

127- د. فوزية لعيوس الجابري،المركز والهامش في الرواية، عذراء سنجار أنموذجاً دار الرضوان، الأردن،ط1، 2018

128 - طبعة ثانية لرواية وارد بدر السالم "شبيه الخنزير، منبر الكاتب العراقي، مقالة في أخبار ومتابعات Article - " Preview (iraqiwriters.com)، يوم المراجعة: 15-10-2024

تنتمي الرواية إلى بيئة الجنوب العراقي، مستلهمة من أساطيره وحكاياته، مما يجعلها تبدو للوهلة الأولى أدباً واقعياً، لكنها تحتفي بالخيال في عمقها، حيث تتناول صراعاً رمزياً بين الخير والشر، كحقيقة أزلية تؤثر في مصائر البشر، لتقدم واحدة من أروع الحكايات السردية التي تتناول الواقع العراقي في حقبة ماضية.

"تجميع الأسد"

تستند الرواية إلى أساسيات معرفية وفنية في تشكيل سردها، حيث تقدم خلاصات واقعية مستمدة من أرشيف الجيش الأميركي الذي احتل بغداد عام 2003، خصوصاً فضيحة سجن أبو غريب الشهيرة. وقد وثق السالم هذه الأحداث من خلال طروحات عرفانية وفلسفية ورقمية، ليترك نتائج مفتوحة لفحص المتلقي بمستوياته المختلفة من الوعي والإدراك للمسؤولية التاريخية التي ستظهر أمامه بشكل مفصل. الرواية تبني علاقات مع شخصيات واقعية نعرفها، لكن بمستوى من الخيال الفني الذي صاغه المؤلف.

تجميع الأسد" رواية تجمع بين الفن واللغة والشخصيات، وتعكس جهداً مستمراً في استعراض الواقع العراقي. تمثل العمل لوحة ضخمة رسمها فنان عراقي معروف، تُقابل جدارية عملاقة أخرى تتوسط العاصمة بغداد بتاريخها الزاهر. من خلال هذه الرواية، يقترح المؤلف أثراً فنياً جديداً كجدارية ثانية، تسجل حقبة تاريخية تترك آثارها المستمرة في البنية الاجتماعية العراقية. تقدم الرواية صراعات متنوعة بوظائف نقدية متميزة، حيث يبتعد المؤلف عن سياق السرد ويمنح الشخصيات الروائية أدواراً متحررة من سلطة الكاتب[129]. يبدو

129- أحمد زين الدين، اصوات سردية، مقالات في الأدب الروائي، ص-24، ط-1، بيسان للنشر والتوزيع، 2017.

أن السالم يسعى للإشارة إلى الحرية الجديدة التي وُلدت ناقصة في ظل ظروف صعبة تسيطر عليها الإرهاب وسوء الظن,

"مولد الغراب"

هذه رواية تسلط الضوء على واقع الحياة السياسية والاجتماعية في العراق خلال فترة الحكم الدكتاتوري. تتناول الرواية قصة مجموعة من الشخصيات التي تعكس التوترات والصراعات الناتجة عن قمع السلطة وفقدان الحريات. تستند أحداث الرواية إلى الإشاعة[130] كوسيلة للتعبير عن القضايا السياسية المعقدة، مما يجعلها أداة لنقد الواقع بشكل غير مباشر. يتناول السالم التحولات التاريخية والاجتماعية من خلال نظرة عميقة إلى تأثير السلطة على الأفراد والمجتمع. تتميز الرواية بأسلوب سردي يجمع بين الواقعية والغرائبية، مما يعكس عمق المعاناة والبحث عن الحقيقة في ظل الظروف القاسية.

تدرك الرواية المنحى السياسي القائم على أسلوب الإشاعة، حيث تكشف معظم بنياتها عن طبيعة العلاقة المعقدة بين الأحداث والقوى الفاعلة. استخدم الروائي وارد بدر السالم الإشاعة في روايته لتسليط الضوء على الوضع السياسي خلال فترة الحكومة غير الشرعية. وقد تجلى ذلك في تحولات الشخصيات التي تعكس تغيرات في سياقات التاريخ، مما جعل الرواية وأحداثها تشير إلى الشخصيات السياسية والأحداث التي شهدتها الساحة العراقية خلال فترة الحكم الدكتاتوري. جاء اختيار الإشاعة بمهارة عالية، حيث كانت وسيلة فعّالة

130- الإشاعة في الرواية تشير إلى المعلومات أو الأخبار غير المؤكدة التي تنتشر بين الشخصيات أو المجتمع، وغالبًا ما تحمل طابعًا مغيرًا أو مُخادعًا. تُستخدم الإشاعة كوسيلة للتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية، وتعكس الحالة النفسية للأفراد في ظل القمع والرقابة

لنقد ما يجري بشكل غير مباشر، باستخدام أسلوب سردي مخادع. هدف ذلك إلى إبعاد الأنظار عن المحتوى خوفاً من بطش السلطة التي تسعى لإثبات شرعيتها وتدافع عن مركزيتها بحجج واهية، خشية فقدان مكانتها أو تراجع نفوذها.

"طيور الغاق"

تتناول هذه الرواية واقع الحياة في العراق خلال فترة من الفوضى والاضطراب. تركز على مجموعة من الشخصيات التي تعكس تجارب مختلفة في مواجهة القمع والظلم. تبدأ الأحداث مع ظهور "الغاق"، وهو طائر رمزي يمثل التحديات والصعوبات التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية. من خلال سرد متشابك، يكشف الروائي عن تعقيدات العلاقات الإنسانية والبحث عن الهوية في ظل الظروف القاسية. كما تتناول قضايا مثل فقدان الأمل والتطلعات للحرية والصراع من أجل البقاء. كما تُظهر تأثير الأحداث السياسية على حياة الأفراد، وكيف يمكن أن تتشابك مصائرهم في مواجهة الأزمات. بأسلوب سردي عميق وغني بالتفاصيل، تبرز الرواية المعاناة الإنسانية والأمل المتجدد في ظل التحديات، مما يجعل "طيور الغاق" عملاً أدبيًا مؤثرًا يعكس الروح العراقية في وقت صعب.

"ثلاثية سنجار: الملحمة الأيزيدية"

يضم هذا الكتاب ثلاث روايات معروفة للكاتب هي: **عذراء سنجار- بنات لالش- حوريات الجبل.** وصدر كمشروع سردي يناقش أوضاع الأقليات الدينية في المجتمع العراقي، على رأسها الأيزيديون. "ثلاثية سنجار" قدمت فرشة واسعة وواقعية في ملحمة سردية، هي الأولى من نوعها التي اتخذت من الغزو الداعشي الخارجي صورة مكبرة وواضحة عن الاستهانة بالإنسان

وقيمه الدينية والأخلاقية. حيث تركز الروايات الثلاث على الثيمة الأيزيدية التي وقعت تحت تأثير الداعشي.

وجاء في تقديم الكتاب: "الغزو الداعشي لمدينة سنجار، والدين الأيزيدي الذي يكتنفه الغموض، كانا محور الروايات الثلاث التي فككت موضوعة الغزو واستباحة النساء وقتل الرجال وتجنيد الأطفال والصبيان، في مشروع مشبوه لمحو هذا الدين واستمكان المجتمع الأيزيدي وإذلاله تحت ظلال الرايات السود التي فهم العالم نواياها وأخلاقياتها غير السوية".

"عذراء سنجار" توفرت على الكثير من التفاصيل الأيزيدية غير المعروفة للعراقيين والعرب، دينيًا واجتماعيًا، عندما أوجدت لها مساحة عريضة لمتابعة أعمال الاغتصاب والسبي الذي قامت به عناصر داعش بحق سكان مدينة سنجار. وتناولت "بنات لالش" هذه الموضوعة بطريقة أكثر جرأة، في تناول الحياة اليومية للسنجاريين تحت واقع الغزو والاحتلال. فيما ذهبت "حوريات الجبل" إلى الوقوف على الحياة اليومية للأسيرات السنجاريات اللاتي ذقن صنوفًا غير قليلة من العذاب. وتابعت الرواية مصائر تسع فتيات حوامل في رحلة جبلية منهكة.

الفصل الثالث: رواية عجائب بغداد

خلفية الرواية

الرواية عجائب بغداد لوارد بدر السالم تتحدث عن أحداث سنة 2006 الطائفية وحرب الطوائف والعصابات الموالية فى العراق. تدور قصتها ضمن الشخصية الرئيسية التي خلقها الروائي وارد بدر السالم حيث يسرد القصة بمساعدة "الراوي الصحفي" الذي لا يذكر اسمه ما بين دفتي الرواية التي تجري أحداثها بالنسق التتابعي. والشخصية الرئيسية هي صحفي عراقي الأصل يعمل لمجلة نسائية تصدر من دبي حيث ساهم في تغطيات كثيرة ومقالات عديدة للمجلة أثناء تجولاته في مختلف دول العالم. يرسل رئيس المجلة "بوحمد" بطلنا إلى بغداد، العاصمة المحتلة للعراق و مسقط رأسه، بعد مقتل أطوار بهجت سنة 2006م، والخلفية البغدادية هي ممتزجة بالفوضى السياسية والاجتماعية والحروب الطائفية بين المليشات الدامية الضارية. "أطوار بهجت" هي إعلامية عراقية عملت في قناة الجزيرة الفضائية ثم في قناة العربية الفضائية كمراسلة اغتيلت مع طاقم العمل أثناء تغطيتها أحداث تفجير الإمام علي الهادي في سامراء مسقط رأسها حتى أدى ذلك إلى الحروب الطائفية.

إطار واستراتيجية الرواية

شكل الروائي إطار الرواية في إطار السرد الوثائقي أو يسمى بأنه يوميات صحفي خارجي عراقي الأصل سجل الوقائع التي رآها في الأفضية المختلفة مثل "فندق الشيراتون" و"المنطقة الخضراء" و"قرية الأستاذ". ولغة الكاتب تجذب القراء إلى مدى أنه يقلده روح المسايرة مع

أحداث وشخصيات الرواية مع أن الراوي الصحفي يخاطب رئيس مجلته بوحمد مناديا ب"يا بوحمد" حينا فحينا مما يوهم القارئ أن الراوي يحكي ما رآه وقتا بوقت لمجلته.

يلاحظ الباحث أن الروائي انتهج أسلوب المتن والهامش في الرواية لأنه يستعين بالهامش لبيان البيانات التي تتعلق بالشخصيات الأخرى والأحداث والرسالات التي يراسلها مع حبيبته في دبي "ميريام" ولورا. ومن ميزة هذه الرواية أن الروائي يسرد الصور السوريالية والعجيبة مع الواقع كي تصح عنونة الرواية[131]، وهي:

- الأعمى القاتل
- الشرطي المحترق
- مشرحة الجثث
- كف الانتحاري في أيدي الأطفال
- الرجل المقطوع الرأس الحي بسيف الزرقاوي
- الإصبع الحي المنتصب
- رأس الأمريكي لعبة الأطفال
- قارورة الرماد

131- د. همام ياسين شكر، الحدث العجائبي بعده نقدا للأيديولوجيا قراءة في رواية (عجائب بغداد) لوارد بدر السالم، مجلة آداب الكوفة، 51، 2022

- الهويات في جدار المقهى

تحفل الرواية بالأحداث المتكاثرة إلا أنها تقسم ما بين مرحلتين :

المرحلة الأولى: الأحداث قبل الوصول إلى قرية الأستاذ

المرحلة الثانية: أحداث قرية الأستاذ

المرحلة الأولى: الأحداث قبل الوصول إلى قرية الأستاذ

يستهل الراوي الرواية بقوله: "عدت من دبي بعد مقتل أطوار بجهت"[132] مما يدل على أنه لو لم تقع تلك الحادثة الفجعية لم يستطع أن يعود إلى وطنه ومسقط رأسه بغداد. يبين الرواي الأزمة الذهنية التي صادمته بعد موت أطوار بهجت: "تلك الصورة الفجعية جعلتني أقف بين عالمين أحدهما تحميه السماء وتمطر عليه عطرا وشذى **وسلاما**، و تغذيه بالسواحل والأشرعة والسفر؛ والآخر تعزله البنادق عن أنفاسه وتضعه في حاضنات البارود والرصاص، كي يبقى في محبس العمائم و أعشاش البارود".[133] فيحثه بوحمد مادحا له بأنه أفضل من يفهم خطأ الوطن الذي لم يره. وبعد أن وصل الراوي الصحفي إلى العاصمة يقول: "وجدت نفسي محاصرا في العاصمة من الجهات كلها".[134] مهما كان الراوي عراقي الأصل يجد نفسه غريبا في وطنه ويلوم أباه التاجر البحار الذي ترك العراق وأنجبه في ساحل من سواحل العالم وعمّده بمياهها.

132-وارد بدر السالم؛ عجائب بغداد؛ دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت؛ ط 1؛ 2012؛ ص-1.

133-المصدر السابق، ص-1.

134-المصدر السابق، ص-2.

في بغداد يجد الراوي الصحفي مراسلين ومراسلات منهم "خميس الأسود" الذي يغطي الموت والمشاهد البشعة فقط لجريدته الكويتية. وكانت هي مصادفة للراوي مع أنه لقيه في أماكن عديدة ولكن سلوكه الذي لا يرى في العراق إلا الظلام الداكن اختنقه فور وصوله إلى "فندق الشيراتون" المحمي بالجنود المارينز والمحشو بالمراسلين والمراسلات. وحينما يجد الراوي مراسلة البي بي سي "لورا" صديقة مهنية في وحشة بغداد المرعبة يثلج صدره ويحس كأنه وجد شيئا مفقودا. وشخصية لورا وضعها الكاتب في قالب عباراته: "السيدة البيبسية أنيقة بالجينز الصحراوي والشعر المعقود خلف قبعة عسكرية مضغوطة على رأسها كمحاربة تشي طلعتها بالنشاط والحيوية والحركة الدؤوب".[135]

ويصف الراوي مما نصحته الصحيفة لورا عن الوجوه العراقية (الفقراء) التي تقف أمام فندق الشيراتون وذلك لما أنهم يتوقعون بأنهم يجدون فرصهم في وسائل الإعلام للشكاوي والتجارة أيضا. بعض منهم يحملون وثائق مهمة وسكوكات تاريخية والتي سرقت من الدوائر الحكومية والحزبية أثناء احتلال بغداد وبعض منهم مخطوفون عائدون من الخطف بعد دفع فدى مالية لهم. وينصح البعض التحذير من فقراء الحرب هذه لأنه "قد يكون بعضهم عيونا للقاعدة".[136] وكان الراوي يراسل لحبيبته ميريام كل مشاهد بغداد عبر لابتوبه. وكانت المشاهد أول أمره مرعبة للراوي حيث يقول: "وهذه أول مرة أرى فيها قتلا و قتالا ولعلعة رصاص ودماء مسكبة من باب إلى باب ومن بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع".[137]

135-المصدر السابق، ص-3.

136-المصدر السابق، ص-9.

137-المصدر السابق، ص-5.

ومن فندق الشيراتون يلقى برجل شاب يعرض عليه وثائق سرية صادرة من جهاز المخابرات في عهد النظام السابق و الذي احتفظها قبل ست سنوات ولكن الراوي الصحفي رفضها. ثم يلقى بشاب آخر والذي أكمل الدراسة في كلية الفنون الجميلة قسم المسرح والذي قال له إنه يستطيع أن يمثل دور صدام في فيلم طوله 34 سنة. أنبأ الشاب المسرحي عن معجزات الحرب التي تحدث في قرية مبتكرة ببغداد لا تشابهها قرية، ثم يكون بينهما حوار حميمي حيث ينكر الراوي معجزات الحرب ثم يفترقان المجلس بعد أن قال الشاب: "سنلتقي ذات مرة وقتها ربما يتغير رأيك".[138]

يلاحظ من خلال السطور أن الراوي يتصارع مع هويته العراقية التي لا يدريها إلا من خلال أبيه السائر البحار فقال له بوحمد: "أن أباك سندباد لا وطن له فلا تكن على شاكلته"[139] أي يغريه على وجدان هويته ومعرفة وطنه العرقي ولكن بادئ الأمر يرفض قرار الرئيس بوحمد قائلا: "المجلة لا تحتاج إلى قصص حرب مقرفة وبشعة عن همج يتقاتلون من أجل لا شيئ"[140] ولكن بوحمد الذي يمتلك لسانا طلقا يمدحه بأن ثقته بقلمه محسومة منذ أول تجربة الراوي في تايلاند. ثم يرى أنه يسترجع اللحظات التايلاندية والأصابع الآسيوية التي لفتت انتباهه من هناك.

في فصل "أوطان للأصابع" تدعو لورا راوي القصة إلى غرفتها للتعرف على المراسلين الأخرى عبر ورقة صغيرة ملصقة على بابه، ففي تللك اللحظة أولا يعرف الراوي أن اسمها "لورا". تعارف مع

138-المصدر السابق، ص-8.

139-المصدر السابق، ص-10.

140-المصدر السابق، ص-11.

الصحفي الكندي والمصورة الأسترالية والمراسل السكتلندي و"رندة" اللبنانية و "عبدو المصري" مراسل لقناة روسية. وفي خضم ذلك يتحول السياق إلى حوار بين الراوي وبو حمد. بوحمد يحثه بأنها فرصته على أن يحقق نفسه و انتمائه إلى وطن نزح عنه منذ طفولته قسرا. ولكن الراوي يسترجع اللحظات الممتعة التي شعرها في بوكيت.

ومن الجدير بالذكر تحليل الراوي ما وجد من ميزات الأصابع الآسيوية وكيف الأصابع تساهم في بناء الثقافة ويتأمل أصابع النساء والرجال في الرقص والطبخ والشرب والمأكل وغيرها ويؤدي ملاحظاته المرموقة حول الأصابع بشكل ممتاز. بينما يغوص في الأفكار يتقدم بوحمد بالحض قائلا: "إنه خير من يفهم التداخلات الطائفية التي أثمرت عن حرب غامضة بعد حاثة سامراء"[141] ولكن لم تنجح إقناعات بوحمد على الراوي إلا عندما أخبره عن "كيفان كارتر" الذي صور مرأى النسر الذي ينتظر موت طفل مجاعات السودان وكذلك يحثه على أنه يستطيع أن يظهر أمام العالم بشاعة المحتل الذي احتل بلاد الراوي. ويمدح بوحمد تارة أخرى كيف يحتفظ أرشيفا حول مقاله عن "النهد" فيتذكر الكاتب تلك التجربة التي لاحظ فيها عن النهد لفتاة فيليبينة في إحدى أسفاره كما يبحثها في هامش هذا الفصل.

يتحاور الراوي و لورا حول الهوية والحرب وتروي له لحظة إسقاط تمثال صدام حسين في ساحة الفردوس. وعندما كانت تلتقط المشهد جذب زوم عدستها رجلا ستينيا منزويا إلى حائط جامع قريب من الساحة وكان الرجل يتألم حنيما رأى جنود المارينز يلفون التمثال بالعلم الأمريكي فقررت أن تتصل معه، فلما اتصلت معه تبين أنه يبكي لخديعة طولية أكلت من

141المصدر السابق، ص-18.

أعمارهم. وتؤكد لورا أن بعض البلدان الديموقراطية رأت صدام حسين مثال الغرور و العظمة. أثناء حوارهما يراسل أبو الراوي برسالة إيميلية يدعوه "للرجوع عن وطن لم يعد لنا فيه شيئ".[142] ومع نفس الوقت يتصفح الراوي مراسلات رئيس التحرير الذي يحاول أن يثبته في بغداد بكلماته المقنعة كي لا يرجع من مهمته في وسط الطريق بكل التشجيع والمدح، فذكره مقاله عن "تاج محل" مثال الحب المغولي. يتحاور الراوي مع لورا عن مقاله عن الدعارة الإسلامية في شارع العرب بكولالامبور عبر دكاكين المساج ورحلته إلى الصين وعن أسرار العيون الصينية. وإلي كلامهما يصل خميس الأسود بأعداد من الجرائد الكويتية التي نشرت لطخة الدماء البغدادية حيث يعبر الراوي كل الكره تجاه ما تنشره هذه الجرائد من الموت والكارثة والسواد فقط. وفي رسالة إلى ميريام يكتب الراوي أنه في كل مساء عندما يعود يلتقي بمتوسلي الحروب وفقراء الحروب وكان الأعمى منهم يثير ريبته، ظنه يمثل كالأعمى ولكنه أعمى تقوده صبية شعثاء الشعر وكان يروي له فجائع مدينتهم.

شرطي يحترق

تحمل الهمرات العسكرية المراسلين والمصورين إلى المدن المستوحشة بعد الحرب و إلى مواقع التصادمات. فلورا و بطلنا يخرجان في الهمرات حتى وصلت العجلات بشارع عمر عبد العزيز كي يروا شرطيا يحترق حتى صار كقطعة بلاستيكية مما أزعج النظر وجدانهما حيث يقول الراوي إن المنظر أكل من روحه أياما. ويلاحظ الراوي أن كل صباح يطلع بتبدل الأرقام وتكاثر الموتى ولا يدري أحد متى تغلق الأقدار في ظل فوضوي حتى في حق المراسلين، فيأتي خبر

142المصدر السابق، ص-27.

اختطاف الصحفي الكندي "ديفيد" وصديقته الأسترالية في شارع "حيفا" وسط بغداد حيث نجت رندة ومن معها من تلك الورطة.

الأعمى القاتل

وبعد الرجوع يندهش لخبر موت خميس الأسود حينما سمع أنه قتل بيد المتسول الأعمى الذي لفت انتباهه بجوار الفندق فور خروج الأسود من الهمر أي قتله بمسدس كان يضعه تحت ملابس ابنته الشعثاء. يسأل البطل لكنينونته: أعمى قاتل؟ وهذا السؤال أرق نومه وكانت الواقعة واحدة من عجائب بغداد. أما الأعمى قتله الشرطة والشعثاء لا يدرى مصيرها و يختم الراوي فصل"حروب مرتجلة" بقوله: "لكم يكن أعمى يا ميريام!كنت أنا الأعمى!".[143]

المشرحة

وفي اليوم التالي يخرج البطل و لورا إلى مشرحة الطب العدلي التي تكدس جثثا عديدة بلا هوية. يعبر الكاتب هول الموقف بأنها بدت مسلخا من مسالخ الإعدامات الجماعية ولاحظ أنه ليس هناك رجال يراجعون الجثث بل النساء يقمن في طابور لاستلام جثة آبائهن وأزواجهن وأولادهن والرجال مهددون بالقتل هناك بل صبيان لم تثبت شواربهم يحملون الأسلحة لمراقبة هذا المكان. وبعد بكاء نفسي تلتقي معه فتاة قلقة ذات الحجاب الكحولي تقدمه ورقة فيها صورة أو اسم متنفذ سابق حيث تعبر الفتاة بأنه الآن عضو بمجلس النواب وفي حزب إسلامي. فقدمها الراوي البطل 100 دولار ولكنها تقول أنها لم تجئ لبيع بضاعة الفاسدين

143 المصدر السابق، ص-35.

فنصح الراوي بأنها هدية تستطيع شراء بعض الثياب فغضبت سائلة: "أتراني عارية؟؟"[144] فحوصر الصحفي البطل أمام الفتاة كي يستلم الورقة من دون عناد وتصور أن الورقة تحمل أسماء وبعض الأسماء أودت بحياة البعض فعلم لماذا يحرض الأب على ترك بغداد.

قامة بلا رأس

وفي يوم آخر كان البطل الصحفي يمشي في شارع أبي نؤاس كي يستنشق بعض الهواء النقي، فجأة اتصلته لورا ليرجع إلى فندق الشيراتون ليرى أكبر من كل مرأى ومشهد، وذلك أن رجلا بلا رأس يقف في صالة الفندق وحوله حشد من الإعلاميين والمصورين و يتفاعل معهم أخو القامة المقطوعة الرأس الذي يقف بجواره معبرا عن أخيه: "هذا أخي هو أكبر مني اختطفته القاعدة لمدة أسبوع...رأسه مقطوع...ذبحه الزرقاوي بنفسه...وألقاه أتباع في النهر.....عاد إلى البيت بعد أن سبح النهر.. وكما تراه تحدى سيوف الزرقاوي ولم يمت يحب الحياة فلماذا يموت؟".[145] اندهشت رندة و لورا من المشهد كل الدهشة و البعض كبروا وأعلنوا أنها معجزة من معجزات الله. صور الراوي الصحفي المنظر المدهش من نواح مختلفة كي يرسلها إلى بوحمد ولتزيد عجائبه في بغداد يوم بعد يوم.

كف الانتحاري

في فصل"شبهة الوطن المحتل" تغادر لورا العراق إلى لندن متبقية لابتوبها المحشو بالتصاوير الفجائعية الممتصة بعدساتها بيد الصحفي البطل. بعد غياب لورا يجد البطل نفسه مستوحشا وحتى ليالي الشات مع ميريام لم تقنعه و أحس بالوحدة. وبعد مغادرة لورا يقع

144المصدر السابق، ص-41.

145المصدر السابق، ص-44.

انفجار في إحدى الوزارات من قبل ميليشات مسلحة مما ساهم أن يتخبط المراسلون هنا وهناك، ولكن البطل الصحفي خرج إلى شارع "السعدون" مقتفيا أثر الدخان المتبدد في السماء. ففي موقع أحد الانفجارات تتشظى جثث عديدة. أعلمه شاب صغير سبب الانفجار وذلك أن رجلا انتحر نفسه في مدخل محل بيع الكحول سرا من غير لفت انتباه. جلس الصحفي على تنكة مع كراهية الرائحة الفاسدة من الجثث وبجواره ثلاثة رجال يقصون قصة الانتحاري الذي كان يعيش قبل دقائق. يرسل الروائي صورة هؤلاء الثلاثة إلى رئيس التحرير بوحمد ويشرح عنهم، فالأول اختفى بعد أسبوع من انفجار محل الخمور ولا يدرى سببه والأخر يقضى بانفجار في سوق الشورجة بعد يومين من اختفاء الرجل الأول والثالث أيضا غاب و اختفى بعد أن قص عليه قصة الأول والثاني.

وحينما كان يحتسي الشاي جالسا على التنكة إذا بصبيان الدربونة يأتون بكف الانتحاري التى أزعجت الجميع، وتبادلت بها الأيدي ليروا كف الانتحاري الذي مزق كل شيئ مع أن البعض صوروها في موبايلاتهم المطقطقة. وكان الموقف يختنق الصحفي حتى رأى مجالا للخلاص من الكف الدامية التي تنزوي أمامه كالسحلية و أرسل صورتها أيضا إلى بوحمد ليحس حساسية الموقف حتى غادر المكان بقلق ممل. يتذكر لما رأى الكف: "الكف التي تفجر وتعدم الحياة ذاتها التي تزرع و تأكل وتخط التاريخ وتدون الحضارة كما قالها القاضي الأشبيلي ابن الطفيل قبل ثمانية قرون هي كأنما ليؤرخ تاريخ الأصابع و الكف معا في رحلة الفلسفة الأندلسية".[146]

146المصدر السابق، ص-54.

ويأتي إلى خلده لما شاهد الكف الدامي سحر الساحر الهندي الذي يقطع كفه بريشة الطاؤوس في إحدى رحلاته إلى الهند.

في تلافيف الرواية يسرد الراوي مسجات و مراسلات مع عشيقته ميريام وهذا الحب من تكتيك الكاتب لخفض الهول و الآثار التي يترتب عليها في قوة ذهن القارئ لأن فترات السرد الحبي يروح ذهن القارئ الذي يرى الفجائع و رائحة الموت في جميع سطور الرواية. البطل الروائي عرف ميريام من دبي ومن "الأشرفية" بهرته أيقونة مسيحية ومع أسرتها كانت اليالي و النهارات في بيروت أجمل أوقاته كما يقول.

الأمريكي الشاذ

يتعرف من الشيراتون شرطيا أمريكيا أو رقيبا أمريكيا شاذا باسم "مايكل"، مايكل اقترحه أن يدرج اسمه مع المراسلين الذين خصصت لهم عجلة همر للتنقل في نواحي بغداد مما يظنه البطل أن مايكل لا يقترح شيئا إلا ليقضي حاجة في نفسه منه. فعرف ذلك من الورقة الملفوفة التي وجدها على مفتاح غرفته حيث يستأذن مايكل بالبقاء في غرفة البطل الروائي لفترة القيلولة ومعه صديق عراقي. ويأتي مايكل مع "أشرف" إلى غرفته ولكن الصحفي البطل لا يحب أشرف أبدا حتى أراد أن يبصق في وجه ذلك العراقي الهجين كما يصفه. ويصف مايكل بأنه يتوهم بنفسه واحدا من أبطال الاحتلال ويسربله الرئيس بوش في رقبته شارة البطولة. ويرى أيضا أن الراوي يساعد هذا العراقي كي يراسل مع مايكل باللغة الإنكليزية وتجاهله وتذكر

ما نصحته لورا: "تجاهلهم قدر ما تستطيع بوصفك عراقيا. مواطنوكم أخطأوا خطأ لا يغتفر حينما صفقوا لهم في اجتياح بغداد".[147]

يجد البطل الروائي رسائل لورا من نوتنكهام وهي تحرضه أن يثبت في بغداده التي يبحث عنها وفي حربه مع الإرهاب. فتلك اللية تطارده ذكرى الفتاة المحجبة التي أودعته وثيقة من زيارة المشرحة والتي تحمل بيانات أحد المتنفذين السابقين و عضو مجلس النواب رجل حزبي إسلامي أودى بحياة ثمانية أشخاص على ما يبدو بطريقة الإعدام. وكان في قلق شديد كيف يتصرف بهذه الوثيقة فهم بتمزيقها إلا أن توصيات لورا أنقذته وهي تقول بأنها ستكون فخا والتصرف الأحمق يؤدي إلى الفناء.

الإصبع الحي

فصل "أخي الإصبع" يقدم أعجوبة من أعاجيب بغداد التي يراها البطل الروائي والتي اخترعتها أهوال الحروب. يلتقي بطالب كلية الفنون الجميلة الذي لقيه من الشيراتون حيث يذكره بنفسه بأنه يستطيع أن يمثل دور صدام في فيلم طوله 34 سنة. يدهش البطل الروائي على إصراره فأجابه بأنه عاش سنوات صدام كلها وحفظها وحروبه عن ظهر قلبه حتى يكون الدور في غاية السهولة. ثم يتساؤله عن الحل الذي رآه فيجيب أن الحل الوحيد هو الهجرة، ثم يسأله عن مسكنه فيجيبه: "في قرية الأستاذ؟! مجيئ "الأستاذ" غير فكرتي".[148]

147المصدر السابق، ص-60.

148المصدر السابق، ص-64.

اسم قرية الأستاذ مست قلب البطل الراوي وكان اللقاء مع الشاب المسرحي فرصة ثمينة حيث كان نتاجا لإبعاد الشعور بالوحشة التي ضغطته بعد مغادرة لورا. وبين طرح أطراف الحوار بينهما سأله البطل الروائي عن قرية الأستاذ فيجيب بأنها "أفقر حي أنشأه أستاذ جامعي معروف في أوساط علمية عالمية".[149] ثم يحدث الفتى واحدة من عجائب بغداد التي وقعت بين أهله وذلك أن أخاه الأكبر سحقته نيران سيارة مفخخة و احترق كل الاحتراق ولم يبق من جسده إلا إصبعه حيث يجدونه منتصبا يشير إلى السماء. فحملوا الإصبع في تابوت ودفنه مع أخيه بمراسيم الدفن ولكن-للعجب- عاد الإصبع في الصباح يبكي. فاندهش البطل الروائي لما سمع القصة فقال الشاب بكل جدية: "عاد كما يعود الأحياء إلى بيوتهم..!".[150] وبعد استشاروا السادة الأشراف عن الإصبع فاتفقوا على أنه معجزة وأن بيت القتيل من بيوت الصالحين لأن الإصبع دليل على ذلك. ثم أيقنوا من الأمر و تناوبوا في حفظ الإصبع من جيب إلى جيب و كف إلى كف وهذا يوم الشاب أن يحمل الإصبع في بغداد الذي يعشقها، فيمشي به بين الأماكن التي يحبها. وإمساسا لدهشة الصحفي الراوي أخرج الشاب إصبعا من جيبه فكان من يد غير موجودة، نظرها الراوي بنظرة خاطفة لما اعترته الدهشة الأخرى من عجائب بغداد.

ثم يأتي الموعد الذي وعده لمايكل وأشرف بأن يخلي غرفته لهما فيزوره أشرف مبكرا ولكن البطل الروائي يكرهه أشد الكره خاصة بتحيته "صديقي". وسمع القصة التي يبصقها أشرف بكل كراهية وهي أنه يستحق كل هذا الاحترام من الجندي الأمريكي مايكال لما أنه أنقذ مايكل عندما نصبت له جماعة المجاهدين كمينا ويقول بكل عزم إنه مهما اختلفت لغاتهما يتفاهم

149المصدر السابق، ص-67.

150المصدر السابق، ص-68.

مع مايكل في عملياتهم الشذوذية، فترك لهما البطل الروائي غرفته كامنا في كنهه أشد الكراهية. وتراسله لورا حيث لا تأل جهدا في المراسلات وتشتاق إلى بغداد: "كنت فيها مثل الطفلة التي تبحث عن ألعابها الملغمة في الحدائق والشوارع والأرض".[151] وتنصح البطل أن يوجد هويته أولا وذلك بإيجاد الحرية أولا و إن لم توجد الحرية فتقترح للعودة إلى الحياة السواحلية التي استلذ بحريتها بدبي.

يتقدم البطل الراوي لكتابة بعض من ملامح بغداد ولكنه توقف عن هذا السعي: "فالكتابة مثل المرأة الحائض تحتاج إلى أيام لامتصاص دم الدورة الشهرية منها كي يكون جسدها نظيفا ومهيأ المزاج".[152] لم يذهب الشاب الذي يحمل أخاه الإصبع حتى الآن فتكالمه أمه قلقة على ابنها الإصبع من أنه تلاشى في انفجارات المدينة. يخط الشاب مع إصبع أخيه ويتكلمان وكل ذلك تمتصه عيون الصحفي البطل بكل ظرافة متزجة بالدهشة. البطل الروائي الذي حفل قلبه بقرية الأستاذ يحث الشاب على حكاية القرية و أستاذه مرة ثانية، فأجاب الشاب بأنه فهم أن البطل الروائي لم يعتقد أمر الإصبع بادئ الأمر ولكن سؤاله دل على أنه سيعتقد شيئا فشيئا.

وخضم تفاقم الأحداث و تبصق القنوات العربية أن عدد المقتولين أكثر من عشرين ألف قتيل من جهتي النهر دجلة يراسله رئيس التحرير بوحمد بكل رعب ودهشة: "اترك بغداد وعد اليوم قبل الغد"[153] نسيانا لمحاولاته وكلمات إقناعاته المتكررة لإرسال البطل إلى العراق لمجد

151المصدر السابق، ص-72.

152المصدر السابق، ص-74.

153المصدر السابق، ص-78.

المجلة و لتغطية العراق المحتل. يجيبه الراوي بأنه يتطلب له تغطية هوامش المدينة لا متنها كما ترى في شاشات القنوات وأنه في محاولة التغطية على الهوامش. وأثناء ذلك يأتي خبر أنه لا بد من الانتقال إلى المنطقة الخضراء، أي المركز الحكومي المحمي بالقوات الأمنية لما أن فندق الشيراتون ستكابد توترات و أزمات أمنية.

المرحلة الثانية : أحداث قرية الأستاذ

قرية الأستاذ

وفي فصل "قرية الأستاذ" يقود الشاب المسرحي بطلنا الصحفي في روافد القرية كي يتعرف على القرية. مشيا بجوار دجلة و بدت لهما بيوت من البلوك و الصفيح والطابوق والخشب. وهي "أحدث قرية في بغداد...نشأت بعد الاحتلال...وبعد خطف الأستاذ".[154] ينال الشاب كل الاحترام من القرويين و النساء و الأطفال، يرون الغريب الصحفي مع إحساسهم الأمني. الرايات الملونة المعلقة على السطوح لفتت انتباه الراوي الصحفي، ومهما اقتربا القرية تتضح معالم القرية كأخطبوط غليظ يجثم من المسافة البعيدة و المقهى الوحيد هو مركز القرية. تسائل البطل كيف يجتمع مختلف الأنواع و الطوائف الغرباء تحت شمسية واحدة في قرية الأستاذ فأجابه الشاب: "كلنا غرباء...لم نكن نعرف بعضنا من قبل. لكن جمعتنا المصيبة الواحدة في فوضى الاحتلال والقتل علاثر وصولهما إلى مقهى القرية يجري الشاب لتسليم أخيه إلى بيته بعد أن حمل مسؤولية ثقيلة في كاهله كي يرتاح باله. في المقهى تحاور الصحفي مع رجال ثلاثة، فسأله الواحد كيف هي أحوال بغداد فضحك قائلا هذه بغداد ولكن

154المصدر السابق، ص-81.

الصحفي سيفهم بعد أن السؤال كان يحمل معان راسخة. بعد عودة الشاب يدخلان إلى الأستاذ حيث يصفه: "في البيت كان رجل سبعيني نحيف بشعر أبيض.....وجه نحيف وعينان زوزوريتان صغيرتان داخلتان في جمجمة رأسه".[155] صافحه الأستاذ كاشفا أكفه وهو يقول: "لدي ست أصابع في كل كف!".[156] وهذه دلالة كافية على أنه شخصية فريدة مرموقة. ثم يجري بين الأستاذ و الصحفي البطل حوار مديد حول المدن الحديثة والتكنولوجيا و تطور المعرفة حيث يلوم الأستاذ دبي بأنها خرجت من الطبيعة إلى عصر العمارة ودلل على ذلك عدم وجدان مثل الجرو أي الكلب في المدن المستحدثة كدبي. وبعد الحوار الطوال خرج الأستاذمنقشا في سوداء البطل تجليات ساطعة فقال الشاب: "الأستاذ عقل القرية...إنسان متواضع...بيوت القرية تريده بينها في الأوقات كلها".[157] ثم ينادي الشاب أمه بأنه قد حضر لديهم ضيف فتخرج الأم وفي يدها الإصبع المقطوع وهي تقول لجعل المشهد عاطفيا: "هذا ما تبقى من ابني".[158]

المنطقة الخضراء

تم تبديل الغرفة من الشيراتون إلى حي من المنطقة الخضراء حيث يصلها في أول جوقة همرات أمريكية. وفي الغرفة الجديدة ساعدته "رندة" بالمعجنات والحلويات وعلب البيرة. غمر البطل الراوي ارتياح لما أنه تخلص من الفندق وأشرف الشاذ ومايكل الشاذ والعميان الذين يخفون مسدسات مخيفة مع أن الوحدة تساعده على الذهاب إلى الآخرين و التعارف على هوامش

155 المصدر السابق، ص-86.
156المصدر السابق، ص-87.
157المصدر السابق، ص-89.
158المصدر السابق، ص-90.

بغداد. ثم تخبره رندة بأن مسؤولا كبيرا سيقول كلمة مهمة للصحفيين والمراسلين في القاعة القريبة بشأن الحرب الأهلية. فيروح مع رندة إلى القاعة فيظهر سياسي واحد بعد واحد فتخبره رندة عن كل بياناتهم وهي تحفظها كل الحفظ. ومن الملاحظ معظم السياسيين الذي عرفتهم رندة لصوص أو طائفيون أو إسلاميون. وأخيرا نالوا باجات خاصة لدخول المنطقة الخضراء والخروج منها.

الرأس الأمريكي لعبة الأطفال

وبعد ثلاثة أيام كاد يخرج الراوي من المنطقة الخضراء إلى ساحات بغداد ولكن رندة تخبره بأن هناك معركة في شارع حيفا فحملتهم العجلات العسكرية لتغطية المكان والحدث. وبعد الوصول شرع كل واحد تركيز عدساتهم في الشوارع الخاوية و الجدران الهادمة بل لفتت انتباه الصحفي البطل إشارة امرأة بعيدة بيدها إلى صوب من البقعة، فظنها أنها في الخطر أو تشير إلى كارثة حلت بأولادها، ولكن خلال فتحات صغيرة في جدران الكونكريت المنكسرة ينظر إلى صوب الإشارة كي يرى صبيانا يهبطون من أبواب العمارات الخلفية يلعبون بلعبة لا تبدو ماهي إلا أنها رأس الجندي الأمريكي الذي كان حيا قبل قليل يتدحرج بين الأقدام الصغيرة. يرسل الراوي تلك الصورة المدهشة إلى بوحمد مهددا إياه كيف هي عجائب بغداد. بعض الصبية رأى الصحفي ولكنهم داوموا اللعب مهما يكن من شيئ. عاد الصحفي حاملا في نفسه أثمن لقطة في الحروب الطائفية، ما ستكون غلاف لمجلة دبي مخفيا عن المراسلة رندة.

واتصل الشاب المسرحي البطل الراوي مرة أخرى لأن الأستاذ يريد لقاءه وفي هذا اللقاء طرح الأستاذ معان كثيرة ونصح الصحفي أن يترك المنطقة الخضراء و أنهم سيبنون لهم بيتا خاصا

له في قريتهم حتى أدوع رسالة إلى قرود المنطقة الخضراء: "قل لهم أن باكون يقول أن المعرفة ذاتها سلطة وليست حاجة كمالية للسان الطويل واللغة الفائضة والإنشاء المدرسي، لا كما قال ماوتسي تونع أن السلطة تنبع من فوة البندقية".[159] نرى في الرواية أن البطل يقضي بعده مساءه مع رندة في القاعة الأميريكية حيث الجنود يريحون قلوبهم من الشواغل والأزمات بالأطعمة الشهية والفتيات الجميلات.

قارورة الرماد

وفي اليوم التالي يذهب الصحفي البطل إلى القرية مع الأستاذ إلى بيت الأزرق الذي كان الشاب المسرحي يحكيه عن عجائب قارورة الرماد التي كانت في البيت الأزرق. وجدوا أنفسهم في البيت الأزرق بعد مشوار أمام رجل خمسيني و يتنهد متفهما بأن ما وقع وقع و القدر فوق كل شيئ. سمع الصحفي قصة قارورة الرماد من فم الأب و فم الشاب المسرحي. والحدث أن ابنتها كانت في الأعظمية فأحرقوها حيا ثم اتصلوه بالهاتف النقال وأعلموه بالحرق ومكانه قرب ساحة عنتر فذهب الأب للمكان كي يرى كومة من رماد مغطاة بورق جريدة وقالوا له هذه هي ابنتك. وكانت هناك مساعي لخلاصها من الاحتراق من قبل الناس و المليشات وعناصر القاعدة في آخر أنفاسها إلا أن القدر غطاها وذهب بها. ثم كان عليهم أن يدفنوا الرماد المحترق دون أن يدروا من احترق الفتاة؟ ولم احترقها؟ وكيف احترقت؟ فسألوا بعض المشائخ بالمساجد عن جواز دفن الرماد في مكان وتسمية الضريح باسم الفتاة فلانة بنت فلان. هل أحد دفن الرماد و نادى بين الملأ: هذه ابنتي؟ كلا.

159المصدر السابق، ص-102.

ففي هذا الموقف الحرج تحرك إصبع أخ الشاب المسرحي وخط "أن هناك رمادا في الأعظمية لم يمت بعد أسرعوا قبل أن يدفنوه".[160] ثم تفهم الصحفي معنى تسمية البيت الأزرق لأن الفتاة كانت آخر ما ترتديه القميص الأزرق وكانت تراجع الكلية. ثم أنزل الرجل الأب القارورة الصغيرة التي تحتفظ رماد الفتاة بكل انتباه و وعي ويقول إنها نائمة الآن لأنها سهرت البارحة كثيرة وكانت تتألم. وأضاف الشاب بأنها إن أرادت شيئا فالرماد يتحرك ويرسم خطوطا في باطن الزجاجة. ففي تلك اللحظة حظي الصحفي لرؤية الرماد الذي يتحرك في الزجاجة و فرح الوالد علم أن بنتها قد استيقظت من نومها حتى خيل إليه أن يقف بين السحرة و أنه في قرية السحرة ولكن تفكر أن الحروب أنتجت هذه المعجزة و تحركت قارورة الرماد لتكون عجبا من عجائب بغداد.

مضى الشاب المسرحي سرد حكايته مع الراوي البطل وذلك أن القرية تشكلت بعد عودة الأستاذ بعد الخطف والمعاناة التي كابدها. وكانوا أول من سكنوا القرية بعد الأستاذ. فقصة أخيه حفزت بعض القدريين أن يشرفوا بيته و يقدسوا عائلته وهموا ببيتهم مزارا في العراق الذي تطفح بالمزارات بعد الاحتلال. وليسوا سادة بل ناس بسطاء جياع مع الآخرين فمللا من شر هؤلاء الناس أخرج الشاب الكلام الصارم: "أيها المبتلون بحرب الإخوة والأعداء العاجزون عن الحياة الدامية، لم يكن واحد منا محمدا ولا هارونا ولا عيسى ولا موسى ولا بوذا. إننا مثلكم بشر أكله الرصاص و أهانته المفخخات وجعلت الأحزمة الناسفة نهاراته ولياليه حمراء".[161] وبعد قصة الإصبع و قارورة الرماد ازداد عدد الناس في القرية و لاذ المهاجرون

160المصدر السابق، ص-109.

161المصدر السابق، ص-114.

تحت ظل الأستاذ و في شاطئ السلام أي قرية الأستاذ. وأرى الشاب نهر دجلة وراء القرية لبطلنا كي يخبره أن دجلة تمج كثيرا من الجثث و أن الشرطة لم تفعل شيئا إلا أن صورتها وذهبت غير أن تفاقم الجثث صارت عادة من العادات.

قصة الأستاذ

منعت صوضاءات القرية و شواغلها البطل الصحفي أن يرجع إلى المنطقة الخضراء مهما اتصلت معه رندة ثلاث مرات حتى أمسى النهار واستحال الرجوع إلى المنطقة الخضراء بسبب انغلاق الطرق، فقام القرويون باستضافة الصحفي الغريب العراقي الأصل في بيوتهم إلا أن الأستاذ استضافه في سطحه للنوم. وهذه الليلة التي تحتوي على ثلاث ساعات كانت ليلة حافلة بالمعاني والحوار الحميمي بين الصحفي و الأستاذ لما أن الأستاذ قص عليه قصة خطفه و الفتنة التي نشبت في جامعته. وذلك أنه كان أستاذا جامعيا في جامعة عراقية طيلة خمسة وعشرين سنة فظهر المد الظلامي الذي انتشر كالسرطان بين صفوف الطالبين. بعض الأساتذة و بعض الطالبين اصطفوا تحت هذه النيران الدامية بشعارات مستفزة و استباحوا الدماء في الحرم الجامعي وما كان الأستاذ إلا أن يصرخ بصراخه أمام طلابه بعصاه أن يدموا الحرم الجامعي كالمجنون. ولما قتلت الطائفة التي مرضت بهذا المرض وشجعت الظلم أستاذ البايولوجيا من الجامعة أيقن الأستاذ أن الأمور قد انسلت من ثباتها لأن أستاذ البايولوجيا كان روح الجامعة. فقتلوه برصاصة وهم ينشدون نشيد النصر بلغات أعجمية. ولما نقصت أعداد الطلبة والأساتذة بسبب الخطف و الجور والهجرة استولى الغرباء مقاليد أمور الجامعة.

استفسر الأستاذ الأميركان عن سبب الظلم فأجابوا بأنهم لا يشغلون أوقاتهم لهذه الصغائر. فمن أزعج الفتنة بين الجامعة، مقر أجنة المستقبل و موطن ثقافة الوطن؟. فهم الأستاذ أن يقدم شكواه إلى المحكمة فوسموه بالجنون، ثم لم يكن أمامه مجال إلا أن يدعو الله رب كل شيئ: "أينك أيها الرب العظيم!.....هؤلاء خرقوا ذاتك وانتهكوا ستر بناتك وكشفوا عورات نسائك. أفق أيها الرب وارحمنا..."[162].

رصاصتان أخطأتا الأستاذ من متاهة الموت إلا أنها تناساها وأصرت زوجته للهجرة و إلا سوف يقتلون الأستاذ فرد الأستاذ بأنه لا يهاجر وطنه لسبب الغرباء. ثم يلوم نفسه بأن الأفضل كان أن يهاجر من المدينة كما فعلها الأساتذة و الكفاءات و الطلبة و المعلمون والمهندسون و الصحفيون و الأدباء وغيرهم. وبعد الرصاصتين اللتين أخطأتا الأستاذ هموا به الخطف من الجامعة من غرفته، فتقدم شباب يعلنون بشعارات دينية ثورية مزعجة أمسكوا عليه كالخروف حيث يقول تلك الحالة المستفزة: "وجرجروني كالحمار أمام طلبتي...طافوابي بين الممرات والصفوف و أنا منقاد بسلاسة....كان أحدهم يضع بين دقيقة ودقيقة أخرى إصبعه في قفاي لترى طالباتي انكسار هيبتي...لمزيد من طالباتي إذلالي و إهانتي إلا عندما أركبوني في حوض سيارة معدة وربطوا قدمي..."[163] وبعد الخطف نجا بسهولة.

بعد أن ختم السرد سقط في نوم تلك الليلة، إلا أن الشاب المسرحي لقي الصحفي البطل في اليوم التالي و تفقد أمر الأستاذ وتابع يحكي قصة الأستاذ من النقطة التي قطعها الأستاذ. خرج بعد الخطف إلى هنا يعني القرية التي هي بعيدة عن العاصمة الدموية، وكان وحيدا بنى

162المصدر السابق، ص-199.

163المصدر السابق، ص-112.

كوخه من صفيح و اعتكف شهورا كالراهب، وكان مستلهما من أيديولجيات البوذية لو لم يكن بوذيا. اكتشفه الصبيان الذين يصطادون السمك فخالوا بأنه جني لصورته البشعة بعد اعتكاف الشهور فقال: "تعالوا يا أولادي أنا معلم آبائكم و أجدادكم.."[164] إلا أن الصبيان رجموه بالأحجار و أنقذوا أنفسهم.

ثم اعتكف شهورا على مكتبته وهو يغوص في صفحات المعرفة ولم يعرف الأوضاع التي تتغير حوله ولم ينتبه إلى الحروب التي تهيج الناس من سكناهم إلى قريته وهم يجتمعون حول بيت الراهب الجني العاكف ببناء بيوت من صفيح وقمامة و أزبال وأشواك. فخرج ذات صباح إلى جوار دجلة وهو يندهش للقرية الطارئة حوله والناس يحيونه بأحسن التحيات، فأفاق من حلمه الطويل ثم نزل إلى الماء بثيابه و غطس غطسات طويلة حتى ظن الناس أنه لا يخرج، بل خرج من النهر قطعا لاندهاش الجميع فاستقبلوه بكل حب ووداد حتى اليوم.

جثة دجلة وبناء المسرح

وبعد الإقامة في المنطقة الخضراء يزور الصحفي قرية الأستاذ مرة أخرى ليرى عجائب دجلة. وكان الشاب المسرحي طالب الفنون الجميلة يقترح أن يمشيا على ضفاف دجلة و يجلسا في المكان الذي اعتاد عليه أخوه الإصبع. كان الصبيان يصطادون السمك على مسافة غير بعيدة، فجأة، علت لغطهم حتى وصلهم الصحفي فرأى الصبيان يجرون صنارة القرية بكل جهود. جر الصنارة حتى بدت جثة منتفخة الأحشاء مربوطة الأقدام الحافلة بالثقوب التي تدل بكمية الرصاصات التي انغرزتها. ذعر الجميع من هذا المشهد المهيب حيث كانوا يعلمون

164المصدر السابق، ص-124.

أن دجلة تفيض بالجثث ولكن المرة الأولى ألقت جثة في ضفاف قريتهم، فاجتمعوا وتحاوروا جما غفيرا. وبين الحشد أحس الراوي بأنه رأى الفتاة الشعثاء التي كانت ترافق الرجل الأعمى في الشيراتون. بعد رؤية الجثة الوحلة قال صاحب البيت الأزرق وهو ينظر إلى قارورته: "الحياة صارت كسمك النهر...من السهل اصطيادها".[165] ثم يتحاور الأستاذ و الصحفي بعد حادثة الجثة وتدور أطراف كلامهم حول الحلول للدماء النازفة و اقترح الأستاذ مسرحا حلا بديلا بشبهة يسيرة.

في فصل "مزارم مسرحي" يجتهد جميع أعضاء القرية لتعديل المقهى الوحيدة في القرية إلى عرض مسرحي بما فيهم من الحدادين و الصباغين و الخطاط الوحيد وطالبات الكليات والأستاذ وشباب القرية والنجارين. فبعد يومين شاقين متتاليين حققوا منصة معقولة في المقهى ولو كانت صغيرة. أمر الأستاذ جميع أهل القرية تزيين خلفية المسرح باللوحات وشهادات وفاة وميلاد وهويات الأحوال الشخصية و عقود الزواج وغيرها من الأشياء والمواد لتكون أسوة الوئام و التسامح والهوية. ثم يرى الصحفي يستأذن الأستاذ لجلب الإعلام لتغطية المسرحية عبر الإذاعات و الفضائيات المحلية والعربية والأجنبية لكي يتردد الأستاذ أولا ثم يراه مناسبا لأن الصحفي البطل أغراه قائلا بأنها لن تتكرر و أن الأجانب سيدهشهم هذا المكان الوعر وسط بيوت الصفيح و الإصرار على عرض مسرحي بعيدا عن الحروب و الانفجارات و مواهب الأستاذ الفريد.

165المصدر السابق، ص-131.

قصة صاحب الزورق

يلتقي الصحفي رجل الزورق كي يعبر دجلة إلى الضفة الأخرى لكي ينتهي إلى مقهى فيخبر رجل الزورق أثناء السير عن القماشات التي تطفو في الماء بأنها جثث شبعت غرقا إما ينتشلها القرويون أو تلحق بها الشرطة النهرية. وبعد فراغه من المقهى يركب الزورق للرجوع، فيتعارف على رجل الزورق بمساحة أكبر وكان يحكي له قصته. يقول "صياد الجثة" بأنها يوم الفتنة وهو يحمل رجالا ونساء وصبيان في زورقه ليلا ونهارا كي يلوذوا ويهربوا إلى أي مكان وملاذ. ربما يكون النهر ملجأه الوحيد وذلك في أيام القتال يحمل أسرته في هذا الزورق ويهيمون حيثما يجري النهر ويتنقلون من مرسى إلى مرسى لأن الموت كان يطاردهم. وكانت الجثة الأولى التي رآها تطفو جثة امرأة بلا رأس وجدها ابنه بين القصب فلم يستطع أن ينام تلك الليلة وبعد يومين اصطاد أحد الصغار رأسها من جانب النهر الآخر. وكانت له تجربة أخرى وهو يحمل زوجة وولدين وبنت صغيرة يتقي الرصاص لأن الرصاص لا يؤمن إطلاقها من أي جهة، وكانت له ولعائلته تجربة المبيت بين القصب أياما طويلة. تارة ابنه الأكبر انتشل جثة شرطي وعثر على هويته وشوية فلوس وأشياء أخرى من جيوبه وأبلغها إلى مركز الشرطة ودلهم على جثته. أشار الصياد إلى جزيرة في النهر و أخبر أنها مأوى الكلاب التي تشتهي لجثث البشر: "هنا كلاب شرسة اعتادت أن تأكل الجثث الطافية بعدما كاد الجوع يهلكها في المدينة...لو تدخل الجزيرة ستجد أكواما من العظام البشرية المكسرة والجماجم المهشمة".[166]

166المصدر السابق، ص-140.

يؤكد الصياد أن النساء أقل عددا في الجثث وجمعوا هويات وأموال كثيرة وصورا ومستندات معدودة حتى صار النهر مصدر رزقهم، ثم سأل البطل كم هويات يحتفظه، فأجابه الصحفي عشر هويات مثلا، ولكن زيادة لوقود دهشة الصحفي قال صاحب الزورق إنه يمتلك أكثر من 700 هويات و مد نحوه من تحت خشبته قبضة هويات كثيرة. وعند رجوعها إليه انزلقت هوية شاب وسيم فأخفاه الصحفي في جيبه وكان يشعر بنوع من الرضا وشعور من الفرح حينما سرقها، ثم خرج من الزورق طالبا من الصياد رقمه وعنوانه ينصحه لحفظ تلك الهويات.

وكانت لورا قد عادت من لندن أثناء ذلك، و أصر بوحمد للعودة تارة أخرى، ولكن الصحفي البطل رفضها. عاد إلى المنطقة الخضراء و أخفى كل ما رأى من العجائب عن صديقتيه رندة ولورا. عثر على الرسالات العديدة التي تكتظ في في بريده الإلكتروني من ميريام، وأرسل لها بعض صور القرية ونهر دجلة والجثث الغارقة وسطح الأستاذ وقارورة الفتاة والإصبع. ثم تمدد للقيلولة حتى لم تطل إلى أن سقطت ثلاث قذائق متفرقة بجوار المنطقة الخضراء فضاق الجميع بها ذرعا حتى تكدس الجنود والمجندات و المراسلون وعمال عراقيون تحت الأرض وقتا تزول فيه الفوضى. يلتقي الصحفي بين الزحام مايكل و الوسخ أشرف. بعد يومين يتصل به الأستاذ و حذره الغياب هكذا و بالرد وعد الصحفي أنه يجلب كل المراسلين كما وعد فيقول الأستاذ إنه حصل على هويات عديدة تصلح أن توضع في جدار المقهى كي تكون أرشيفا وطنيا.

مسرحية قرية الأستاذ

جاء اليوم الموعود الذي يزور فيه المراسلون والمراسلات من المنطقة الخضراء إلى قرية الأستاذ. كان أهل القرية في رغوة الاحتفال إلا أن الأستاذ حركهم من بيوتهم: "دعونا نخرج من هذا المحبس يا أهل القرية، العالم سيأتي إلينا، هذه مسرحيتكم وملهاتكم...قولوا للعالم ماعندكم...قولوا له أن السلطة ليست عنفا....تعالوا بقوة وانهضوا من رمادكم وقولوا للعالم لن نموت بطريقتهم".[167] بدا اليوم يوم الحرية بعيدا عن الحروب الطائفية لما أن القرية تلونت بالأعلام الملونة المخطوطة بتواريخ عبثية وموسيقي شعبية استعملت فيها السكسفونات والأبواق العسكرية كأنه المكان المهرجاني. يعوم الصغار إلى مساحة قريبة من الشاطئ لقيادة الزوارق التي تحمل المراسلين الأجانب والعرب. استقبل النساء والصبيان المراسلين مصطفين وذلك أعجبهم إعجابا كبيرا حتى قالت لورا: "اليوم هدنة للجميع...يبدو لنا حتى القتال هدأ هذا الصباح".[168]

قادهم الأستاذ كالدليل، وعرفهم أن القرية هي نتاج المصادفة بعيدا عن ضوضاء العاصمة بغداد ولم يكن أهل القرية يعرف بعضهم البعض إلا أن الحرب الأهلية جمعتهم، ثم رحبهم ترحيبا حارا لمشاهدة "المسرحية البوذية" من دون تبويذ الناس وصناعة بوذا خارقا ويشترك فيها أهل الحي كلهم من الرجال والنساء صبيانا وكهولا وأسست هذه القريةعلى مبادئ السلام اقتداء بمفكرين وفلاسفة الأنبياء، ثم فتح الأستاذ لهم الطريق لكي يجولوا أرجاء الحي ليوثقوا في كاميراتهم. اشتغل الجميع أمام القنوات بما فيهم الأستاذ والصياد و الشاب المسرحي

167المصدر السابق، ص-149.

168المصدر السابق، ص-150.

والصحفي وجرجيس الذي كان يكره الغرباء في قريته. أظهر الأستاذ أمام القنوات أن الشعب القرويين ينتقدون مظاهر الحياة في العاصمة المرعبة. ويوثق الروائي عن مراسل ياباني كان يحاور مع قطة بيضاء لكن يبدو من إشارات القطة أنها تعيش في رغد هنا من المسكن الماضي الذي لا تؤمن فيه الرصاصات.

ثم دعي المراسلون جميعهم إلى منصة المقهى التي صارت كمتحف بصور ولوحات وجدار الهويات. حينما يدقق المراسلون الهويات وجد الكاتب في الجدار صورة عبد المحسن السعدون وخرائط بريطانية للعراق والرصافي بشاربه الهتلري وأطوار بهجت التي مقتلها حفزته ليكون في بغداد وفضيحة سجن أبي غريب.

بين النشرات الضوئية يجد الصحفي عينين تحدقانه في الحجاب، فكأنه عرفها من قبل فتكلمها فقالت إنها كانت تنتظره لتحيته، ولكنها منعتها قتال الشوراع وقالت إنها تقضي أوقاتها في الكنائس ثم ذهبت.

وفي حشود النساء والرجال الذي يدققون ذويهم بين الهويات صرخت المرأة التي تشير إلى هوية صغيرها وهي تخمش خديها وتجهش بالبكاء حيث الكاميرات والعدسات ركزت تلك اللحظة. ثم يطمئن الموقف لكلام الأستاذ الذي يقف في مسرح المقهى فقال إن ابن المرأة خرج إلى العاصمة طلبا للرزق ولكن عادت هويته فحسب، وهنا أكثر من 700 وثيقة وسيأتي آخرون ويجدون أبناءهم وذلك بوسيلة صياد واحد فماذا لو عثر عشرة صيادين على مثل هذا العدد؟ فهذه هي قصة الإنسان الذي يلقي الجثث في نهر دجلة باسم الدين والديموقراطية المسلحة. هل الرسائل السماوية تحرض الظلم وهل خلق الله الأديان لنشر الفتن؟ فهذه القرية نتاج لهذه

الأسئلة بينما هنالك احتلال أمريكي صريح وتقاتل بين السنة والشيعة وصار الدين متوزع الأجزاء إلى أن يكون الأبرياء مجرد هويات ألصقت في الجدران. تم اختطافه من الجامعة لثلاثة شهور باسم الدين، فاستخلص فضائل وسموم الدين، يقترح أن الدين لا يحرض الجور ولكن يحتاج الزمان إلى غاليليو وكوبرنيكوس ونيوتن. ووصل الأستاذ إلى حل المسرحية بعدما كان له حلم مع بوذا حيث يقول له: "لا تذكر اسمي بينهم. خذ مني ما يناسبهم ومن أقوالي حجة لهم وقل هذا من إلهام الله. ...ومن بعدي خذ ما تراه موثوقا من حكم الأنبياء والمراسلين من أولائك الذين مشى النور في عروقهم كي يمشي النور النبوي في عروقكم".[169]

أدهش المراسلين جميعا قدوم القامة التي بلا رأس إلى القرية وتحاوروا حول رأسها فأعلم الأستاذ بأن حبها للحياة جعلها تفر من قاتليها والشعور بالظلم أبقاها حيا. وخلوصا من التجمع المتكدس يركض بطلنا إلى حافة النهر كي يلتقي بالفتاة المحجبة التي اختفت قبل. تحاورا بود و حلو الكلام حتى في نهاية الأمريتحير الصحفي لما علم أن اسمها مريم وأنها كاثوليكية تعيش كالمحجبات. وهي قالت له بأنها يخاف على حياة الأستاذ منذ الآن أي بعد شيوع خبر في الفضائيات.

فكما أعلن من قبل تعقد مقابلة الأستاذ مع إحدى القنوات الأمريكية. يتحاور المراسل الأمريكي و الأستاذ بمجادلة حماسية حول تسمية القرية المثيرة للجدل "بالقرية البوذية"، فيرد الأستاذ بأنها مجرد تسمية ولكن "بوذا فكرة من أفكار كثيرة..وغاندي فكرة أخرى تعرفون جوهرها. حتى نيلسون مانديلا هو أيضا فكرة عظيمة...ونسميه إقليم غاندي فنحن مسالمون

169المصدر السابق، ص-161، 162.

كما ترون، أو نسميه إقليم بوذا أو شاه أكبر".[170] ويرده المراسل بأن الأستاذ جعل المسرحية غطاء لسلب الديانة من الناس ثم يعلن الأستاذ حلمه ورؤيته ونظريته، فيتهكم الصحفي بأنه مجنون. ثم يدور الحوار حول انتهاء المسرحية والمعرفة حتى انتهى الحوار بتصفيق حار. شبع المراسلون بتغطية القامة التي بلا رأس و الإصبع. التوى الإصبع في يد مراسل أمريكي فتمتم الشاب المسرحي: "لقد بصق عليك أيها الأمريكي".[171]

بعدما ذهبت لورا ورندة من القرية بعد انتهاء ضجة المراسلين و رجعت القرية إلى سكونها راسل البطل الصحفي مع حبيبته ميريام بضفة دجلة، ومن مسافة بعيدة تقف مريم الكاثوليكية وهي تنظم شعر الفتاة التي قادت الرجل الأعمى في الشيراتون. صافحها وهي ابتسمت ابتسامة ماكرة لعلها تذكر مقتل الخميس الأسود بيد الأعمى. أخبرت مريم المحجبة أن اسمها زينبب، كابدت اختطافا من مدرستها لمدة ستة أشهر في بداية الحرب الأهلية وغابت برهة من الزمن ثم رجعت إثر صلاة جمعة، وكان معها رجل مسن سلمها إلى أهلها. لم ينل الصحفي عن قصة زينب الشعثاء ما يكفيه وعلم أن أسرتها فقيرة فهجروا مدينة الصدر ثم جاءوا إلى قرية الأستاذ.

170المصدر السابق، ص-171.

171المصدر السابق، ص-178.

عواقب "المسرحية البوذية"

وفي اليوم التالي للمسرحية صحائف العاصمة و الصحائف الأمريكية و البريطانية سجل المسرحية البوذية و إخلاص الأستاذ بأكاذيب مفتراة تأتي من احيازهم الحزبي السياسي حيث بعض المانشيتات حوت على العناوين المستفزة مثل "قرية صفيح مجهولة تؤسس للإلحاد على أطراف بغداد" و "عاجل...يهوذا في بغداد بزي أستاذ جامعي مطرود" و "ساحر كبير يقود سحرة صغارا في قرية من تنك" و "أستاذ جامعي مجنون يأسر قرية كاملة بدعوى الإصلاح" و "الدعوة إلى إنشاء أول إقليم في العراق بعد إقليم كردستان...إقليم بواذا"[172] وغيرها من المقالات الافتتحاية. ولكن الأستاذ "رجل لا يفكر في الأمور الصغيرة ولا يوليها بالا"[173] فلم تتدهشه تلك العناوين والمانشيتات. يلاحظ الرواي صباح القرية بما فيها من الأطفال الصيادين والنساء والطالبات التي يخرجن إلى المدارس وصياد الهويات الذي يركض إلى الجدار لتعليق الهويات الجديدة. واتصل بميريام لفرحه الكبير لما أنه يحتفظ هوية في جيبه خلسها من هويات الصياد مهما طالت الشهور و بعدت الرجوع إلى دبي.

خرج البطل إلى المدينة ليتجول في خرابها فلاحظ المدينة ملاحظة حيث لم يجد مكتبة مفتوحة طوال تجواله في النهار إلا أن رأى الكلاب تتجول وتتبول في واجهات الدكاكين. ثم عاد إلى مقهى القرية كي يشكو له جرجيس عن الغرباء الذين يظهرون في القرية بعد تغطية المسرحية البوذية. يتساءل الأستاذ عن دلالة واحدة على الأقل تدل على أن العاصمة بغداد لا يمكن أن تموت فأجاب الصحفي الراوي ما رأى: "الناس والكلاب...الدلالة الوحيدة التي أراها في كل

172المصدر السابق، ص-182.

173المصدر السابق، ص-183.

مرة".[174] ثم يتساءل الصحفي لما هاجمت الصحف على المسرحية البوذية أهي بسبب تسميتها؟ فيجيب الأستاذ: "صدمتهم الحرية من خارج إرادتهم ومن خارج طوقهم".[175]

وفي غضون إقامة البطل بين أهل القرية تعلم شقوقها واعوجاجاتها وبيوتها وزواياها حتى وجد بيت مريم المحجبة يقع بمسافة قريبة للبيت الأزرق وتذكر أنها كانت تلك المرأة التي أودعته وثيقة أو مذكرة قبل شهور وتذكر رده إليها بمائة دولار والآن علم سبب ارتدائها الحجاب ولو كانت مسيحية.

تزور امرأة غريبة لم تكن كبيرة السن لتتفقد ابنها الوحيد بين جدران الهويات فعزاها البطل الراوي بأنه سيخبرها لو وجد هوية ابنها في حشد الهويات الجديدة مع أنه أحس بالهوية التي في جيبه إلا أنه لم يجرئ على إخراجها. تحيرت المرأة لما سمعت: "الله العالم...النهر سيخبرنا" "إي أمي العزيزة...النهر يعلم والحكومة لا تعلم"[176] من البطل الراوي، فأجهشت بالبكاء ثم أرسلها مواسيا.

وبعدها جاءت رجال ثلاثة والاثنان منها أجهشت بالبكاء لما وجدا هوية ذويهما. وفي خضمها أوصل الصياد لورا إلى القرية وشكا أن كثيرا من الجثث فاضت في الليلة وفاتتهم. تقترح لورا أن تغير صفيح القرية للحد من الحر و قالت إنها تقف مع أهل القرية ضد تشويهات الفضائيات. سيزور كثير من القنوات ومن العادي أن تتشوه القيم في دولة تتصارع فيها الشعوب. وكثير من الناس يستفسرون عن سر القرية إلا أنها ليس لها مرجعية بل نبتت إثر الحرب الطائفية.

174المصدر السابق، ص-188.

175المصدر السابق، ص-188.

176المصدر السابق، ص-192.

والناس يظهرون القلق والذعر بعد زيارة القنوات وتسفيه بعضها الأستاذ في الندوات التي تعقدها.

وبعد تجوال في أنحاء القرية يرى الصحفي ومريم ولورا الأم التي كانت قبل ساعة تبحث عن ابنها وأصرت على أنها لا تفارق القرية. فينما يشربون من المقهى تعجبوا من صرخة امرأة ورجل وجدا هويات ذويهما حيث صورت لورا في الوقت حالة الرجل الذي يلطم وجهه لأن بكاء الرجال "ثمين كحبات الكافيار".[177] أوصل الصياد فريقا يابانيا إلى القرية في الظلام الدامس ونامت المرأة التي تبحث عن ولدها بجوار مكتبة الأستاذ.

في اليوم التالي علم الصحفي من صاحب المقهى أن الناس الغرباء يكتظون أمام جدار المقهى وقد تناقصت أعداد الهويات وامرأة البارحة لم تفارق الجدار بالبكاء. أعلن الأستاذ أنه وصل إلى مفترق الطرق والناس يريد خلع الحكومة التي لا تبقي للموتى جثثا ولا قبورا و خلقت حالة دفن الموتى بالأنهار. ازدحمت القرية بالغرباء لما أن قارورة الرماد ثارت في زجاجتها كما بينها أبوها. تتعالي الصراخات من الجدار فعلم الأستاذ أن الهويات لم تبق منها إلا اثنتان والناس تنتظر هويات ذويهم الغرقى ثم أعلى صوته أمام الغرباء الحشود بأننا كشفناهم وعلى الناس مواجهة الحقيقة التي هم فيها وفضح الحكومة على هذه الكارثة ثم غاب بين الحشود.

"يد الصياد" آخر فصول الرواية التي تحفل بالمعاني والعجائب. يستهل الفصل بحشود الناس في جرف النهر في طابور طويل بوجوه كالحة لإيجاد موت جديد. وذلك لما انتفدت الهويات الملصقة في الجدران بعد أن تكاثرت الغرباء يوما فيوما وجدوا المكان الحقيقي للهويات أي نهر

177المصدر السابق، ص-195.

دجلة. فلما وجدوا الجدران خالية تكالبوا على شواطئ دجلة انتظارا للصياد الذي يجمع الهويات من الجثث الطافية بشهامة أيام وليال ولكنه امتلأ بالذعر لما رأى الطابور المتكابل على الجرف، فأخبر البطل الصحفي أستاذ القرية أن الصياد لا يستطيع الوصول إلى الشواطئ لما أن الناس لا تؤمن منهم العنف لما سيطرت عليهم الحالات النفسية التي لا تمكن أن تسيطر عليها. فغطس الأستاذ إلى زورق الصياد حتى رأسه و أخذ حفنة من الهويات منه إلى الطابور قائلا: "كونوا بأمل دائما".[178]

يوما فيوما تزايدت أعداد الغرباء بعضهم ينتظر نهارا ثم تنفد الهويات ويبقى الحائط فارغا فيخف التزاحم ثم يغيب الصياد بضعة أيام. بعض الوجوه تنتظر حافة النهر وبعضها تأتي صبحا وتروح مساء. ثم يدعو الكاتب إلى المنظر الذي يتغير في القرية حيث إن البعض بنى حجرات من البلوك الأسمنتي والثرمستون الأبيض و امتدت القرية بالمهاجرين الذي علموا عن القرية بواسطة الفضائيات فتزايدت أعدادهم حتى قال الأستاذ لهم أن لا يستقروا في مكان حيث إن صياد الجثث كثيرون فليلتحقوا بهم قبل أن تمسي جثث ذويهم أكلات كلاب الجزر في دجلة. اختلطت ألوان من الناس في السوق والمقهى و فرغ الجدار من الهويات وقال صاحب المقهى إن أكثر من رجل أخذ أكثر من هوية ثم لم يرحل عن القرية. والمرأة التي فقدت ابنها لم تفارق القرية حتى الآن فقال لها البطل: "يا أمي العزيزة قد يفتقدونك...أعدك أني سأجلب

178المصدر السابق، ص-191.

هوية ابنك...الغرباء يملأون القرية...والهويات تسرق الآن!".[179] فلم تكن لها إلا أن تقول "ابني" بانكسار.

النهاية المأساوية

تسمع فجأة رشقة رصاص تنطلق من ناحية النهر ويركض الأستاذ إلى سطحه ليرى الأمر مع المصور الياباني الذي يركز كاميرته إلى النهر. ركض الياباني إلى جهة النهر كأنما علم شيئا ثم تتوالى الرصاصات تمرق أجواء القرية واختفى الناس بسبب الذعر الذي أخذت بأصلهم. وكان مريم تحتمي مع المرأة التي فقدت ابنها فأدخلهما الصحفي إلى السوق ولكن الأستاذ مازال في السطح كما يقول الصحفي: "كان جسد الأستاذ المشرع فوق السطوح كراية من رايات الصغيرة العالية بين رصاص متكاثرة بطريقة مجنونة"[180]. ثم تقتنص الانفجارات المتوالية بيوت الصفيح فتلتهب النيران حول السوق والبطل والأستاذ بين طرفين ويحس البطل أن شيئا ما حل بالأستاذ. يوصيه الأستاذ أن يتمسك بحكمته وأن لا يترك المرأة وحدها ويجد لها هوية الابن فتساءل الأستاذ عما حصل في جهة النهر فأجاب الأستاذ ما ستكون مأساة هذه الرواية وهي أن الصياد الغائب قتلوه أي قتل مصدر الهويات لتنتهي الرواية في نمط تراجيدي.

179المصدر السابق، ص-202.

180المصدر السابق، ص-203.

الباب الرابع: الفوضى الاجتماعية في الروايتين

الفصل الأول: مفهوم الفوضى وانعكاساته في الرواية العراقية

الفصل الثاني: الفوضى الاجتماعية في "الحفيدة الأميركية"

الفصل الثالث: الفوضى الاجتماعية في "عجائب بغداد"

الفصل الأول: مفهوم الفوضى و انعكاساته في الرو اية العر اقية

يعتبر مصطلح الفوضى من المفاهيم الأساسية في الشؤون السياسية والاجتماعية والعلاقات الوطنية والدولية. وهذااللفظ كثيرا ما يستعمل كمرادف لعدم النظام و التشويش،حيث يوجد من يعتبر هذا المصطلح أنه يشير إلى النظام. فالمراقب لحركات النّحل أو سلوكه يلحظ الترددات العشوائية التي يمارسها دون نظام ظاهر من حركات مستقيمة وأخرى ملتوية دائرية أو اهتزازية، سريعة أو بطيئة، لا يبدو بينها أيّ ترابط، ولكن ما كشفه العلم من أن هذه الرقصاتِ والحركات العشوائية ما هي إلا لغة منظمة يتواصل بها أفراد الخلية تحدد من خلالها مكان الغذاء الذي وجدته.فلكلٍّ من هذه الترددات والاهتزازات هدف محدد واضح لكل فرد منها،و بالتالي يمكن اعتبارها كلغة تواصل بينها[181]. والمعاجم اللغوية تتناول هذا المصطلح دالا على فقدان النظام. و معجم المعاني الالكتروني يعرف بأنه "الفقدان للنظام والترابط بين أجزاء مجموعة أو مجتمع إنساني أو الاضطرابات القبلية أو السياسية مثل فقدان الأمن في منطقة معينة"[182].

واصطلاحا،أنه يشير إلى حالة غياب الحكومة وعدم الوجود أو النفي للسلطة المركزية وعدم الاسقرار للدولة. وفي حالة الاستقرار تطيق الدولة قدرة النظام على التعامل مع الصراعات والأزمات داخل المجتمع، بحيث تتم السيطرة عليها والسعي لعدم تفاقمها ومدى تحقق

181 - الفوضى والنظام السياسي ، طالبة شوقي ، مقالة ، https://www.ahewar.org/debat،يوم المراجعة 2020/10/17

182 - معجم المعاني العربية – العربية ، موقع : https;//www.almaany.com/ar-ar /dict

الإصلاح والعدالة الاجتماعية في المجتمع. يعكس الاستقرار والتقدم والنجاح السياسي والتنمية والنمو الاقتصادي الناجح بالإيجاب على استقرار الواقع الاجتماعي ورفاهيته في كل شعوب. فعكس ذلك يدل بالتأكيد على عدم الاستقرار. والأزمات الطارئة من غياب هذا الاستقرار والفوضى الناتجة منها تدفع الشعوب على المعاناة من ظروف قاسية في حياتهم. تشتق كلمة فوضى الإنكليزية Anarchy من كلمة Anarkos اليونانية؛ ومعناها "من دون حاكم "، وهي تستعمل للدلالة على غياب حكم يحفظ السلام،غالبا ما ترافق حالات الفوضى هذه حالات من التمرد الكبير والاضطراب الاجتماعي والسياسي. وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق قد ظهر هذا المصطلح جليا في مسرح التداول السياسي و الاجتماعي.

يعد المعيار الأمني من أهم مؤشرات قياس الاستقرار وعدم الاستقرار، فالمجتمعات غير المستقرة سياسيا هي التي تشهد اضطرابات وتحولات أمنية، لأن ذلك الاضطراب الأمني هو نتيجة حتمية لعدم الاستقرار. والمجتمع العراقي عرف حالات عديدة من عدم الاستقرار تزامنت مع تعرضه لظروف سياسية أو اقتصادية. وهذه الأزمات السياسية عكست بدورها على الواقعالاجتماعي العراقي. فنتجت عن هذه الأزمات تآكل الشرعية السياسية في حالة فقدان القيادة السياسية للرضاء الشعبي وعدم قدرة النظام السياسي على حماية المجتمع وتوازنه وظهور الانقسامات الطائفية والمذهبية والحزبية وتعدد الولاءات وانتشار الثورات

وحركات التمرد والحروب الأهلية والحركات الانفصالية وزيادة تدفق الهجرة الداخلية والخارجية [183].

دور الاحتلال في خلق الفوضى

قام الاحتلال الأميركي بإضعاف مؤسسات الدولة وحل الجيش العراقي مما ساهم في إضعاف العراق ككل، وتعزيز ظاهرة الفوضى. كما سهل دخول العناصر والميليشيات الإرهابية، وتدخل القوى الإقليمية والعالمية في الشئون الداخلية للعراق. وقد كان للاحتلال دور نشط في بداية الغزو، وذلك على خلفية أنه قادم لتطبيق الديمقراطية التوافقية ومحاربة الإرهاب. وقبل اتخاذ الخطوات للقيام بالحل، تراجعت القبضة الأمريكية عن امتلاك زمام الأمور. بررت أمريكا هذا التراجع باقتناع على أن الحل يجب أن يأتي من داخل الشعب العراقي نفسه. فثبت أن الديمقراطية ليست هي الهدف. وإنما كانت عمليات السلب والنهب لثروات العراق الخصبة والاستغلال لآثاره النيرة من أهداف الاحتلال. فسرقت المتاحف والمكاتب وسائر الموارد. كما أنها تعد من سلسلة محاولات غربية لتقسيم البلاد العربية ولتعطيل حكومتها ولتخريب آثارها. عملت الإدارة الأمريكية على استغلال وتوظيف الخلافات والانقسامات في الشعب العراقي وأنتجت اختلالات هيكلية في بنية نظام الدولة وتسببت في بروز كتل وأحزاب سياسية ذات طابع طائفي تتصارع على السلطة حتى أن أسفرت عن غياب دور المعارضة

183- عبدالله جمال حسني يوسف أثر الإحتلال الأمريكي على تعزيز العنف الطائفي في العراق بعد عام 2003، دراسة، قسم العلوم السياسية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، المركز الديمقراطي العربي

البرلمانية وتفشي ظاهرة الفساد[184]. ولا تزال آثارها والتداعيات المؤلمة تنزل على شعبه وتنعكس على الواقع العراقي الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي وحقوق الإنسان والنظام السياسي.

بعد احتلال الولايات المتحدة عام 2003،برزت في العراق مجموعة هائلة من الأزمات ومظاهر الخلل التي عصفت بالحياة الاجتماعية والسياسية وهددت استقرار الدولة العراقية وسببت عدم الاستقرار الأمني والتهديدات الإرهابية المتزايدة على الأراضي العراقية. وشاعت الفوضى بين صفوف الشعب، وزرعت الفتنة، وخلقت حالة من الانقسام بين أطياف المجتمع. فلما فشل النظام السياسي عمت الانتهاكات الخطيرة والجسيمة لحقوق الإنسان وعمليات القتل والخطف غير المشروعة وظاهرة الحروب والعنف وعمليات التهجير القسري الواسعة من منطقة إلى أخرى على أساس عرقي وطائفي وانتشرت السجون والمعتقلات السرية التابعة للمليشيات حيث يتعرض المعتقلون لأبشع أشكال الإهانة والتعذيب والإعدامات العشوائية التي تتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان كما أدى انتشار هذه المظاهر من العنف والحالات المأساوية بين أفراد الشعب، والفوضى العارمة التي اجتاحهم، والعنف والانفلات الأمني الذي يعد من مآثر الاحتلال وإفرازاته المدمرة إلى غياب الديمقراطية وتدمير الدولة.

قد أنتج الاحتلال من إفرازات عديدة على الساحة العراقية من التعسف والطائفية والسرقة وسقوط الدولة والقانون وظهور التحزب الجديد والتشكيلات الإجرامية المستحدثة. كما ارتكب من فداحة وفضائح وانتهاكات واضطهادات. وصار الإنسان العراقي مستهانا به ودمه

184 - ياسين سعد محمد البكري وميثم عنيدي علي حسين ، الأزمات السياسية في العراق بعد عام 2003 ، دراسة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين.

مباحا من قبل المحتل الأميركي حتى أن أدى العراق إلى حالة التشتت والانشطار السياسي والثقافي والفوضى العارمة والظروف المأساوية التي تسببت من فقدان الأمن الاجتماعي والسياسي وغياب النظام الديمقراطي وضياع الاستقرار الوطني. عالج الأدباء العراقيون الاحتلال الأمريكي لبلدهم وتناولوه كقضية مهمة في أعمالهم الأدبية. مع أنه ظهرت فرقة تجامل الاحتلال وتبارك أساليبه المختلفة ووصفوا الغزو وسيلة للتخلص من النظام المستبد. بينما الفريق الثاني حملوا لواء ثقافة المقاومة ضد المحتلين وعدّوا من يمتنّون الاحتلال كتابعي الاحتلال يبيّضون وجهه ويستأجرون أقلامهم.

انعكاسات المفهوم في الرواية العراقية

قد قام الروائيون العراقيون بعكس المشاهد العراقية وتوثيق مآثر الاحتلال وتداعياته وبالتعبير عن آلام المواطنين العراقيين وأوجاعهم، كما رسموا الظروف المأساوية التي تسببت من فقدان الأمن الاجتماعي والسياسي وغياب النظام الديمقراطي وضياع الاستقرار الوطني.

توثيق مآثر الاحتلال

تعد الكتابة الروائية أحسن تعبير عن تفاعل الكاتب مع واقعه وظروفه وعن تأثراته بمشكلات المجتمع وقضاياه. والروائي العراقي الذي عايش صور معاناة المأساة قد استطاع أن يعبر عن تحولات المشهد الاجتماعي العراقي الجريح في أعقاب سقوط النظام عام 2003، كما عكس في رواياته انهيار عهد حزب البعث على يد التحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة الأميركية وما أعقبه من انهيار لأركان الدولة العراقية وتساقط منظوماتها القيمة وتداعي أنساقها

المجتمعية. وأصبح عالم الرواية العراقية شاهدا موثّقا لتبعات الاحتلال والإرهاب والاقتتال الطائفي وصور الموت والخراب المدمر ومظاهر العنف.

وصدر بعد عام 2003 الكم الهائل من الروايات المثيرة للاهتمام التي تصورالألم والخراب وكابوسية الواقع وسط فوضى الحرب والدمار، وتعبر عن انشطارات الذات والآخر، وأوجاع الناس ومتغيرات حياتهم وما يحيط بهم من قوى مؤثرة تتحرك بقوة في كل جانب. وهذا النمط من الروايات يظل موثقا لمآثر الاحتلال وتداعياته وشاهد عين لحالات فقدان الأمن وانتشار الظروف المأساوية في العراق. غابت في هذه الروايات مشاهد السعادة والأمل والتفاؤل وتجلت صور الانهزام وخيبة الآمال والأحلام والشروخ النفسية والسياسية داخل بنية المجتمع.

تصويرالوجع العراقي

تعكس الروايات الصادرة في العراق بعد2003 التحولات العنيفة التي شهدها المجتمع العراقي وتلامس آلام العراقيين وأحلامهم حتى صارت مرآة عاكسة لأنين الواقع. ويبدو أن أغلب الشخصيات في هذه المرحلة قد تخيم عليهم ملامح الكآبة واليأس والتشاؤم، شخصيات مأزومة محبطة تشعر بالضياع وتحاول البحث عن الاستقرار. وهذا يظهر في رواية أموات بغداد[185] حيث إنها تعكس رؤية ملحمية لواقع ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق ويسعى بطلها لتخليق آدم الجديد من جينات معدلة يستخلصها من جثث ضحايا الاحتلال والميليشيات والعصابات. أما رواية فرانكشتاين في بغداد[186] فتقوم بتصوير الكائن الجديد المتشكل من

185 - أموات بغداد ،جمال حسين، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ،2012.

186 - فرانكتشاين في بغداد، أحمد السعداوي: رواية حازت جائزة البوكر للعربية سنة 2014

ضحايا الانفجارات الذي ينتقم من كل من أسهم في قتله،وعكس ما حدث من الدمار والتفجيرات والرعب وصراعات السكان وتسجيل ما دار من فوضى كارثية والعرض للمأساة التي حلت في العراق طيلة زمن الاحتلال. كما تقص رواية قيامة بغداد[187] دور الشاهد الحي لما جرى في العراق منذ سقوط النظام العراقي ودخول قوات الاحتلال الأمريكي وما تبعه من أحداث وتشير إلى أن احتلال بغداد من قبل الأمريكيين كان احتلالا لجميع العواصم العربية وأن المآثر تشمل لا على العراق فقط بل على جميع البلدان العربية. وآثاره عميقة كأخاديد دجلة والفرات التي أصبحت قبورا للأبناء والأجساد البريئة والتراث والفن والفكر والأدب والعلوم والفنون العراقية.

كما عرضت الجريمة المنظمة تحت رعاية قوات الاحتلال وانتشار الجماعات المسلحة في المدن وظلاميتها التي تحترق المكاتب والآثار ورسمت اللوحة العراقية الفوضاوية المظلمة بما فيها الجثث والرؤوس المقطوعة. وهذا يتجلى في رواية الأمريكان في بيتي[188] حيث تتحدث عن محاولة قوات الاحتلال الاستلاب للإرث العراقي داخل فضاء الحرب والتشرد وعن كيفية انتهاكهم لحرمة الناس وتجاهلهم لمشاعرهم واستخفافهم بهم. أما رواية حارس التبغ[189] فتسجل الممارسات العنفية للسلطة وتقص عن جثة وجدت مرمية قرب جسر الجمهورية على نهر دجلة، أثناء العنف الذي اجتاح العراق بعد تحولات 2003 وترسم صورة أفق الفجيعة الذي يخيم على المجتمع.

187 - رواية قيامة بغداد ، عالية طالب ، دار شمس ، القاهرة ، 2008

188 - الأمريكان في بيتي ، تزار عبد الستار ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، 2011.

189 - حارس التبغ ، علي بدر ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، 2009.

ومن أهم تلك الروايات الأخرى الخاصة بالوجع العراقي التي اتخذت من ظاهرة الفوضى والظروف الاجتماعية المأساوية ثيمة فجعية على سبيل المثال، رواية "الطعنة" لمحمود سعيد ورواية "تل الرؤوس" لسالم حميد ورواية"دروب الفقدان" لعبد الله الصخي ورواية "بوهيميا الخراب" للصلاح صلاح ورواية "المحرقة" لقاسم محمد عباس ورواية "أرصفة الجحيم" لصالح مطروح السعيدي ورواية "سيدات زحل" للطيفة الدليمي ورواية "فراسخ لآهات تنتظر" لزيد الشهيد ورواية "أنا والعيون الزجاجية" لملك محمد جودة ورواية "باطن الجحيم" لسلام إبراهيم ورواية "راشد يحصد" لحسن عبد الرزاق ورواية "منزل الغياب" لحميد المختار ورواية "الحياة لحظة" لسلام إبراهيم ورواية "قشور الباذنجان" لعبد الستار ناصر ورواية "القنافذ في يوم ساخن" لفلاح رحيم ورواية "طشاري" لإنعام كجه جي ورواية "في الطريق إليهم" لهدية حسين ورواية "تحت سماء كوبنهاغن" لحوراء النداوي ورواية "ليلة الهدهد" لإبراهيم أحمد ورواية "عين الدود" لنصيف ملك ورواية "وحدها شجرة الرمان" لسنان أنطوان ورواية "الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي ورواية "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم –الأخيرتان موضوع الدراسة – وغيرها الكثير.

.

الفصل الثاني: الفوضى الاجتماعية في "الحفيدة الأميركية"

هل كان حال العراقي أفضل مع الديمقراطية التي جاء بها الاحتلال الأميركي؟ أم أن حكم الديكتاتور كان جيّدا بالنسبة للعراق وللعراقي بعد الديمقراطية الاميركية؟ تبين الراوية عن الحياة في العراق قبل الاحتلال وبعد ما طرأ عليها إثره.

التسامح الاجتماعي العراقي:

كان المواطن العراقي يعيش في بيئة حيث لا يوجد حواجز أو موانع بين المواطنين. بل هناك علاقة تاريخية تجمعهم. أما فيما يتعلق بزينة وأسرتها، لا يوجد الفصل بين الفترتين- ما قبل الاحتلال وما بعده. فزينة المسيحية لها أخ بالرضاعة من أسرة مسلمة شيعية؛ حيدر، المسلم الشيعي تثق به رحمة جرجس الساعور،جدتها المسيحية حتى بعد الاحتلال وتفشي الظاهرة الطائفية، وتوليه ثقة عمياء، تخطط معه وتأتمنه على كل شيئ. وهذه الثقة تجعلها تختار حيدر ليسوق سيارتها حينما جاءت إلى تكريت حيث هناك زينة تعمل مترجمة في الجيش الأميركي. فتعرّفها لزينة: "حيدر، اسمه حيدر يا زينة إنه أخوك بالرضاعة"[190]. كما تختار رحمة مهيمن، شقيق حيدر ليأتي معها إلى الأردن، حيث تعرضت عملية جراحية لتغيير مفصل الركبة. وهناك تعرّفت زينة التي كانت في إجازة من الجيش لمدة أسبوعين، لمهيمن الجندي في

190 - المصدر السابق ، ص- 70

جيش المهدي والذي حرّك تيارات داخلية في روحها. ومثل هذا المشهد يؤكد على وحدة المجتمع العراقي وتكامله.

توضّح الرواية أن العراقين لا يفرقون بين دين ودين، بين ملة وأخرى. كما يتضح التوحيد بين القرآن والعذراء، يستمعون معا، المشهد الذي يقدّم صورة واقعية عن حال العراقيين قبل الاحتلال وقبل تفشي سرطان الطائفية، حيث تقول: "حين طرقت الباب فتح لي حيدر وباس رأسي، فيه شبه من مهيمن، تنقصه عشر سنوات ليصبح هو، أشار إلى الغرفة الداخلية، فتحت الباب، وجدت طاووس متربعة فوق عباءتها على الأرض. تتمتم آيات من القرآن قرب السرير، والعذراء تصغي"[191].

إن التسامح الذي كان مميزًا في المجتمع العراقي في تلك الفترة لم يقتصر، بالنسبة لزينة وعائلتها، على العلاقة بينهم وبين أسرة طاووس المسلمة الشيعية. بل توسع هذا التسامح ليشمل العلاقات الاجتماعية مع جيرانهم في الحي الذي يعيشون فيه في بغداد. وكان لهذا التسامح أثر إيجابي على علاقتهم مع الست لميعة وأبنائها المنتمين للطائفة الشيعية. كان ذلك واضحًا في مشاركتهم في مناسبات دينية مثل احتفالات عيد الغدير الشيعية. يُظهر ذلك مدى التداخل الثقافي والاجتماعي بين مختلف الطوائف الإثنية في العراق في حياتهم اليومية.

كما أن زينة تأثرت بحب اللغة العربية من والدها الذي كان آشوري الأصل ويتقن اللغة العربية بشكل ممتاز. هذا الاحتكام إلى اللغة العربية قوّى شعورها بالانتماء إلى الثقافة

191 - المصدر السابق ، ص-176

العربية. بفضل هذا التأثير الثقافي واللغوي من والدها، نجحت زينة في تحقيق انسجام تام مع محيطها الاجتماعي وتعزيز انتمائها إلى الثقافة العربية.

تحدث الراوية في أكثر من مشهد عن تجاوز العراقي للطائفية، وكيف كان العراق أكبر من كل الطوائف، بحيث استطاع أن يوحد المجتمع، كما تشير صباح بهنام بالعربية وولعه بالشعر القديم، عن محفوظاته من قصائد الغزل التي أدار بها رأس أمي فما عادت ترى رجلا غيره بين البشر وحين أصرت على الاقتران به قال لها جدي:

-"هذا آشوري، أش جابو على العرب؟

-آشوري بلوشي برتكيشي. ... أريده ولن أتزوج غيره"

ومن المشاهد الأخرى التي تتحدث عن تجاوز الطائفية في العراق:

" كيف كان جدي قوميا هو المسيحي الكلداني؟

ولم لا؟ هل تمنع الأديان حب الوطن؟" [192].

المجتمع العراقي ما بعد الاحتلال

أما ما يتعلق بحال المجتمع العراقي ما بعد الاحتلال فقد تغير مجملا. بدأ الشر أن يدخل العراق مع الخوف والموت والتشرد إثر بداية دخول الجيش الأمريكي إلى العراق. وصفت الراوية دخول هذا الجيش بهذا الشكل : "ظهروا من وراء أشجار السرو وراحوا يرمقون رتلنا

192 - المصدر السابق ، ص - 86

بنظرات من نار". بهذا المشهد يتأكد عدم ترحاب العراقي بالمحتل. وبعد الاحتلال، انتهك العراق فصار مباحا لكل الأشرار والشرور: "صارت بغداد مشاعا لأهلها. والعراق بلا وال"[193].

قدمت الرواية مشاهد من انقلابات وطوفان واعصار وزلازل وجريمة إنسانية اقترفتها القوات الأمريكية والمتحالفون بحق العراق والعراقي. تصوّر الرواية تدهور الأوضاع في العراق بعد دخول القوات الأمريكية إلى أراضيه. كما تسلّط الضوء على مشاهد مروّعة تظهر القصف المدمّر وأعمدة الدخان التي تتصاعد، وتصف حالة الرعب التي يعيشها الأطفال نتيجة لسماع صوت الغارات. تظهر الرواية براءة الأرواح التي تفقد الحياة برغم عدم تورطها في أي ذنب، وتصف الجثث المتفحمة وتصاحبها أصوات القذائف المدوية والقنابل التي تنفجر. تعكس لنا الصور المأخوذة عبر الرواية حالة الهلع والفزع، وتبرز وجوها مصفّرة يظهر عليها علامات النخوة والصمود، وتصوّر المشاهد المؤلمة للأهالي وهم يتركون مبانيهم الحكومية ويحملون معهم الأغراض البسيطة مثل الطاولات والثريات، في مشهد يصف مدى الوضع العصيب الذي يمرون به وسط الفوضى والنزوح القسري.

وتقديم المشاهد هذا كان تدريجيا ليخفف من الصدمة التي سيواجهها المتلقي وليمهد لما هو أعظم من التداعيات. تقول زينة عن مشاهد الخراب الذي جاء به الاحتلال : " ونحن نعبر جانبا من بغداد، حطاما لم أر مثله من قبل...بلى.. إن هذه المباني المحترقة المتداعية التي تصفر فيها الريح تشبه الرماد الذي هطل على نيويورك بعد ذلك الحادي عشر الأليم من

193 - المصدر السابق، ص- 24.

سبتمبر"[194]. تعمدت زينة من خلال استخدامها الفعل المضارع "تصفر" تأكيدا على استمرار فعل الحرق والخراب في العراق، فهو لم ينته، وما زالت بغداد تحترق وتنتهك. وركزت على ذكر بغداد تحديدا، دون سواها من المدن، لتؤثر تأثيرا أقوى في نفس المتلقي، بحيث يشعر بحجم الكارثة التي ألمّت بالعراق، فلا مجال لتجاهل هذا الاحتلال أو التغاضي عنه.

تكون تعاقبات الاحتلال دائما كشأنها، كارثة على المواطن والوطن. تحدث بطلة الرواية عن أعمال المحتل : " كل يوم، يأتي رجال ونساء لكي يشتكوا ويحتجوا ويطالبوا. هذا أحرق جنودنا دكانا له، وتلك دهست سيارة عسكرية بقرتها، وثالث كسروا زجاج بيته أو تهدم البيت كله بعد أن سقطت عليه قذيفة، نحن سبب كل الكوارث في المدينة المدللة. يأتون في الصباح، بعد أن يقفوا في طوابير طويلة أمام البوابة وينصاعوا على مضض لإجراءات تفتيش دقيقة وقاسية"[195]. كما يصور مشهدا قاسيا للأحوال التي تعرض لها العراقي بعد الاحتلال. فبعد الحظوة والكرامة التي كان يتمتع بها العراقي في وطنه أصبح يعامل باحتقار وذلة، ولحقه من الأذى المادي والمعنوي والجسدي والروحي ما لا يحصى. واضطر أن يقف ذليلا مهانا أمام المحتل رجاء أن يحصل على شيء تعويضا مما خسره ونظرا في استرداد ما ضاع له من ماديات.

تحدث الرواية عن التغيرات التي حصلت للعراقي في ظروف حياته العادية وتسردها باللهجة العراقية لتكون أقرب إلى القارئ، ولكي يشعر بعدم تدخل الكاتبة في سرد الاحداث :"مولدة.ماكو كهرباء، ماكوماي، ازدحام. مفخخة. حرامي... عركة. مات. انخطف. فلت.

194- المصدر السابق، ص – 46.

195 - المصدر السابق ، ص -92

اغتيال. ايراني. انفجار. الله يرحمه.خطية. هاون. بريمر. أميركان. تحشيبش. ماكو شبكة"[196].

فلا يمكن المواطن أن يعيش في مثل هذا الواقع الفظيع المؤلم، لعدم توفر الحد الأدنى من الأمن والاستقرار وبسبب فيضان الفوضى والمظالم.

المداهمات العسكرية والإهانة للمدنيين

كانت المداهمات العسكرية وعملية الاقتحام لمنازل العراقيين التي يشك الجنود الأميركيون في أنها تؤوي إرهابيين، تتم بطريقة شرسة ووحشية. تصف الرواية من مشاهد هذه العمليات : "حين انتصف الليل، انطلقنا إلى بيت ذلك الحقير في ثلاث سيارات بعد أن طوقنا المحلة. وترجّل عشرون جندياً وحوّطوا البيت. كنت أراهم فهوداً يتحركون في الظلام، مسلّحين حتى أسنانهم، وأنا جالسة في الهمفي مع اثنين من الجنود لحراستي، أنتظر وأرقب ما يجري. ولم أكن خائفة بل متوترة.

كسر أربعة من الجنود الباب الحديدي للحديقة ودخلوا إلى الطارمة وركلوا الباب الخشبي وصاروا في الداخل. وفي الداخل كانت هناك أُسرة نائمة وامرأة استيقظت وبدأت تولول. ثم ظهر رجل بدشداشة بيضاء مادّا يديه مفتوحتين نحو الجنود، وهو يقول : Yes... Yes صرخوا فيه وأشاروا بأن ينبطح. .. انبطح وكأنه كان قد تدرب على مثل هذه المواقف. أمروه بأن يمد ذراعيه جانباً ففعل، وتقدم جندي وربط بدي الرجل وراء ظهره بسلك من النايلون والرشاشة M16 مصوّبة إلى رأسه"[197].

196 - المصدر السابق ، ص - 120.

197 - المصدر السابق ، ص -101

لا تكتفي الرواية بهذا المشهد، بل تحدث عما علق بضمير بطلها من تأنيب حينما اعتدى الجيش الأميركي بهجوم على بيت مدرّس يعمل في جامعة تكريت : " لم أنم تلك الليلة . .. وفي عيني صورة المدرس الذي يلتصق خده بالأرض، يداري كرامته الجريحة في بيته وأمام امرأته وأطفاله... وفوق هذا يطلب المعذرة منا"[198]. مشهد من أصعب المشاهد المعتدية العمياء التي تصف امتهان كرامة العراقي من قبل الاحتلال، يكشف بأن الاحتلال يمارس فعل إذلال الوطنيين وإهانتهم سواء كانوا مع المقاومة أو اتخذوا موقف الحياد من الاحتلال. كما أن المحتل لا يحترم أي إنسان يقبل به، مهما كانت صفته؛ فهو على يقين على أن لا بأس في أن يكون العراقي معرضا للإذلال، وللمعاملة بالاحتقار. وتبقى صورة الفظاعة قائمة في ذهن زينة بسبب ما ارتكبه الاحتلال الأميركي من فداحة وفضائح، عندما تشير إلى قضية انتهاكات سجن"أبو غريب" وما جرى في قتلها الجماعي للعراقيين في حربي الفلوجة والنجف. تشبه هذه القضية بما حدث معها يوم رأت تفجير البرجين في نيويورك وتعدها ثلم الشرف العسكري.

ونتيجة لتلك الإهانات الجسيمة والانتهاكات الفظيعة من قبل الجيش الأميركي بحق العراقيين، ظهرت المقاومة في شتى أرجاء العراق ضد المحتلين. فكانت المقاومة العراقية عنيفة تحصد أعدادًا كبيرة من قتلى الجنود الأميركين. ومن الأحداث المرتبطة بتلك المرحلة أن زينة تذكر أن إحدى قنابل المقاومة سقطت في غرفة مجاورة لغرفتها في المعسكر الأميركي. فازدادت شراسة الضباط الأميركان نحو العراقيين، مما صعد من حدة المقاومة العراقية حتى أدت إلى

198- المصدر السابق ، ص- 106

ابتعاث آلاف الجثث من الجنود الأميركان إلى الولايات المتحدة لدفنها في مقبرة "آرلنغتن" الخاصة بهم.

الهجرة

كانت عملية النزوح والهجرة والهروب مسألة طبيعة عادية في المجتمع العراقي الذي يتعرض للظروف القاسية التي تطرأ من الاستبداد أو الاحتلال. إن الهجرة "مفهوم لأن خمسة ملايين عراقي تركوا الحياة التي يعرفون ومضوا إلى المجهول"[199].

قد اضطرت عائلة زينة إلى الهروب من وطنهم بسبب ما واجهوا من التعذيب والتنكيل. أسرتها أشورية مسيحية. وجدّها العقيد الركن المتقاعد يوسف الساعور الذي ينتسب إلى عائلة عريقة من الموصل، قد أزيح عن منصبه في الجيش العراقي عقب ثورة سنة 1958. أما جدّتها رحمة فتّوحي فكردية من بيخال أقصى شمال العراق. ارتبط الجدّان بوطنهما، وماتا فيه. وأمها بتول الكلدانية، الأستاذة الجامعية التي خالفت ملّتها وتزوجت آشوريا، وهو صباح شمعون بهنام، المذيع والذي تعرّض للتنكيل على تهمة أنه احتجّ على طول نشرة الأخبار في التلفزيون. وبعد نجاته من الضبطة الاستبدادية، تركت العائلة كل ما تملك من البيت والسيارة والوظيفة الجامعية، وهرب هو ومعه زوجته وابنته زينة وابنه يزن إلى الولايات الأميركية.

أما الجدة رحمة فتعلقت بوطنها العراق وأصرّت على البقاء وحيدة في بيتها العتيق، بعد أن تركه كل أفراد أسرتها من الأبناء والأحفاد حتى أن تميزت بمنظورها التقليدي المرتبط بالمكان. «لماذا تطشر أهالينا في بلاد الله الواسعة يا ربي؟». كانت تشتاق إلى أبنائها المهاجرين ولا تغفر

199 - المصدر السابق ، ص- 139

للزمان الذي جعلها تنتهي وحيدة في البيت الكبير، كأنها تعيش عمراً زائداً لا طائل من ورائه. فلو كان القدر رحيماً بها لسلب روحها في اللحظة ذاتها التي لفظ فيها زوجها يوسف أنفاسه[200]. كما أنها وقفت تمام المضادة للقوات الأميركية بسبب جريمتها الكبرى على العراق، وطنها المحبوب. فأصبح كل شيئ ينتمي إلى الاحتلال غير مرحب به عندها ومرفوضا، حتى لون ملابس ودكنة جنوده وشعارهم وطعامهم. وهذا يتضح من معاملتها عندما وصلت القوات العسكرية الأميركية وفيهم زينة، لمداهمة بيتها: "مع كل الاستعداد والقلق المسبق شهقت العجوز ولطمت خديها وهي ترى حفيدتها بالبزّة العسكرية المموّهة ذات اللون الحليبي الفاتح. لم تعرفها في البداية والخوذة فوق رأسها. تمنّت لو كانت المرأة المألوفة الواقفة أمامها تتنكر بهذا اللباس، لو أنها استعارت الخوذة لحماية رأسها من طلقات طائشة لا تخلو منها سماء بغداد. لكن ما تراه عيناها هو ما هجس به قلبها من قبل.

لا وفقك الله يا زينة يا بنت بتول. .. ليتني من قبل دخولك علي هذه الدخلة السودة...

ارتبكت الحفيدة حرجاً أمام رفاقها، لكن أياً منهم لم يكن يفهم ما تقول العجوز. وتقدمت من جدتها تريد عناقها فصدّتها"[201]. في هذا النص يوجد الألم واضحا في قلب الجدة العراقية، لأن من دخلت عليها مع القوات الأميركية إلى المنزل هي حفيدتها، فتتمنى الموت قبل دخول المحتل الأسود الذي ساعدته الأيدي المرتزقة ممن لهم الانتماء للعراق.

200 - المصدر السابق ، ص- 61

201 - المصدر السابق ، ص- 109 - 110

لم تكن هذه الهجرة سفرة عادية مما يعود الغائب، بعدها، ويلتقي أحبّته، بل هجرة إلى البلد البعيد الذي يكون الرحيل إليه كالذهاب إلى الموت، لا لقاء يرجى. تبيّن الرواية هذا الهروب: "دبّر أحد الأقارب جوازاً مزوّراً للمذيع الهارب، يحمل اسم كوركيس شمعون، المهنة تاجر أدوات احتياطية. وربى شاربين كثين وأخفى عينيه وراء نظارة سميكة، بحسب الصورة الملصقة في الجواز الجديد. وهو لم يكن في حاجة إلى تغيير ملامحه لأن من يرى الشبح المتداعي الذي آل إليه بعد خروجه من التوقيف فلن يتعرف فيه على المذيع الوسيم السابق. وصلوا إلى الأردن وقدموا أوراقهم إلى مفوضية اللاجئين وانتظروا حتى جاء دورهم في التسفير. ورغم أن الرشوة كانت تشتري العراق بأكمله فإن بتول لم تكن تحمل أي شهادات أو تقارير طبية أو إنذارات بالفصل من الوظيفة. كان لسان صباح المقروض بكباسة الورق والمثقوب بالكلابتين شهادة الإثبات الوحيدة على استحقاقه وأسرته حق اللجوء"[202]. وأخيرا تمكّنوا من الوصول إلى ديترويت، ولاية أميركية، واستقروا في حي سيفن مايل، التابع للولاية. وبعد انتظار السنين حصلوا على الجنسية، وأصبحوا مواطنين أميركيين بالوثائق. ولكن بعد ما وصلت الأسرة إلى أرض الأحلام، أخذ تماسكها الموروث يتفكك: نُسي الجدّان في بغداد، وترك صباح شمعون الأسرة وراح إلى أريزونا واجتاحت الأمراض جسد الزوجة التي أدمنت التدخين الرخيص. الابن يزن أدمن المخدرات وجرّبت زينة أعمالا كثيرة كعاملة لدى فورد، موظفة في وكالة سياحية، مترجمة في دائرة لاستقبال المهاجرين، بيبي سيتر، مذيعة في راديو كلداني في ديترويت. غير أن الجدّة لم تقم بمغادرة وطنها، فمكثت وحيدة في بغداد، تستعيد صورة زوجها

202 - المصدر السابق ، ص-78

العقيد، وتتمسّح بأزيائه العسكرية بعد وفاته، وتصلّي أن يحمي القديسون بلادها. تقوم على خدمتها عجوز شيعية تدعى طاووس، عاصرت نصف قرن من حياة الأسرة المسيحية. وحينما تعرّضت بتول لحالة الحمّى، قامت طاووس بإرضاع زينة. فأصبحت أبناؤها أخوة لزينة بالرضاعة. ومهيمن أكبرهم انتظم في صفوف الحرب مع إيران، وأخذ أسيرا. وفي فترة أسره استوعب الأيدلوجية الدينية الغالبة، واستلهمها وتشبّع بها. وحينما أطلق سراحه وعاد، فأول ما قام به إحراق صندوق الأشرطة الموسيقية التي احتفظت به له أمه" ذهب شيوعيا بالوراثة، وعاد فقيها يجادل في أمور الجنة والجحيم". وعندما حدث الاحتلال الأميركي للعراق التحق بجيش المهدي المقاوم في حين أن الأخت زينة مترجمة لدى الجيش الأمريكي المحتل.

تعترف زينة أن هذه الهجرة إلى أميركا قد غيّرت شخصيتها تمام التغيير. تلك البلاد المهجورة إليها وحياتها فيها قد سلبتها أخلاقها ومسختها وجعلت منها إنسانة أخرى[203]. أضاعت زينة أي ملمح للأمل، فانخرطت مع جماعات من الشباب المحبط تدور على الملاهي والمطاعم بلا هدف، وعثرت على عشيق أمريكي سكير، كان يناديها" زانيا". هناك كانت هي الزعيمة التي تقود عصابة الأصدقاء وتحجز في المطاعم وتخطط للرحلات وتقرّر من يجلس بجوار من وتراقب كل شاردة وواردة. وتذكر ألوان الحياة الرغدة المترفة في أميركا حيث تقول : " أكواب القهوة الكرتونية الكبيرة الفاترة. السيارات الفخمة بالتقسيط بدلات العرس المستأجرة. العرائس البواكر المشحونات من قرى الشمال إلى القارّة البعيدة. مخازن البقالة المحمية بالرشاشات من عصابات السطو الستورات التي يحلم بامتلاكها المهاجرون الفقراء الجدد الذين يصبحون

203- المصدر السابق ، ص - 125

أثرياء بعد أن تأكل الأشغال عافيتهم. يعودون آخر الليل ممصوصين وعاجزين عن إبصار زوجاتهم وأطفالهم" [204].

يبرز موقف زينة نحو ظاهرة الهجرة حينما تلتقي مهيمن، أخاها بالرضاعة فيسألها عشرات الأسئلة عن حياتها في أميركا. يقول إن الهجرة مثل الأسر؛ كلاهما يتركك معلقا بين زمنين، فلا البقاء يريح ولا العودة تواتي. أما هي فترى أمر الهجرة بطريقة مختلفة وتقف بجانب" المواطن العالمي"[205]، وتقول له إن الهجرة هي استقرار هذا العصر، والانتماء لا يكون بملازمة مسقط الرأس ويمكن للعالم كله أن يكون وطنا لأيّ يريد. فيعجب مهيمن للقادرين على الاستقرار في الهجرة، ويسمّيهم " الذين يغيّرون جلودهم"[206].

غياب الأمن وشيوع الفوضى

قد فرّغ الاحتلال الوطن من أهله، وجعلهم يبحثون عن سبيل للنجاة. لو كان بث الديمقراطية في العراق من أهداف المحتلين فعملوا على توفير الحد الأدنى من الأمن للمواطن لما حدثت الهجرة الجماعية. كما أن الاحتلال قد اقترف من جرائم مختلفة، وهذا ما تقول زينة عن المحتلين: "رأيت عند وصولي إلى الموصل فلتانا عجيبا. مراكز الشرطة

204 - المصدر السابق ، ص - 142

205- المواطن العالمي هو مصطلح مستحدث يصف إنسانا يستطيع التفاعل على مستوى عالمي مع أي شخص مهما اختلفت ثقافته وموطنه

206 - المصدر السابق ، ص - 139

مقفلة ومضروبة، وعشرات الملثمين يسرحون في الشوارع، أهذه هي المدينة التي يرف قلبي عند ذكر اسمها. .. مدينة أجدادي؟"[207].

صار الخوف ضربا في صميم الروح العراقية التي خرجت من التجربة الدكتاتورية التي امتدت على عقود. وحين حلت الفوضى تهتكت الأستار كلها التي كان الشعب العراقي الواهن يستظل بها. ومع غياب القانون، حلت الميليشيات المسلحة وشاع الخراب تحت سماء المساحة العراقية. فالموت أصبح بسبب وبلا سبب ولا يعرف من يقتل من ولأجل من.

تحاول الراوية أن تبرز ظاهرة الفساد والمشاهد المأساوية والقاسية، وتفشي العصابات المسلحة التي ترهب المواطنين وطبيعة الخراب الذي حل في العراق. "حكيت له عن مبان حكومية تحولت إلى رماد وخرائب سود، نساء فقيرات من أرامل الحروب أخذن أطفالهن وذهبن للسكن في مؤسسات وزارة الدفاع. معسكرات أقفرت من العسكريين. قصور وزراء صارت مقرات لأحزاب معارضة. أجهزة أمنية انهارت وهرب مخبروها إلى القرى التي جاؤوا منها"[208].

تعكس الرواية صورة الفوضى المتفشية في بغداد حيث تقول: "صارت بغداد مشاعا لأهلها، والعراق بلا وال.... كأن الناس في بغداد لا يخرجون من بيوتهم إلا لارتياد الجنازات، روتين يومين، مثلما يذهب بشر البلاد السعيدة إلى المسارح والسينما" [209]. تشاهد زينة بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأميركية، كأنها ترى نفسها وهي تحرق شعرها

207- المصدر السابق ، ص- 144.

208- المصدر السابق ، ص - 160.

209 - المصدر السابق ، ص - 182.

بولاعة سجائر أمها، أو أخز جلدها بمقص أظافرها، أو أصفع خدّها الأيسر بكفها اليمنى. وإن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد، وجموعاً من الأهالي تدخل وتخرج من المباني الحكومية وهي تحمل، فوق الرؤوس أو على الظهور، طاولات وثريات وكراسي وزهورا اصطناعية. الكل يركض ويسبق لكي يغنم ويعود وهو يدفع غنائمه على عجلات[210].

حينما تمر زينة بكنيسة، تسوقها ذكرياتها إلى الوراء، تجاربها قبل خمسة عشر عاما . كانت تلميذة في كنيسة الراهبة ماري نويل. بما أنها هي شاطرة في العربي والإلقاء كلفتها الراهبة القراءة في الصلاة الصباحية. عندما تتجمد شعلات الشموع والراهبة تصغي لإلقائها : " يا ربي وحبيبي. أمس اشتقت إليك فدعوتك في وحدتي ورجوتك أن تتلطف وتستجيب. ولم تخذلني يا واسع الرحمة، بل مددت يدك وأخذت بيدي في ذلك الدهليز المظلم الذي غمرته، فجأة، أنوارك»[211]. وكانت تلميذة في مدارس راهبات الوردية والقديس يوسف ونجمة الصبح. ولو لم تحب عبارة "أين راحت تلك الأيام؟"، نطقت روحها بها وهي واقفة بساحة التحرير عند باب الكنيسة. ونهر دجلة كان فاتنا وهو يجري بلونه الطيني. تدرك زينة أثناء عملها في الحيش أن كل شيئ تغير في بغداد. إن الخراب التي تشاهدها في وسط بغداد كان يثير الأسى.

تشرح الرواية حادثة اختطاف الرفاق الثلاثة من الجنود الأميركيين. رصدت القياة العسكرية الأميركية مائتي ألف دولار جائزة لمن يأتي بمعلومات عن مكان المخطوفين، وبينهم جندي شاب من ميشيغان اسمه بايرن،لم يبلغ العشرين. سيطرت حالة من السخط في المعسكر. خرج

210- المصدر السابق ، ص- 24

211 - المصدر السابق ، ص- 164

أربعة آلاف عسكري من الجنود الأميركيين ومعهم ألفا شرطي عراقي، للبحث عن المفقودين في منطقة لا تبعد أكثر من نصف ساعة من مدينة بغداد. بعد أيام عثرت الشرطة العراقية على جثّة رجل يرتدي بزة عسكرية أميركية. كانت الجثة منتفخة، تطفو منذ يومين على الأقل، بين أعشاب الفرات. أصدر اللفتنانت كولونيل المتحدث باسم القيادة العسكرية الأميركية في بغداد، بياناً جاء فيه أن الجثة هي لجوزيف أنزاك جونيور، أحد الثلاثة المفقودين الذين قتلوا في الهجوم ومعهم المترجم العراقي يونس، مدرس الإنكليزية السابق في مدرسة الفراهيدي.

كان مقر عمل زينة في أحد القصور الرئاسية بمدينة تكريت. أثناء إقامتها بتكريت تسلمت عملها في دائرة الشؤون المدنية بوظيفة مستشار ثقافي. فهي مترجمة لا تكتفي بتحويل الكلام بين لغتين، بل تقدّم أيضا خبرتها الاجتماعية للجنود. فتقول لهم مثلا، إن الدخول إلى أماكن الصلاة لا يكون بالأحذية، وإن عليهم التمهل لكي تغطي النساء رؤوسهن قبل اقتحام البيوت. كل يوم، يتوافد الرجال والنساء العراقيات اللاتي اتفقن على لون موحد لثيابهن، وهو الاسود، للتجمع أمام بوابة المعسكر لكي يحتجوا ويطالبوا ويشتكوا عما واجهوا من قبل القوات العسكرية الأميركية من إحراق دكانهم وهدم بيوتهم ودهس السيارة العسكرية لمواشيهم. ويقولون إن الجنود الأميركيين هم سبب كل الكوارث في مدينتهم، فتستمع زينة وتترجم وتقدم المشورة. فيقوم الجنود بإجراءات تفتيش دقيقة وقاسية ويسجّلون خسائرهم ويمنحونهم تعويضا مادياً. وأما ليلا، فتشارك زينة ليلا في حملات المداهمة للبيوت التي تشك بأنها تأوي الارهابيين. فتمكنت من الالتقاء بأبناء وطنها وجها لوجه والتعرف على أحوالهم البائسة الكئيبة.

كان من بين المواطنين خونة يخونون بلادهم بالتعامل مع العدو. فهؤلاء يزورون المقر العسكري ليلا ويتقدمون طوعا ليعطوا الجنود معلومات تفيدهم، طمعا في عمل أو مقاولة أو بضع ورقات خضر. ويخبرهم أحد الخونة بأنه يعرف مكان من يطلبونه والذي يستقر في مختبئه، فتسجل زينة إفادته وترجمها وتحوّلها إلى العقيد المسؤول.

تحكي الرواية قصة شابة مخبرة سرّية تطلب مقابلة خاصة. لم تكن من أهالي تكريت لكنها تدرس في جامعتها. دخلت متخفية بعباءة مثل النسوة المتضررات اللواتي يأتين شاكيات من اعتداءات الجنود، وحالما وصلت إلى مكتب زينة قالت إن لديها معلومات تفيدهم وطلبت ملازم الاستخبارات. فأخبرت أن مجموعة من زملائها سيعقدون اجتماعاً ضد الاحتلال في الساعة الفلانية. أعطت بعض التفاصيل ثم راحت تفيض في الحديث عن إعجابها بالغرب وغرامها بموسيقى الروك.

لم تشعر زينة بالاطمئنان لها رغم أنها كانت جلوة ولمّاحة ولبلبانة في الكلام وتدبر أمورها بإنكليزية لا بأس بها. وقدرت أنها لم تبلغ العشرين وتسميها عميلة في المهد[212]. أحبّت تلك المخبرة الصغيرة ملازم استخبارات الجنود فرانكي، وهو أفر وأميركان من شيكاغو، وأعجب بها هو أيضا، وتطورت العلاقة بينهما حتى وصلت إلى الاتفاق على الزواج. وكانت تأتي مرتين في الأسبوع لزيارته. لم يمنح أحد من العسكريين تلك المخبرة ثقة تامة وحتى فرانكي نفسه كان يشك في أمرها أحيانا ويطلب من زينة باعتبارها تفهم عقلية النساء أن تختبر لتعرف هل تحبه

212 - المصدر السابق ، ص- 93

بالفعل أم تمثّل عليه دورا. وبينما هي في حالها، ذات صباح، شوهدت جثتها مرمية فوق تل من الأزبال وقد نحرت وفقئت عيناها.

الفصل الثالث: الفوضى الاجتماعية في "عجائب بغداد"

الحروب الطائفية

الحروب الطائفية التي نشبت ببغداد سنة 2006 هي خلفية هذه الرواية. الحروب الطائفية هي عبارة عن المصارعة بين الطوائف العراقية المختلفة لا سيما السنة والشيعة، حيث كادت أن تسمى بالحروب الأهلية. كما في السنة التي قبلها، لا زالت المداهمات تتابع بين القوات الأمريكية والعراقية من جانب والمقاومة العراقية المتكونة من القاعدة وجيش المهدي من جانب آخر في سنة 2006 أيضا بعد احتلال أمريكا. ولكن اندلعت الحروب الطائفية بعد حادث التفجير الذي قامت به القاعدة في مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري المقدسين لدى الشيعة في مدينة سامراء يوم 22 فبراير في نفس السنة، لتؤدي الأوضاع إلى مقاتلات طائفية منتشرة، في أرجاء بغداد التي تشمل الشيعة والسنة والأكراد والسريان واليزيديين والتركمان، تسبب في مقتل عشرات الألوف من المدنيين وتخريب المساجد والمعابد والخطف والغصب طول 2006 و2007 إلى أن انتهت بعد زيادة القوات الأمريكية في المناطق.

الميليشات

تفهم الطوائف والميليشات من سطور الكاتب في الهامش: "تشكلت دولة العراق الإسلامية من عدة تنظيمات أبرزها "مجلس شورى المجاهدين" و "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"، حيث كانت القاعدة قد بدأت عملها في العراق بعد التحرير تحت اسم "جماعة التوحيد والجهاد" بقيادة أبو مصعب الزرقاوي، وفي 2004 أعلن الزرقاوي مبايعته أسامة بن لادن زعيم

القاعدة، وغير اسم جماعته إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وبعد ذلك انضم التعليم إلى مجلس شورى المجاهدين. تشكل مجلس شورى المجاهدين في كانون أول 2006 بعد تجمع سبع جماعات جهادية، أبرزها القاعدة في بلاد الرافدين، وجيش الطائفة المنصورة، وسرايا الجهاد الإسلامي، وكتائب الأهول، وسرايا أنصار التوحيد، وسرايا الغرباء، وجيش أهل السنة والجماعة، وتم اختيار أبو عبد الله رشيد البغدادي رئيسا للمجلس، وهو عراقي الجنسية والهدف من إعلان البغدادي زعيما للمجلس هو إعطاء وجه عراقي لنشاط تنظيم القاعدة في العراق بعد أن تعرضت إلى انتقادات بخصوص ذلك".[213]

الخطف

يسرد الراوي حالات كثيرة للخطف في الرواية، من خلالها تفهم الأوضاع البشعة التي يكابدها الصحفيون والمدنيون بداية من مطلع الرواية أي مقتل أطوار بهجت مرورا بالأحداث التي يسردها حينا فحينا في تلافيف الرواية.

مقتل أطوار بهجت

يصل البطل إلى العاصمة بعد مقتل أطوار بهجت التي كانت لها عناية عظيمة في عالم الإعلام العربي والعالمي. عملت في قناة الجزيرة والعربية الفضائية. تم اختطافها ومن معها أثناء تغطية أحداث التفجير في سامراء وجدت جثتها بعد الخطف صباح يوم الأربعاء الموافق 22 من فبراير 2006 في سامراء كما يسجله الكاتب. مقتلها أثار جدلا واسعا في الإعلام ويؤكد خطورة التوتر وعدم الأمن للإعلامي في بغداد ولا يدري أحد متى يخطف ويقتل حتى تغمض

213- وارد بدر السالم؛ عجائب بغداد؛ دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت؛ ط 1؛ 2012؛ ص-31، 32.

حرية الصحافة. يصف الكاتب تلك الصورة لأطوار البشعة بعد وجدان جثتها: "وفي رأسي جثة أطوار بهجت وجسدها الممزق تحت جاكيته الأخضر الملطخ بدماء يابسة والذي يغطس فيه سرب من ذباب بلون بلوزتها المجروحة".[214]

اختطاف الصحافيين

في "فصل حروب مرتجلة" يسافر البطل مع لورا لتغطية الأحداث، فيسمع الأخبار التي تأتي بالهواتف عاجلا حيث يقول: "وفي هاتف الهمر اللاسلكي يأتي خبر اختطاف صحفي محلي في مثلث الموت، ومعارك في الأعظمية وتطهير في عمارات شارع حيفا و اغتيال سياسي لا أعرفه، واختراقات أمنية في جهاز الشرطة ومقتل واختطاف عسكريين وقتال شوارع في مدينة الدورة".[215] نرى في الرواية أن البطل ومن معه من الصحافيين يخرجون للتغطية في همرات مسلحة أمريكية مع جوقة من الشرطة، وهي إشارة كافية إلى خطورة الصحافة في بغداد و غياب الصحفيين بين فينة وأخرى.

ثم يدرك البطل خبر اختطاف الصحفي الكندي "ديفيد" وصديقته الأسترالية ونجاة رندة من متاهة الخطف: "وليس غريبا بعد اليوم أن أسمع خبر اختطاف الصحفي الكندي ديفيد وصديقته الأسرالية في شارع حيفا وسط بغداد في حين نجت رندة وفريقها الصغير من إصابات متوقعة ومن ثم مقتل خميس الأسود في باب الفندق".[216] يقتل خميس الأسود بيد

214-المصدر السابق، ص-1.

215-المصدر السابق، ص-32.

216-المصدر السابق، ص-33.

الأعمى المتوسل الذي قادته فتاة صغيرة شعثاء في فندق الشيراتون و الذي كان يخفي مسدسا في لباسه ليطلقه عليه.

غياب رجال ثلاثة

في فصل "الكف وما بعدها" يلتقي البطل بثلاثة رجال في المقهى ولكن ثم يعلم غيابهم بعد ذلك ويخبر بذلك رئيس التحرير لمجلته بوحمد: "الصورة التي بعثتها لك يا بوحمد لرجال ثلاثة يوم أمس، هم من كنت أتردد على مجلسهم، فهؤلاء يشعرونني بالأمان النسبي.....الرجل الأول على يمين الصورة سيختفي من بيته من دون أن يدرك أثر له بعد أسبوع من حادث محل الخمور ولا تسألني كيف. ورجل الشمال ذو الغترة المرقطة سيقضي بانفجار في سوق الشورجة بعد يومين من اختفاء الرجل الأول، والرجل الوسطى الأفتى منهم ظل دليلي في مدينة لا تفتأ أن تنتحر كل ساعة.....لكنهما غادرا الواقع كلا على الطريقة التي غادره بها".[217]

اختطاف زينب الشعثاء

زينب الشعثاء هي فتاة الشيراتون التي قادت الأعمى القاتل، وهي فتاة تربعت على وجهها الأحزان، تظهر مع الأعمى في مطلع الرواية ثم تغيب كثيرا في فصول الرواية حتى تظهر تارة أخرى في قرية الأستاذ، يلتقي بها البطل الصحفي كي يسالمها ويستخبرها ويواسيها، فأخبرته مريم المحجبة قصة زينب الشعثاء: "زينب الصغيرة اختطفها ملثمون من مدرستها لمدة ستة أشهر في بداية الحرب الأهلية وغابت من دون أثر ثم رجعت بعد صلاة جمعة...جاء بها رجل

217-المصدر السابق، ص-52.

مسن وسلمها إلى أهلها..هذه هي قصتها بالكامل" ثم سؤال: كيف هي تجربة الستة الأشهر أشهر الاختطاف؟ ولكن لا تدرى عنها "أسرتها فقيرة هجروا مدينة الصدر وجاءوا إلى هنا".[218]

الأستاذ المخطوف

تتضمن شخصية أستاذ القرية أيضا قصة خطف واضطهاد، حيث عاناها معاناة مؤلمة حتى نجا منها والقصة تذكر في فصل "المخطوف". الجامعات هي منشأ جيل زاهر للمستقبل، ولكن جامعات بغداد تعرضت لدخول الغرباء و الموظفين الذين يعملون لصالح المليشات، فغيروا مسامع الطالبين وجعلوهم في فرقهم، أي فرق القتل والهجمة والظلم. خرج الطالبون المغسول دماغهم مع أساتذهم الفجرة لتولي مقاليد أمور الجامعة وإجراء الفساد والقتل بين الطالبين و الأساتذة. خلاصا من هذه الضغطات، يهاجر جميع الموظفين والأساتذة ويغادرون الجامعات. ولكن أستاذ القرية لم يغادر، بل واجه طائفة الظلم والجور حتى أطلقت عليه رصاصات في كرات بعد مرات، ولكنه نجا لما أن الرصاص قد أخطأت، ثم لم يقتل بل تم اختطافه بيد طالبيه. يقول الأستاذ: "رصاصتان أحطأتاني وحالة خطف واحدة نجحت بسهولة مطلقة..أخذوني من الجامعة من غرفتي، شباب صغار يرطنون بشعارات ثورية ودينية...كافر..زنديق..ملحد...أجرب".[219] وكان هذا الخطف لشهور ثلاثة أهانوه طلابه باسم الدين واختطفوه باسم الدين.

218-المصدر السابق، ص-181.

219-المصدر السابق، ص-121، 122.

فقراء الحرب

تنمق الرواية جالية فقراء ولدت بعد الحروب الطائفية. وهؤلاء الفقراء يتوسلون بالجنود الأمريكان ويطوفون بالمراسلين والمراسلات لبيع شيئ من وطنهم القديم كي يسدوا رمقهم بمساعدة الدولارات التي ينالونها من المراسلين. يكتب الراوي الصحفي: "هذه أول مرة أرى وجوها عراقية بهذا التكرار؛ نساء متشحات بعباءات سود، شاردات الأنظار، محجبات. وجوه قلقة. ورجال محاصرون يفترسهم الهم والغد المقبل بالوعود يحملون فايلات ملونة ويلوحون بها كأنهم سيدخلون الجنة من بوابة الشيراتون بحماية جنود المارينز".[220] تؤكد لورا أن هؤلاء الفقراء يتقتربون بالمراسلين للشكاوى والتجارة أيضا لما أن بعضهم يحملون مسكوكات تاريخية أو وثائق مهمة سرقت من الدوائر الحكومية أثناء احتلال بغداد خبأوها لكي يتجروها للشبكات الإعلامية والعربية والأجنبية. وبعضهم نجوا من الخطف بعد الفداء وهم لا يستطيعون حتى مع أنفسهم. ومن ميزتهم أنهم انحسروا و أيسوا من الديموقراطية التي تعدها أمريكا: "الجميع الآن كشفوا لعبة الوهم الديموقراطي التي نادى بها الرئيس بوش؛ معظمهم يتصور أن الديموقراطية ستفتح أفخاذها بعد قليل وتبول عليهم لبنا وعسلا".[221]

يلاحظ في الرواية أن شابا يرتدي بدلة مخططة مد للصحفي البطل "بضاعة ورقية ملفوفة بعناية قال: إنها وثائق سرية صادرة من جهاز المخابرات في عهد النظام السابق وقد احتفظ بها منذ ست سنوات".[222] ولكن الكاتب يرفضه ويرسله إلى لورا. فهذه المظاهر كلها تكشف حالة

220-المصدر السابق، ص-4.

221-المصدر السابق، ص-5.

222-المصدر السابق، ص-7.

الفقراء التي أنجبتها الحروب الارتجالية. الأعمى الذي قتل خميس الأسود يعد من جملة فقراء الحروب.

الغدر العراقي

لما احتلت القوات الأمريكية بغداد، افترق الشعب العراقي إلى جانبين، جانب يصفق للأمريكيين ويؤمن بدوموقراطيتهم ووعودهم وجانب يقاوم الأمركيين. ففي الرواية تتمظهر هذه الخيانة العراقية لشعب العراق مع أن الرواية تتضمن عناصر الغدر والغياب الأمني حتى عند الفقراء. وفي استهلال الرواية إشارة كافية، وذلك أن الروائي ضمن في عتبة الرواية على سبيل الاستهلال مقولة "هتلر"، وذلك أن هتلر سئل: "من هم الناس الذين تكرههم أشد الكره؟" فقال: "أولئك الذين ساعدوني على احتلال بلدانهم". لماذا استهل الروائي روايته بهذه المقولة؟ طبعا الجواب واضح؛ منها يفهم أن الغدراء لهم دور بارز في احتلال البلدان كما في تجربة هتلر، وكذلك تقرأ نفس الحالة في قضية عراق، وذلك أن أمريكا لم تقدر على احتلال عراق إلا بصفقة ودعم الغدراء و الخونة. ويفهم منها أيضا وجهة نظر الكاتب وذلك أنه يقف مع هتلر في غضبه تجاه الخونة الذين صاروا سببا للوضع الحالي للعراق. فالعناوين التي تأتي تشجع هذه المقولة.

خيانة فقراء الحرب

تكمن بين الفقراء أيضا الخيانة المكنية، ولكن الكاتب يقف بلا جواب لسؤال: كيف أن الفقر يؤدي إلى ارتكاب الجرائم والخيانة. في فندق الشيراتون فقراء عديدة ولكنهم لا يؤمن منهم الظلم كما تقول لورا. "فقراء الحرب يتكاثرون عادة في مثل هذه الأماكن. جنود المارينز

يطاردونهم بقسوة ومترجمون يبالغون في شتيمتهم"قد يكون بعضهم عيونا للقاعدة"، حدث مثل هذا قبل مجيئي حينما فجر أحدهم نفسه على تجمع لجنود المارينز في مدخل الفندق.....وأعجب في داخلي كيف يمكن أن يتحول لباس الفقر إلى وسيلة من وسائل القتل!".[223]

شخصية أشرف

شخصية "أشرف" تتمثل مثالا أنموذجا للغدر العراقي من ألف الرواية إلى يائها. بالنسبة للبطل، أشرف شخصية بشعة أخلاقيا وثقافيا، حيث يتنفره في كل مواجهاته معه. وكان اللقاء الأول معه حينما جاء به صديقه مايكل معه بعد أن استأذن غرفته للقيلولة مع صديقه أشرف. يصف الكاتب شخصية أشرف: "وكان الثلاثيني يقدم نفسه لي ببلاهة: أشرف..صديق الرقيب مايكل...وابتسامة عريضة تكشف أسنانه الصفر. ولوقته ترك لدي انطباعا سيئا لسبب ما، لست الآن قادرا على تبريره بدا وكأنه أحد مقاولي الاحتلال من أولئك الذين جاءت بهم لصوصيات البنوك بعد سقوط بغداد؛".[224] ساء البطل تصرفات أشرف حتى كاد أن يبصق على وجه ذاك العراقي كما يصف عنه.

أما "مايكل" وهو أحد الجنود الأمريكين يعمل كرقيب في فندق الشيراتون وهو مغرور وشاذ نال صداقة العراقي الشاذ المنصرم الثقافة أشرف. نرى في مكالمات أشرف لمايكل: "قل له أحبك".[225] كره الصحفي تصرف أشرف كرقيب له استحقاقات شخصية في الفندق. حاول

223-المصدر السابق، ص-9.

224-المصدر السابق، ص-59.

225-المصدر السابق، ص-60.

الصحفي البطل أن يعرضه كل الإعراض و تجاهل نظرته واعتباره عنه. مرة قالت لورا له: "تجاهلهم قدر ما تستطيع بوصفك عراقيا. مواطنوكم أخطأوا خطأ لا يغتفر حينما صفقوا لهم في اجتياح بغداد".[226]

كان العراقيون الذين صفقوا لقدوم الاحتلال الأمريكي مأخوذين بفكرة العدو المخلص ولكنهم تجاهلوا وغفلوا عن الآثار السلبية التي سوف تترتب على ناصية وطنهم العراق. انبهروا أمام وعود الرئيس الأمريكي بوش أنه أن سيحول العراق جوهرة الشرق الأوسط. عاتبهم لورا: "هؤلاء غزاة ومرتزقة، هنود حمر، ميتو القلوب".[227]

وفي فصل "فاصلة أشرف" تتجلى أكثر شخصية أشرف وكيف هو أحب الأمريكان وصادق معهم حتى كيف نال صداقة حميمية مع مايكل المتبختر الأمريكي. وصفه الكاتب بأنه رجل أمي مفرغ من الأحاسيس و المشاعر. أدخله البطل إلى غرفته، فقال أشرف إن صديقه مايكل يستحم و أراد منه أن ينتظر عند البطل. كره البطل استعماله "صديقي". بدا للبطل أن أشرف يحاول أن يشعره ويقنعه بأنه قواد من قوادي الاحتلال مثل مايكل أو بمنزلة قريبة من ذلك و تساءل الصحفي أن الحروب كيف تنتج مثل هؤلاء القذارات مع المحتلين. قص عليه قصة حبه مع مايكل وذلك أنه أنقذ صديقه مايكل من الموت في "الفضل" لما نصبت جماعة المجاهدين كمينا لدوريته في الفضل حيث كان هدفهم أخذه أسيرا مع مجموعته. أنقذه أشرف في الوقت المناسب مما حقق صداقته حتى عرفه على البيرجادير و أكرموه ببعض المال وباج

226-المصدر السابق، ص-60.

227-المصدر السابق، ص-61.

خاص يسمح له بالدخول إلى فندق الشيراتون. بعد أن سمع القصة يغادر الصحفي غرفته لفعلتهم الشاذة بكل كراهية.

تظهر شخصية أشرف مرة أخرى، عندما يعلن الرقيب الوسيم إخلاء الفندق الشيراتون للنقل إلى المنطقة الخضراء. يظهر بالبطل كراهيته نحوه مرة أخرى: "أشرف الوسخ ينتفخ جيبه من راتب هذا الرقيب أي مايكل مقابل مضاجعات حميمية في غرفتي تطورت لاحقا إلى رقباء وجنود صغار افترسهم الخوف ليمتعهم أشرف بقضيبه العراقي الأسود الطويل؛ كما وصفه مايكل ذات ليلة وهو سكران إلى حد الذوبان".[228]

أنجب الاحتلال الأمريكي غدراء ناسي الهوية العراقية مثل أشرف حتى لورا الأجنبية حذر البطل من اقتراب العراقيين الفقراء المتسولين، منهم الخاطفون والنصابون والمحتالون وغيرهم.

عدم الاستقرار السياسي

شكلت القوات الأمريكية بعد أن أزاحت صدام حسين وكيانه السياسي من عرش العراق مجلس النواب الذين يدعمون أمريكا و كانت لهم تناحر ضد استبداد صدام، وكان المجلس من النواب مزج الطوائف المختلفة، خاصة كان له اهتمام بالغ لأعضاء الشيعة بخلاف حكم صدام الذي كان للسنة يد بالغ فيه قبل الشيعة. حدثت انتخابات كما وعدت أمريكا إلا أن الحكومة التي رأست عراق لم تقدر على إيقاف التقاتل الطائفية بل زادت الوضع سوء. ففي الرواية يحاول الكاتب أن يصف الرؤساء السياسيين آنذاك من دون ذكر أسمائهم على لسان

228-المصدر السابق، ص-80.

"رندة" التي تعرف المنطقة الخضراء بأجمعها كمراسلة متخصصة في السياسة حيث تبين كل السياسيين لبطلنا الصحفي.

تطلب تجمع جميع المراسلين والمراسلات في قاعة من قاعة المنطقة الخضراء حيث يمشي فيها الوارد والشارد من السياسيين. من بيانات رندة تفهم أوضاع السياسيين الذين ليس لهم صلاحية كافية للحكم و لهم خلفيات جرائمية حيث هي من تشكيل أمريكا: "هذا الرجل الختيار عجوز كما ترى، يتنقل بطائرة إماراتية خاصة. من أسرة سياسية معروفة في العراق. يتهم والده بالتعاون مع الإنكليز منذ بدايات القرن الماضي يطمح بالرئاسة لكن لا يحصل عليها.....هذا لص دولي متهم بسرقة بنك عربي، لالا، لنقل عليه مخالفات مالية ولهذا فهو محكوم بالسجن 22 سنة مع الأشغال الشاقة هو زعيم حزبي ومؤسس بيت طائفي في انتخابات العام الماضي....ذلك النائب أنيق فقط. فرح براتبه الضخم. لا يهمه لو احترق البلد كله. يصور نفسه علمانيا لكنه يصوت للإسلاميين وفي وقت ما كان يبيع البوظة في حي السيدة زينب بدمشق.....هذا ذو جنسية بريطانية. عليه شكوك كثيرة، طبيب فاشل وهو الآن مثل خطيب في جامع الحكومة!.....نعم هو، أعتقد رأيته في "الجزيرة" بيشتم ويسب جهة طائفية هو بالضبط يريد إشعال النيران في البلد.....تلك التي ترتدي بنطالا ضيقا تريد أن تكرس نفسها بأنها حلوة ومرغوبة من النواب!.....الذي يقف وراءه مباشرة فعنده جنسيتان لا أعرفهما لم يخرج من المنطقة الخضراء منذ ست سنوات!.....وذلك الذي يضع على رأسه عقالا عربيا لا يعرف حتى اليوم هل أن العاصمة بغداد أم أصبحت نيويورك!".[229]

229-المصدر السابق، ص-93، 94، 95، 96.

وكان من ميزة الحكومة التي أسستها أمريكا عدم استقرار رؤسائها ونوابها فيعاتبها الأستاذ بكل جدية: "كل شهر رئيس...في شباط رئيس شتوي. وفي تموز رئيس صيفي. وفي أيلول رئيس خريفي. وفي آذار رئيس ربيعي...هههههه..اللعنة عليك أيها الثعلب بريمر..لقد كشفتهم وهم في بيضة السلطة..لكننا كنا أغبياء!".[230]

الصحافة القذرة

تزايدت أعداد الصحائف والجرائد التي تعمل في المنطقة المأساوية ومحل الفوضى؛ بغداد، ولكنها ضمنت انحيازا سياسيا أو تحيزا حزبيا أو نظرية غربية ولم تكتب بنظر حيادي أو لم تسجل الوقائع حسب حقائقها بل كتبت مزج الأكاذيب مع الواقع الذي وقع. وبعضها لم تر من بغداد إلا الدم وحاولت أن تسجل تلك الحالات البشعة وحفلت أوراقها بالحمرة الدموية.

عناوين المسرحية

دعي المراسلون والمراسلات من الفضائيات والقنوات المختلفة إلى قرية الأستاذ لتغطية مسرحيتها اليومية وهي مسرحية الواقع التي سموها ب"المسرحة البوذية". حاول جميع من في القرية إظهار حقيقة القرية منهم الأستاذ الجامعي و البطل الصحفي و جرجيس والصياد وصاحب المقهى وغيرهم. بينوا سبب تسمية القرية بالقرية البوذية و أنهم يحاولون بناء عالم بعيد عن غطرسة وظلم الطوائف بل الكل الغرباء مجتمعون لأجل الأمن والسلام. وهي قرية تشكلت ارتجالية من دون مؤسس وتاريخ تأسيس. وهي نتاج الحروب الدامية حيث البؤساء والغرباء غادروا أوطانهم إلى القرية اليوتوبية كي يعيشوا في أمن وأمان وكي يعيشوا تحت هوية

230-المصدر السابق، ص-134.

واحدة وهي هوية السلام. سجل المراسلون وغطوا الأحداث كل التغطية وعادوا كي يقرروا عن هذه القرية، ولكن في اليوم التالي الصحائف المتكدسة التي تجمعت في القرية تكتب في صورة أن الأستاذ مجرم أو مجنون و أن القرية هي عبارة عن أحلام. وهذه المواقف التي تأخذها الصحافات هي تدل على قذارة الصحافة في العراق آنذاك حيث تعمل لأجل مصالحها ومنافعها لا لتغطية الحقائق.

يندهش الراوي الصحفي برؤية العناوين التي كتبتها الجرائد: "ولم أستطع أول الأمر في القراءة العاجلة التي كانت عيناي فيها تلتهمان العناوين الوقحة والمستفزة أن ألم بحزبية الصحف المحلية وتوجهاتها ومناطقيتها وأفكارها الملتبسة دائما، غير أن الوقت الذي كان يمضي مسرعا قبل مجيئ الأستاذ لمشاركتي القراءة" يسميه الكاتب ب"الغواط الذي تعج العاصمة به" وهي: "قرية صفيح مجهولة تؤسس للإلحاد على أطراف بغداد، عاجل: يهوذا في بغداد بزي أستاذ جامعي مطرود، مسرحية القرية البوذية تجمع العراقيين في قرية من تنك!، تنظيم سري يعلن يوم أمس في مسرحية فوضوية، ساحر كبير يقود سحرة صغارا في قرية من تنك، حي بغدادي فقير يتمرد ويدعو إلى ثقافة السلطة، تنظيم سري خطير تكشفه فضائية أمريكية يدعو لإلغاء الأديان!، أستاذ جامعي مجنون يأسر قرية كاملة بدعوى الإصلاح!، مسرحية مرتجلة تخترق الحرب الأهلية وتقترح وحدة البغداديين، الدعوة إلى إنشاء أول إقليم في العراق بعد إقليم كردستان..إقليم بوذا، جريمة بوذية يخرجها أكاديمي مجنون في حي مجهول على أطراف بغداد!، القاعدة تتستر في مسرحية شعبية والفضائيات تكشف المستور!، انصهار الأديان

والطوائف ضمانة للسلام..مسرحية جدلية في بغداد، تأسيس قرية غجرية تحارب الإسلام".[231]

يرى البطل أنها صحائف لا تريد إلا التحريض وإيذاء الناس بكل طريقة ممكنة وبكل عفونة كبيرة. صدمتهم الحرية التي تستلذ بها القرويون، ويرى الأستاذ أن التاريخ شاهد على خيانة الصحائف مثل هذه. فالنصوص المذكورة تؤكد على أن للجرائد دور هام في تخفيض الأعلى و رفع السافل عبر عناوينهم و إزعاج الفوضى كما لعبت الصحائف العراقية دورا بارزا في إزعاج الفتن بين المدنيين.

الصحيفة الكويتية: صحيفة خميس الأسود

خميس الأسود شخصية من الشخصيات التي تبرز في أوائل الرواية وينتهي دورها بمقتلها على يد الأعمى القاتل. بعد وصول البطل إلى بغداد يجد خميس الأسود متأبطا بحقيبة صغيرة تجمعت فيها العدسات. اجتمعوا مرات عديدة من الدول المختلفة. خميس الأسود عراقي الأصل يعمل لصحيفة كويتية. ولكن البطل كان يكره خميس الأسود لما أنه كان يحمل أسرارا و لا يرى إلا الدماء في عينيه. "كان الأسود يثري جريدته الكويتية بصور ومشاهدات وريبورتاجات متواصلة منذ فترة غير قليلة، حتى كاد يستنفذ عطاءه بسبب الملل والخوف وقتال الشوارع في العاصمة المحبوسة بالسيطرات وانفجارات المفخخات التي تفاجئ الناس في أرجائها الميتة."[232]

231-المصدر السابق، ص-182، 183.

232-المصدر السابق، ص-2.

لم يفاجئ موت خميس الأسود بطلنا لما أنه كان يثري الجريدة بالجرائم والدماء حتى أدت إلى مقتله ويصف الكاتب خميس الأسود وصحافته: "لكن المفاجأة أني نجوت من التباس بين لونين في عينين أفترضهما لا تريان من بغداد غير الظلام الداكن....تظل عيناه تدوران مسرعتين كعيني غراب حينما أتحدث إليه ليشعرني بأهيميته الآنية و أنه على موعد سياسي ووقته ليس له والعالم ينتظر تقاريره عن بلاء الحرب الأهلية....لكنه أدمن صور الخراب في العاصمة وظل يغيب مثل الصل المسموم في بطون الهمرات نهارات طويلة حتى يأتي بأبشع الصور وأكثرها دموية ".[233]

تارة يعرض عليه خميس الأسود أعدادا من الجريدة التي يعمل بها: "كانت فيها جثث مرمية بين الأزقة لشباب ورجال. يتصدر الصور شاب يرتدي دشداشة سوداء منقسم جسده إلى نصفين. يمكن رؤية بقع دماء تحت أجساد القتلى، وقد تفنن منفذ الصفحة بجر لطخة الدماء إلى مساحات واسعة من الصفحتين بشكل منفر ليوحي بدموية المكان".[234] فجريدة خميس الأسود الكويتية لا تريد أن تصدر إلا القتل والدماء والجور و الكارثة بيد أن خميس الأسود لا تعمل وجدانه بشكل صحي كي ينبهر أمام هذه الفجائع كي ينقص من هذه الفعلة الصحفية البشعة. فهي حالة بعض الصحائف القذرة التي لا ترى من الحرب إلا ظلامها الدامس.

233-المصدر السابق، ص-3.

234-المصدر السابق، ص-29.

الهجرة

من الآثار المترتبة على الاحتلال الأمريكي في العراق هجرة الناس من بلدانهم ومن مساكنهم. فالبعض هاجروا إلى الأوطان الأجنبية مثل أمريكا و بريطانيا و كندا وسنغافورة وغيرها مثل والد البطل الصحفي، والبعض اختاروا الدول المجاورة مثل السعودية والأردن وغيرها، والبعض غادروا إلى أنحاء عراق المختلفة، والبعض لم يغادروا بل قاوموا مشاركين في الميليشات، والبعض ثبثوا في استقرارهم. ولكن لما اندلعت الحروب الطائفية تفاقمت أعداد الهجرة بالنسبة لما قبلها. مهما كانت أهداف الميليشات واضحة كان معظم الضحايا الذين يعانون من الانفجارات والمقاتلات المدنيون الأبرياء. في الرواية نرى الأساتذة الجامعيين والطلبة من الجامعات يغادرون ويختارون الهجرة نجاة من الأجواء الفوضوية. في جامعة أستاذ الجامعة، لما أمسى المديرون أصحاب الظلم والجور، انتهج الجميع منهج الهجرة إلا أن الأستاذ لم يغادر وهو يقول: "كنت...كنت أحمق. كان علي أن أهاجر كما هاجر أساتذة وكافاءات وطلبة ومعلمون ومندسون وضباط وصحفيون وأدباء وعاطلون ولصوص ونساء ورجال وصبيان وبنات..كان علي أن ألتحق بتلك القوافل التي نجت بأرواحها وعقولها...".[235]

تتمظهر عناصر الهجرة في قرية الأستاذ أيضا. وذلك جواب لسؤال؛ كيف نشأت قرية الأستاذ؟ الجواب هو أن قرية الأستاذ هي نتاج هجرة الناس من الأجواء المظلمة الدموية إلى شاطئ الأمان والسكون. وهذه تتجلى في مظهر قصة الشاب المسرحي لما هربوا من الناس لما شاع خبر الإصبع الحي: "بعد قصة الرماد والقارورة هرب الناس إلينا من جديد وجاورونا

235-المصدر السابق، ص-121.

متوخين الأمن والسلام قالوا هذه هي قرية الخلاص والسلام....ردوا علينا بأصوات أعلى: للحروب معجزاتها أيها الشاب الطيب وقد وطننا العلي القدير هنا كي نكون على يقين أن هذه القرية البائسة ستكون بذرة الأمان..."[236] وأيضا في مظهر قص الشاب قصة الأستاذ حيث يقول: "لم ينتبه الأستاذ إلى أن الحرب الأهلية أكلت من جروف الناس وأهانت الحياة ولم ينتبه إلى البشر الهاربين من ضراوتها وهم يتجمعون حول بيت الجني ببيوت من صفيح وقمامة وأزبال وأشواك وكسر طابوق وطين".[237]

تهاون البشرية

يلاحظ في الرواية تناقص قيمة الجثة البشرية. نهر دجلة مهبط الثقافة العريقة وعلامة حضارة ثرية بالنسبة للعراقيين. ولكنها في أجواء الرواية أصبحت علامة انهيار الحضارة لما أنها تطفح بالجثث الطافية حتى تظهر مدى خطورة تفاقم عدد الموتى يوما فيوما في الوضع البشع الذي خلقته الحرب الأهلية.

صياد النهر يصطاد السمك في الغالب، ولكن في الرواية نرى المجتمع المتغير، وذلك أن الصياد لا يعمل عمله الحقيقي في نهر دجلة، ولكنه معروف باسم "صياد الجثث" لما أنه لا يصطاد الأسماك بل يصطاد الجثث. يلتقي البطل مع الصياد ويكون بينهما حوار. فصياد الجثث لا يعتبر بالجثث بل يهتم بالهويات والبطاقات والفلوس التي تكون في أثواب الجثث المقتولة. رأى

236-المصدر السابق، ص-114.

237-المصدر السابق، ص-125.

جثثا عديدة حتى تهاونت عنده خطورة الموت وليس له أي هم بالجثث بل يهتم بالهويات. وكذلك نرى الطالبين عن هويات ذويهم لا يهتمون بالجثث بل يهتمون بأسمائهم وهوياتهم.

تفاقمت أعداد الجثث في نهر دجلة وكذلك المشهد يتكرر في مشرحة الطب العدلي التي زارها البطل مع لورا. والمشرحة تحتفظ جثث اليوم والأمس والأسبوع والشهر الماضي والشهور المواضي حيث نلاحظ كيف تبطل وتخفق البشرية أمام حقيقة المنية. تارة ترى جثة طافية في حافة النهر في القرية حتى أوصلوا الخبر إلى الشرطة بل الشرطة لم تعتبره حق الاعتبار بل صوروها وذهبوا من غير مبالاة. وهذه المشاهد كلها تدل على كيف أن الحروب تقلل هول الموت والجثث المتكاثرة تجعل الأذهان البشرية تفكر على أنها ظاهرة عادية من غير جدية و اندهاش ولا حيرة.

الباب الخامس: أزمة الهوية في الرو ايتين

الفصل الأول: مفهوم الهوية وانعكاساته في الرواية العراقية

الفصل الثاني: أزمة الهوية في "الحفيدة الأميركية"

الفصل الثالث: أزمة الهوية في "عجائب بغداد"

الفصل الأول: مفهوم الهوية و انعكاساته في الرو اية العر اقية

تعتبر الهوية من مفاهيم العلوم الاجتماعية الأساسية وعلم الاجتماعي الثقافي على وجه الخصوص. لغة، تعرف بأنّها مصطلح مشتقّ من ضمير الغائب المفرد "هو. فالمعاجم العربية تخلو من هذه الكلمة وتستخدم للإشارة إلى المعالم والخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية. وهذا المصطلح يستعمل للدلالة على ماهية الشيئ وجوهره. "وهوية الشيئ عينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[238]. فهوية الفرد هي ما يحمل جوهره وماهيته ويميزه ويؤكد وجوده وخصوصيته ويجعله مختلفا عن غيره.

والمعاجم اللغوية تتناول هذا المصطلح وتعرف بأنها هي الحقائق والمكونات الجوهرية المميزة لكائن. فمعجم المنجد يعرف بأنها"حقيقة الشيئ أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية" [239]،أما معجم الرائد فيعرف بأنها " الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الصفات الجوهرية "[240]. ويعرفها المعجم الوسيط بأنها" حقيقة الشيئ أو الشخص التي تميزه عن غيره " [241]. ويبين أنها هي مجمل السمات الشخصية لدى الإنسان منذ تلك اللحظة التي يعي فيها الطفل كونه مخلوقا منفصلا عن أمه. وقد ورد في تعريفات

238 - -صفاء شريط وآمال مبروك ،إشكالية الهوية والاغتراب في رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي ، دراسة ،قسم اللغة والأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة العربي التبسي ،الجمهورية الجزائرية ، 2017.

239 - لويس معلوف ،معجم المنجد ، دار المشرق ، بيروت ،1969

240 - جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي ،دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبع السابعة، 1992 ، ص 847.

241 - المعجم الوسيط ، الدار العربية للنشر ، بيروت ،1996 ، ص 254.

الجرجاني أن الهوية هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الأشياء اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". ويمكن ترجمة هذا اللفظ إلى اللغة الفرنسية بمعنى التساوي. والكلمة الفرنسية المماثلة للهويّة " Identite " مشتقة من الكلمة اللاتينية " Eden"،وهي التي تدل على الأشياء أو الكائنات المتشابهة والمتماثلة تماثلا تاما مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض. فالهوية قائمة على التشابه والتماثل مع إضافة خاصية التمايز للأشياء.

أما اصطلاحا فتعرف الهوية بأنها مجموعة من المميّزات التي يمتلكها الأفراد، وتساهم في جعلهم يحققون صفة التفرد عن غيرهم، وقد تكون هذه المميزات مُشتركة بين جماعة من النّاس سواء ضمن المجتمع، أو الدولة. وهي حقيقة الشيئ أو الشخص وأصله الذي يجعله مختلفا وجزء لا يتجزّأ من نشأة الأفراد يلزمهم في حياتهم. كما إنّها تعبر عن مجموعة من السّمات الخاصّة بشخصيّات الأفراد؛ لأنّها تضيف للفرد الخصوصيّة والذاتيّة، وتعتبر الصّورة التي تعكس ثقافته، ولغته، وعقيدته، وحضارته، وتاريخه.

والهوية تعرف أيضا بأنّها هي كل شيء مشترك بين أفراد مجموعة محددة، أو شريحة اجتماعيّة تساهم في بناء محيط عام لدولة ما، ويتم التعامل مع أولئك الأفراد وفقا للهوية الخاصة بهم.ويعرفها رشاد عبد الله الشامي في كتابه "إشكالية الهوية في إسرائيل" بأنها " الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها المكونة لها على مدار تاريخ الجماعة وتراثها الإبداعي وطابع

حياتها"[242]. ويقدم المعجم المعاني الإلكتروني تعريفا اصطلاحيا للهوية، وذلك أنه إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف.

ومما تقدم يستنتج بأن الهوية منظومة من الخصائص والعناصر المادية والمعنوية المكونة لوجود شيئ ما والتي تميزه عن الأشياء الأخرى بصورة عامة على الرغم من وجود عناصر وخصائص متشابهة. كما أنها هي مجموع السمات الفكرية والثقافية والمعرفية المشكلة لفرد ما أو مجموعة من الأفراد والتي يمتازون بها عن غيرهم.

فعندما يفقد الفرد لتلك السمات المميزة لشخصيته تكون هويته معرضة للأزمة. وهذه الأزمة هي حالة الاضطراب الذي يصيب الفرد فيما يختص بأدواره في الحياة، ويصيبه الشك في قدرته أو رغبته في الحياة طبقا لتوقعات الآخرين عنه، كما يصبح غير متيقن من مستقبل شخصيته إذا لم يتيسر له تحقيق ما يتوقعه الآخرون منه.

حرصت شعوب العالم منذ بداية البشريّة حتّى هذا اليوم إلى المحافظة على تميزها وتفرّدها اجتماعيا، وقوميا،وثقافيا. لذلك اهتمت بأن يكون لها هويّة تساعد في الإعلاء من شأن الأفراد في المجتمعات، وساهم وجود الهويّة في زيادة الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ممّا ساهم في تميّز الشّعوب عن بعضهم بعضا. يقول الفيلسوف زكي نجيب محمود: "إن الهوية لا تصان إلا بان يتمسك الشعب بثقافته التي ورثها عن أسلافه أي في العقيدة وفي اللغة وفي الفن وفي الأدب وفي كثير من النظم الاجتماعية ". وبهذا المعنى تقصر الهوية على

242- عبير سهام مهدي وعمار حميد ياسين ، إشكالية الهوية في العراق : رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام 2003 ، المجلة السياسية والدولية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد.

تراث الأمة والحفاظ عليه. و يرى الروائي ادوار الخراط :"إن الهوية الوطنية باعتبارها مقوّمًا له دلالته في مذهب إنساني جديد، ليست جوهرًا ميتافيزيقيا، ليست تراثًا محتومًا لا حول عنه، مقذوفًا به من الماضي ومنيعًا لا يؤثر فيه البُعد الزمني، ولا المتغيرات التاريخية، بل هي واقع ديناميّ، تاريخيّ، زمني، لجسد تعاد صياغته وتشكيله وتنميته، لا تكتسب مقدرتها على البقاء إلا بمقدرتها على التطوّر والتفاعل مع المعطيات الاجتماعية السياسية والثقافية التاريخية وبوعيها بهذه الخصيصة من المرونة والانفتاح والاستجابة النقدية" [243].

مستويات الهويّة و أنواعها

وقد اقترح علماء الاجتماع مستويات متعددة للهوية. ومن أهمها المستويات الثلاثة المتمثلة في **المستوى الفردي** : وهو شعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة،يشاركها في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات. والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وعملية التنشئة الاجتماعية.

المستوى الجمعي : وهو تجسد هوية الفرد في شكل تنظيمات قومية أو أحزاب وهيئات شعبية من حيث هو فرد في جماعة يشاركها لغتها وتقاليدها وآمالها وآلامها. ويتمثل هذا المستوى أيضا الهوية الدينية.

243 - جميل الشبيبي، إشكالية الهوية في السرد العراقي المعاصر البحث عن هوية في وطن قتيل(رواية عجائب بغداد أنموذجا تطبيقيا)

المستوى المؤسساتي والقانوني : في هذا المستوى تخضع الهوية لمؤسسة مثل نادية رياضية وحزب سياسي أو دولة معينة أو مؤسسات دولية متعددة الجنسيات[244].

وتقسم الهويّة إلى مجموعة من الأنواع. ومن أهمّها :

الهويّة الوطنيّة: هي الهويّة التي تستخدم للإشارة إلى وطن الفرد، والتي يتم التّعريف عنها من خلال البطاقة الشخصيّة التي تحتوي على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يتميّز فيها الفرد الذي ينتمي إلى دولة ما.

الهويّة الثقافيّة: هي الهويّة التي ترتبط بمفهوم الثّقافة التي يتميّز فيها مجتمع ما، وتعتمد بشكل مباشر على اللّغة؛ إذ تتميّز الهويّة الثقافيّة بنقلها لطبيعة اللّغة بصفتها من العوامل الرئيسيّة في بناء ثقافة الأفراد في المجتمع.

العوامل المؤثّرة على بناء الهويّة

توجد مجموعة من العوامل التي تؤثّر على بناء الهويّة عند الأفراد؛ ومن أهمها: المجتمع: هو أول العوامل المؤثرة على بناء الهويّة؛ إذ يساهم المجتمع في بناء هويّة الأفراد وتشكيلها بناء على طبيعة البيئة المحيطة بهم، ويتأثّر الأفراد بسلوكيّات الأجيال السّابقة لهم سواء في العائلة، أو الحيّ، أو المجتمع عموما، وتساهم في بناء الهويّة الفرديّة الخاصّة بهم، ومساعدتهم على فهمها بطريقة أوضح.الانتماء: هو الارتباط بالمكان الذي يعتمد على دور الهويّة في تعزيز مفهومه؛ إذ ينتمي الفرد للدّولة التي يعيش فيها، ويعتبر مواطنا من مواطنيها، وله حقوق وعليه واجب

244 - عبير سهام مهدي وعمار حميد ياسين ، إشكالية الهوية في العراق : رؤية في التحديات ومستقبل بناء هوية وطنية عراقية بعد العام 2003 ، المجلة السياسية والدولية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد.

تنظّمها أحكام الدّستور، وعليه، فإنّ الهويّة عبارة عن وسيلة للتّعزيز من هذا الانتماء عند الأفراد، والجماعات.

حالات الهويّة

حالات الهويّة هي مجموعة مِن الحالات التي قام عالم النّفس أريكسون بصياغتها حول المفهوم العام للهويّة[245]، وتقسم إلى أربعِ حالات.وهي:

تحقيق الهويّة: هي إدراك الأفراد للهويّة الفرديّة الخاصّة بهم، والتي تهدف إلى تقدير الذّات، واحترام الصّفات الشخصيّة، وزيادة الإنتاجيّة العامّة في المجتمع.

تعليق الهويّة: هي معاناة بعض الأفراد بأزمةٍ في هويتهم الفرديّة؛ إذ يفقدون أيّة قدرة في التعرف على الهويّة الخاصّة بهم بسبب تعرّضهم لاضطرابات نفسيّة.

انغلاق الهويّة: هي حالة تصيب الأفراد عندما يتم فرض بعض الأشياء عليهم، مثل: نوع الملابس، أو التخصّص الدراسيّ، أو موعد النّوم، ممّا يؤدّي إلى انعدام شعورهم بالهويّة الخاصّة بهم.

تفكّك الهويّة: هي حالة تنتج عن ضعفٍ في فهم الهويّة؛ وتنتج عن تعرّض الأفراد للاضطهاد والظّلم النّاتج عن سوء المعاملة، ممّا يؤدّي إلى تفكّك الهويّة. وهذه الحالات الثلاثة الأخيرة من التعليق والانغلاق والتفكّك تمثل الأزمة في الهوية.

245 - تعريف الهوية ، https://www.mawdoo3.com ، يوم المراجعة : 2020/10/20

إشكالية الهوية في الرواية العراقية

حدثت التطورات المتسارعة في العالم بعد انتشار وسائل الاتصالات وتطورها العاصف وانتقال المعلومات والتوسع الاقتصادي الكبير للشركات الغربية بشكل لم يسبق له مثيل. وبرزت ظاهرةالعولمة التي هي حالة من التمازج والترابط في العلاقات الاجتماعية والثقافية مع غياب الحدود الجغرافية التي تمثل الفاصل بين تنوع الثقافات. والتي هي أسهمت في إيجاد عالم بلا مركز ولا حدود، يدفع نحو صنع منظومة عالمية مشتركة تمثل نتاج الفكر المنبثق من كل الثقافات. وتهدف إلى جعل العالم قرية كونية صغيرة إلى درجة تزول فيها جميع الخصوصيات والهويات التي تحددها مجموعة من القواعد والمبادئ. وجرت المحاولات لتحقيق مشاريع الاندماج الثقافي الكوني وتوجهات العولمة والتي تعمل على محو الهوية المحددة تارة باسم التمدن والتحضر، وتارة باسم التقدم والتطور

وهذه التطورات أصبحت تمثل تحديًا حقيقيا لمختلف الشعوب، خصوصا مجتمعات العالم الثالث. وفي حقيقة الأمر أن هذا النظام هو إجبار للشعوب والأمم على التخلي والترك لثقافتها وحضارتها وهويتها مع أنه هو استبداد الحضارة الغربية المهيمنة على الحضارة الأخرى الضعيفة. حتى أن جعلت الأخيرة تفقد يمتها وهويتها. فتأثرت الأفكار الجديدة في المجتمع الشرقي ببعض التناقضات المتمثلة بإشكاليات الأصالة والتفرد والاهتمام العظيم بالهوية القومية والتغريب. كما سببت الانفتاح الكبير بينهم وازداد التداخل المعرفي.

تحدث أزمة الهوية كنتيجة لتراكم المشاكل التي تتعلق بفقدان بلد لهويته الثقافية والسياسية. فإذا كانت الدولة تعاني أزمة في الهوية فإنها تصبح مشلولة في أداء واجبها وإنجاز

مهامها، وبالتالي تفقد سلطة شرعيتها في المجتمع. جمهورية العراق الحديثة وبالرغم من أنها كانت دولة إقليمية قوية، وواسعة النفوذ على المنطقة، ظلت تعاني من أزمة الهوية الثقافية والسياسية من عدة قرون. وفي كل مرحلة من مراحل تاريخ هذا البلد كانت أزمة الهوية تظهر بشكل من الأشكال. وغالبية مشاكل في العراق يرجع سببها إلى أزمة في الهوية الثقافية والسياسية التي تعاني منها الدولة العراقية.

ظهرت صراعات سياسية بين مكونات الشعب العراقي إضافة إلى بروز دعوات تستثمر الدين أساسا في الهوية العراقية. وقامت السلطة السياسية بإحلال المذهب أو الطائفة. وغاب التجانس الاجتماعي الشكلي الذي كان سائدا قبل التغيير ممثلا بالاحترام المتبادل بين الطوائف الدينية والقومية في العراق كما أن انتشار الكثير من مظاهر العولمة في العالم،أدى إلى انتشار الثقافة الاستهلاكية التي تعتمد المذهب البراكماتي الأمريكي التي أثرت تأثيرا كبيرا في الأجيال الجديدة بشكل خاص. وأن السياسة الإمبريالية التي هدفت إلى سحق الهوية والشخصية الوطنية المحلية عملت في تحقيق التركيب لهوية عالمية وذوبان ما هو خاص في ما هو عام. فصارت الهوية العراقية فاقدة لخصوصياتها ومتخلية عن انتماءاتها. فما يشهده العراق من أزمات وانكسارات داخلية هي نتيجة السياسة الإمبريالية والاحتلال الأمريكي الذي سعى إلى تشتيت العراق وتمزيقه وتحويله إلى كيان ضعيف.

فتغيرت المفاهيم والسلوك والتطلعات والعلاقات التي تربط الأفراد بعضهم بعضًا، فأصبح مبدأ المنفعة أساسا في توجهات الفرد. فظهرت كرد فعل على هذه التوجهات الثقافية ظاهرة بعض النزعات بأشكالها المتنوعة ونزوعها الدموي في المجتمع العربي والعراقي بشكل خاص.

تجسدت هذه النزعات في ظاهرة التفخيخ والتفجيرات اليومية وظاهرة المليشيات التي تتقنع بالهويات المذهبية، وتمارس القتل والاختطاف وكل أعمال الإرهاب، مما حرف الهوية الوطنية وجعلها هوية قاتلة[246]. ومفهوم الهويات القاتلة هوأحد المفاهيم السائدة في العراق ما بعد التغيير وقد أصبح من الثيم المألوفة المكررة في روايات هذه المرحلة.

تمظهرت الهوية في الرواية العراقية في بيان مشاكل الهجرة إلى المنافي ومظاهر الحصار داخل الوطن وتداعيات الظروف السياسية والاجتماعية وغيرها في تهديد الوجود الهوياتي. والرواية العراقية قد أشارت بشكل لافت إلى مشكلة الهوية والانتماء مع تدفقات الهجرة إلى الغرب نتيجة للواقع السياسي الذي صدم هوياتهم الأصلية الثابتة في العراق. وأفصحت عن تداعيات الاحتلال التي أثرت في الشخصية العراقية وقادتها إما إلى الهرب من الواقع والانزواء بعيدا أو الانحراف نحو المقاومة الجسدية. وكثير من الروائيين العراقيين الذين عاشوا في الخارج قد عبروا تجربة المنفى في أعمالهم، وبينوا كيف أتت الهجرة بآثار سلبية على هويات الشخصيات. ومن تلك الآثار السلبية للهجرة إشكالية الانتماء التي تعاني منها الشخص المأزوم. 2003 ومن الروايات التي عالجت أزمة الهوية كثيمة رئيسية رواية" دسكولاند" لأسعد الجبوري ورواية "الأجنبية" لعالية ممدوح ورواية "صراع الأقنعة" لكلكامش نبيل و رواية "الجدار" ورواية "كيف تقتل الأرنب" ورواية "الكافرة" ورواية "عازف الغيوم" ورواية "الحياة لحظة" لإبراهيم سلامي ورواية "البلد الجميل" لأحمد سعداوي ورواية "امرأة القارورة" لسليم مطر والروايتان "حارس التبغ" و"الركض وراء الذئاب" لعلي بدر و رواية

246 - جميل الشبيبي، إشكالية الهوية في السرد العراقي المعاصر البحث عن هوية في وطن قتيل(رواية عجائب بغداد أنموذجا تطبيقيا)

"مرافئ الحب السبعة" لعلي القاسمي و الروايات "طشاري" و"سواقي القلوب" و"الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي ورواية "عجائب بغداد" لوارد بدر السالم–الأخيرتان موضوع الدراسة – وغيرها الكثير.

وتشكلت هذه الأزمة في الصراع الداخلي الذي يواجهها الفرد بين الهويتين، الحقيقية الأصلية والمكتسبة الجديدة كما تصورت في ضياع الهوية والانفتاح على الهوية الأخرى والتهجين الثقافي.

الصراع الداخلي بين الهويتين

قد جاء الواقع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي في 2003 مثقلاً بأعباء الأحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية. وتمكنت الرواية العراقية من تمثيل هذا الواقع، بخلق عوالم متخيلة تصاغ أدبيا وجماليا. وأصبحت أزمة الهوية اليوم من أخطر المشاكل التي تواجه المجتمع العراقي ومن الإشكاليات النائمة في مجال الرواية العراقية. قد أصبح العراق مركزا بارزا لهذه الأزمة لعقود طويلة حيث فرض على مواطنه أن يعيش معانا من الحروب الداخلية والقضايا الطائفية والتوتر الإقليمي والدولي الدائر حول الصراع على الموارد الاقتصادية ؛ واضطر إلى ترك موطنه ومحاولة صنع انتماءات أخرى جديدة وتصالح مع الحياة.

يتعرض المهاجرون لتغيرات جذرية في كيفية التعامل مع البيئة الجديدة أثناء الهجرة والانتقال من وطنهم . وإن مسألة الحفاظ على الثقافة الوطنية من جهة ومسألة التواصل البناء مع البيئة الجديدة من جهة أخرى تعتبران من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السكان الأصليين. بما أن الرواية من أوضح الإبداعات لتصوير التحديات التي يواجهها المهاجرون عند

اعتناقهم للهوية المزدوجة، تناول العديد من الكتاب العرب موضوع المهاجرين في أعمالهم الأدبية، رسموا فيها أزمات هوية المهاجرين والتناقضات الثقافية والاجتماعية والدينية التي تعرضوا لها في المهاجر. كما درسوا المشاكل التي تحدث للمهاجرين أثناء تنقلهم ومدى تأثير هذه الهجرة على هويتهم.

تتضح إشكالية الهوية في الروايات العراقية التي كتبت بعد التغيير العاصف عام 2003 الذي أصاب البنية الاجتماعية والسياسية في العراق وخرب مؤسسات الدولة، حيث يتجلى افتقاد الأمن مقرونا بانفتاح واسع للحريات الشخصية وظهور ما يسمى بالهويات الفرعية باعتبارها تمثيلا لمكبوتات مختفية إبان العهد الدكتاتوري السابق. تناولت الروايات العراقية إشكالية الهوية في كثير من نماذجها وناقشت ما يعانيه المهاجر المغترب من ضياع وعدم الشعور بالانتماء إلى موطنه الأصلي وإلى بلد اللجوء. كما صورت صراعا داخليا مع ذات المهاجر بين المحافظة على هويته الأصلية وثقافته الأولى وبين الانفتاح على هويته المكتسبة الجديدة وتقبلها والانسجام معها. ومن الروايات التي تتخذ من قضية الصراع بين الهويتين الهوية موضوعا محوريا لها رواية كم بدت السماء قريبة [247] التي عالجت فيها الكاتبة هذه القضية من خلال قصة طفلة من أب عراقي وأم عراقية. فعانت تلك الطفلة من ضياع هويتها الأصلية نتيجة اختلاف الثقافتين بين الوالدين إذ كان الأب يحرص على أن ابنتها تمارس العادات العراقية الأصيلة ولا تبتعد عنها في حين كانت الأم تكره تلك العادات وتصر على تعليمها للرقص وتمنع اختلاطها بأهل الريف.

247 - كم بدت السماء قريبة ،بتول الخضيري ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/ لبنان، 2009.

ضياع الهوية في المنفى

قد عالج المنجز الروائي العراقي قضية المهاجرين والمنفيين من أوطانهم. فالهجرة مرتبطة بشعوب منطقة الشرق الأوسط،بما فيها العراق. وهي في أغلب الحالات هجرة نفي وعقوبة، تسببت من الأوضاع المضطربة للمنطقة من الناحية السياسية. والمنفي من وطنه هو دائم الإحساس باللاانتماء،وشاعر بالتخبط الدائم في انتمائه لوطن؛ يعيش خارج خارطة أعراف أي مجتمع. وهو يدرك أن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام. كما فقد ارتباطه بعائلته، اضطرّته الظروف المضطربة أن يتركها ويبتعد عنها؛ مما قد دفعه على محاولة صنع حياته الجديدة في مكان جديد.

كما صورت هذه الروايات كثيرا من الشخصيات التي ضاعت هوياتها في المنفى الغربي. فهذه الشخصيات لم تعتبر الهوية العراقية شيئا أساسيا من مقومات كيانها وشخصيتها، وإنما سعت بكل الوسائل للانسلاخ منها. وبطريق تحقق الانفتاح على هوية الآخر والاندماج بثقافتها تمكنت الممارسة للمظاهر السلبية التي هي ممنوعة في مجتمعها العراقي الأصلي وإرضاءالذات[248]. وذلك يظهر لدى الشخصية الرئيسية في رواية عندما تستيقظ الرائحة لدنى غالي حيث تعجب بالمعاملة الإنسانية التي تتلقاها من قبل المجتمع الدنماركي الذي هاجرت إليه وترفض هويتها الأصلية. فهذا المجتمع يمدها بالثقة في نفسها ويشعرها بالخفة، وتتحرر من كل المعتقدات التي كانت خاضعة لها في بلدها الأصلي وتعرف باسم جديد، وتصر على تغيير حياتها بالكامل وتحاول مسح كل صور الماضي من ذاكرتها. وتكون مقلدة للمجتمع

248 - وسام علي محمد ورقية ناظم ظاهر،ضياع الهوية العراقية في المنفى الغربي، دراسة في ضوء النقد الثقافي ،كلية التربية للبنات ،جامعة كوفة

الأوروبي في كل شيئ وبكل شيئ وترى أن المجتمع الجديد أقرب لها وأفضل من الشرقي وتصل إلى مرحلة التجانس والتقارب الثقافي. فتنعم بالحرية الشخصية التي لم تجدها سابقا. فهذا التحرر هو ما ترغب به العولمة. فهي تسعى إلى أن يتحرر الإنسان من كل القيود ليبحث عن الحلم. وإن وجد حلمه تجانس معه ونسي هويته وماضيه وثقافته، وإن لم يجد حلمه بقي حائرا تائها يبحث عنه بلا هوية [249].

حينما يحدث ضياع الهوية يتمكن الانفتاح على الهوية الجديدة كما جرى لدى شخصية الرواية التي ذكرت آنفا. وبالعكس،في بعض الأحيان تشعر الشخصيات بضياع الهوية والانغلاق في المنفى أيضا. كما يصور في رواية الجدار من خلال معاناة الشخصية الرئيسية. حرمت من حقها من ممارسة التعليم في موطنها الأصلي. فلم يبق أمامها من سبيل سوى الهجرة من موطنها فانتفت إلى كندا. وتجلى موضوع ضياع الهوية بأجل وجوهه حينما تشعر أنها لم تستطع الانفتاح على المجتمع الجديد ولم تتمكن من الانسجام بالموطن البديل، لأنها لاتريد أن ينحرط أبناؤها في سلوكيات المجتمع الجديد التي تناقض تماما لما تربت ونشأت عليه. وهذا الشعور يصور في أفراد عائلة الشخصية الرئيسية أيضا.

التهجين الثقافي

ومن واقع العالم الراهن قضية الهجرة التي تتمثل في الانتقال المستمر والمكثف للأفراد والمجموعات من مكان لآخر سعيا للعيش الآمن. فهذه الهجرة طبيعيا، تقتضي خطاب

249 - جعفر جمعة زبون علي وسمير كاظم الخليل،خطاب العولمة في الرواية العراقية 2003 - 2013، دراسة، كلية الآداب،الجامعة المستنصرية،2018

التعايش بين طرفي الاختلاف الثقافي بأولوية مهمة على الانسانية العالمية. كما أن العيش في المهجر يتطلب من الشخص أن يتخلي عن ثقافته وعاداته وتقاليد بلاده وأن يذوب تماما في ثقافة الدولة المستضيفة. ويصير تأثير ثقافة البلد المستضيف على كل مهاجر أكبر من ثقافته الوطنية.

يعد التهجين الثقافي ظاهرة الانفتاح تنتج إزاء القدرة على التعايش مع الآخر المختلف ثقافيا، تنطلق من ثقافة الإنسانية العالمية. وهو ظاهرة لا ترفض أي ثقافة ولا تنغلق على أي ثقافة. فتمثل هذه الفكرة ضربا من ضروب الظواهر التي تجاوز الانغلاق تجاه الآخر والذي ينهض عليه الفكر الهووي، تأثرا بحركات التثاقف والتمازج الإنساني والنمط من الفضاء الحر.والذين يشجعون التهجين الثقافي يعتقدون أن العالم يتطلب التعامل الثقافي والثقافات المهجنة نظرا لهجرة ما وراء الحدود الوطنية وتوسيع الاتصالات وبالتالي يدعو إلى اقتراب الشعوب و الدول من بعضهما البعض.

ويأتي التهجين الثقافي ظاهرة مضادة لمفهوم الهوية، لأنه يهدف تأسيس الهوية العالمية التي تقوم على التنوع. لكنه لا يشير إلى إلغاء الخصوصية المتميزة كما تفعل العولمة[250]، حيث أن العولمة تنشط لتحقيق الاستيلاء على الهويات والثقافات والحضارات عالميا، وتهدف إلى إلغاء جميع الحدود الفاصلة الثقافية والجغرافية والدينية والتاريخية بين الشعوب والأمم . وكنتيجة للتهجين الثقافي، يرى الإنسان موطنه في كل مكان، كما لا يتعصب لأي ثقافة أو

250 - رنا فرمان محمد ، الهجنة والإنسان الأخير –الحفيدة الأميركية أنموذجا،دراسة ،مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، ج18، ع4 ، كلية الآداب،جامعة القادسية، 2015.

مكان. وإن كان متمسكا بهويته الأصلية الأولى ومكوناته التي نشأ عليها ولمكانه الذي ولد فيه، إلا هذا التمسك والانتماء لا يؤثران على إحساسه المهجن تجاه الثقافات المختلفة والأماكن الأخرى. وهذا الموضوع يتمظهر في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي وتصور فيها ملامح الهجنة الثقافية التي اتخذتها الشخصية الرئيسية.

الفصل الثاني: أزمة الهوية في "الحفيدة الأميركية"

تعرض رواية "الحفيدة الأميركية" الجوانب المختلفة من أزمة الهوية لدى البطلة زينة. وهذه القضية بارزة في شخصيتها عندما تجد نفسها متشظية بين مجتمعين مختلفين قيميا ومواجهة لصراع شديد لأجل البقاء، وأثناء هذا الصراع تبحث الحفيدة زينة عن انتماء ومؤازرة لجانبها الوجداني.

الهوية الأصلية والهوية المكتسبة

تصل زينة العراقية الأصل كمجندة أميركية إلى العراق حينما تعرّض بلدها الأصلي للغزو الأمريكي. قد عملت دوافع مؤثرة في اختيار قرارها للعمل كمترجمة في الجيش الأميركي. وذلك بوقوع أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 اصطنعت زينة لنفسها سببا، يجعلها تقبل العمل كمترجمة لقوات الاحتلال. فكرت في أن تردّ الجميل لأميركا التي احتنضتها ومنحتها الجنسية، حينما نشرت القنوات الأميركية أن المشاركة في في الجيش الأميركي هي مهمة وطنية تلزم جميع الأميركيين. ولما بدأت الحملة العسكرية قامت وزارة الدفاع بالإعلانات طلبا للمترجمين. استجابت زينة لهذه الإعلانات والتحقت بالجيش الأميركي. رجعت زينة إلى العراق بصفة المترجمة لتقوم بمهمة جليلة: تحرير العراق من الحكم الطاغي المستبد ومساعدة الشعب العراقي. واختلقت هدفا يلائم ذلك: "إنني ذاهبة في مهمة وطنية. جندية أتقدم لمساعدة حكومتي وشعبي وجيشي، جيشنا الأميركي الذي سيعمل على إسقاط صدام وتحرير شعب ذاق

المر"[251]. وتخيلت أن مشاركتها في هذه المهمة ستجلب السعادة لشعبها الأصلي:" مساكين أهل العراق، لن يصدقوا أعينهم حين تتفتح على الحرية، حتى الشيخ العجوز منهم سيعود ولدا ضغيرا، وهو يرشف حليب الديمقراطية ويتذوق طعم الحياة كما عشتها أنا هنا"[252].

فهي تأتي إلى العراق مقتنعة بتبريراتها بدون تناقض أو اختلاف. ولا تبدو في هذه المرحلة أية مشكلة لزينة مع الهوية الأميركية المكتسبة، بل على العكس فهي تشعر تجاهها بالامتنان وتراها هوية بديلة لهويتها العراقية الأصلية مختلفة في أسلوب العيش ونمطه:"ملأني الفخر بعد أن أعطوني البدلة المرقطة وتأكدت من أنني ذاهبة إلى المهمة التي ستجعلني أستحق المواطنة الأميركية. إنها فرصتي لرد الجميل للبلد الذي احتضنني منذ أول الصبا وفتح لي ولأسرتي صدره"[253].

والسبب الآخر الذي يجعلها تقبل العمل كمترجمة لقوات الاحتلال هو الدافع المالي. اضطرت زينة إلى أن تقبل العرض الذي قدِّم من قِبل البنتاغون، والذي قيمته سبعة وتسعون ألف دولار في السنة، بالإضافة إلى خمسة وثلاثين في المائة مخصصات خطورة ونسبة مماثلة لأتعاب المهنة ومصاعبها، حتى يصل إجمالي قيمة العقد إلى مائة وستة وثمانين ألف دولار سنويا. إن هذا الرقم، كما تتخيل زينة رقم يكفي لوداع حي سفن مايل البائس إلى غير رجعة، ويكفي لدفع مقدم بيت فسيح وسط حدائق ساوثفيلد واقتناء سيارة جديدة بـ

251 - المصدر السابق ، ص- 18

252- المصدر السابق ، ص-18

253 - المصدر السابق ، ص- 89

«الكاغد». كما أنه يكفي لإرسال أخي يزن الذي صار اسمه جايزن، إلى مصحة لعلاج الإدمان وإدخاله، بعد ذلك، إلى الجامعة[254].

فوجدت زينة نفسها مرغمة على قبول هذه الوظيفة التي ترى في مبلغ عقدها طوق نجاة لها ولأمها ولأفراد عائلتها كلهم: "سنة واحدة أو سنتين، بعدها تعتدل الأمور. وأغسل صدر أُمّي من سخام كل السجائر الرخيصة التي دخنتها بإفراط وهي تنتحب، كل ليلة، ولا يحجب الحاجز الخشبي بين غرفتينا نحيبها. كانت تبكي، أحياناً، بدون صوت، مثل تلفزيون محروق اللمبة. وكنت ألمح بلل خديها وأعرف أن النساء لا يبكين من الهجران فحسب، بل من شحّة ما فى اليد.. النقود سعادة أخرى. وأنا سأجلب السعادة لوالدتي. .. لن أدع الفرصة تفوت"[255].

الهوية الوطنية وهوية الاقليات والمغتربين

تشير الرواية عبر نصوص متعددة إلى نقاط مهمة متعلقة بالهوية خاصة بشأن الوطن والأقليات والمغترب.

إن كل عراقي يشعر بهويته الوطنية العراقية، ولو كان في المغترب، يسعى أن تبقى تلك الهوية ولا تهلك في التأثر بما جاء به الاحتلال، لأنه يرى أنها تمتلك بعدا ثقافيا وحضاريا بعمق تاريخي مترابطا ترابطا وثيقا بين جميع أطيافه وهوياته المتفرعة. وتظهر نقطة مهمة مضيئة في هذه الهوية حيث تقول زينة: "لم أسمع والدتي تتحدث بغير اللهجة العراقية في البيت. رغم أن أبي كان يريدنا أن نتعلم أيضا الآشورية، لغته الأم. أما الإنكليزية، فظلت لغة الشارع والعمل

254- المصدر السابق ، ص- 16

255 - المصدر السابق ، ص- 16- 17

ونشرات الإخبار. نلوي فكوكنا وننطق بها، لحظة نضع الأقدام على عتبة المنزل. ..... حتى إذا عادت إلى موقفها المسقوف بالجنكو أمام المبنى لبسنا لغتنا الأخرى ودلفنا بها إلى البيت.

- كيف لم تنس ابنتك لغة بلادكم؟

تسأل الجارات وهن يسمعنني أتكلم في الهاتف مع ساهرة، فتبتسم أمي وتنظر إلي باعتزاز يقارب الشكر. كم كانت تتمنى لو أعطتني لقب عائلتها الموصلية العريقية، زينة بهنام الساعور"[256].

تبين الكاتبة أن زينة، حتى وهي خارج العراق، تحاول أن تتمسك تمسكا واعيا لهذه الهوية وأن اللاتي يسمعنها يستغربن من تمسكها بلغتها وافتخارها بها.

وفي بعض النصوص تمثيلات للقومية الأقلية مثل الكلدانيين والآشوريين، تبرز حيث تذكر تعدد القوميات في العراق والتخلص من العقد والحواجز بين القوميات:" لو يعرف مهيمن بأي لغة كان يحدثني أبي، وعلى أي أناقة بلاغية تربيت!

أحكي له وأنا أضع يدا مسترخية على ساعده النافر الأعصاب، عن شغف المذيع صباح بهنام بالعربية وولعه بالشعر القديم، عن محفوظاته من قصائد الغزل التي أدار بها رأس أمي فما عادت ترى رجلا غيره من البشر، وحين أصرت على الاقتران به قال لها جدي :

- هذا آشوري، أش جابو على العرب؟

- آشوري بلوشي برتكيشي... أريده ولن أتزوج غيره.

256 - المصدر السابق – ص-21

-أمي الجريئة بين بنات العائلة اختارت ودفعت الثمن"[257].

فتوضح الرواية أن بتول تدافع عمن تحب مهما كانت هويته بين الأهل الرافضين له بسبب هويته وأن عليها أن تدفع ثمن أفعالها هذه، بما أن الحب لا يعرف اختلاف الهويات أو اللغات. كما تكشف محاولة زينة لإغراء مهيمن، شقيقها بالرضاعة والذي نحوه وقع حب في قلبها، تلك المحاولة تهدف خلالها أن تدريه أنها لا تزال ترتبط بهويتها اللغوية وتفتخر بها، ولو كانت قضت سنين في أمريكا وحصلت على جنسيتها واتخذت ثقافتها.

حينما تصف الرواية حالة العراقيين المغتربين تأتي الكاتبة بإشارات إلى أن الهوية العراقية تبقى في ذاكرتهم. وهذا يبدو واضحا حيث تقول زينة عمن رأتهم في شوارع مدن أمريكا : "هكذا كنت أراهم أيضا،في أعراس ديترويت وشيكاغو وسان دييغو، مغتربين لا يريدون أن يقطعوا الحبل السري مع الأرض التي جاؤوا منها، مستعدين لهز الرؤوس وبلل العيون مع أول نغمة. «اللي مضيّع وطن وين الوطن يلقاه؟». يتلذذون بحرقة القلوب وكأنها سرّ أسرار البهجة"[258].

كما يوجد في النصوص الروائية منظوران فيما يختص بالغربة. أولهما منظور تقليدي مرتبط بالمكان، تمثله الجدة رحمة. فهي امرأة متشددة في حب العراق، تصر على البقاء وحيدة في بيتها، بعد أن تركه كل أفراد أسرتها من الأبناء والأحفاد:" تذكرت رحمة القديس كريستوف شفيع المسافرين وطفرت دميعة سهلة من عينها. «لماذا تطشر أهالينا في بلاد الله الواسعة يا ربي؟». كانت تشتاق إلى أبنائها المهاجرين ولا تغفر للزمان الذي جعلها تنتهي وحيدة في البيت

257 - المصدر السابق – ص- 128

258 - المصدر السابق – ص- 126

الكبير، كأنها تعيش عمراً زائداً لا طائل من ورائه. فلو كان القدر رحيماً بها لسلب روحها في اللحظة ذاتها التي لفظ فيها زوجها يوسف أنفاسه"[259]. والمنظور الثاني المرتبط بالتفاعل على مستوى عالمي، تمثله زينة. وهذا بمفهومه الوطني الواسع يبدو حيث تقابل مهيمنا : " يلقي علي مهيمن بنظرياته عن الشرخ الذي تحفره الهجرة في النفوس. يسألني عشرات الأسئلة عن حياتي في أميركا. إنه مهموم لأنّ خمسة ملايين عراقي تركوا الحياة التي يعرفون ومضوا إلى المجهول. يقول إن الهجرة مثل الأسر؛ كلاهما يتركك معلقاً بين زمنين فلا البقاء يريحك ولا العودة تواتيك. أما أنا فأرى الأمر بطريقة مختلفة. أقول له إن الهجرة هي استقرار هذا العصر، والانتماء لا يكون بملازمة مسقط الرأس"[260].

الهوية الثقافية

تظهر ملامح الهوية الثقافية بشكل بارز في ثقافة اللغة، حيث تعتبر اللغة بمثابة "وعاء الثقافة"[261]. فهي تحمل في طياتها تاريخ الأمة وأدبها من النثر والشعر، وتراثها الفكري من العلوم والمعارف. لذا، تُعد اللغة العنصر الأساسي والأساسي في بناء ثقافة الأمة، حيث تمنح الفرد الانتماء الحقيقي لمجتمعه الوطني، وأساسا للتواصل والتفاعل بين الأفراد والشعوب. بالإضافة إلى دورها الفعّال في الحفاظ على هوية المجتمعات من الانحلال والتدهور، إذ تمثل مظهرا مهما من مظاهر السلوك الثقافي والاجتماعي. في النهاية، تعتبر اللغة مرتكزا أساسيا لوجود الإنسان ولإثبات هويته وانتمائه لثقافة مجتمعه.

---

259 - المصدر السابق ، ص-61

260 - المصدر السابق ، ص-- 138

261- محمد عبد الرؤوف عطية،التعليم وأزمة الهوية الثقافية، ص- 19 ، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة،2009

توظفت ثقافة اللغة حينما أتت الروائية بشيئ من الموروث الشعبي من خلال الأنشودة التي توارثتها البطلة عن أجدادها والتي أفصحت عن طبيعة البيئة بل المكان الذي ترعرعت فيه:

"ديل. .. ديل . .... ديلاني

بعشيقة وبأحزاني

راح بابا ع الضيعة

اشترى كشمش وقضامي

أكلتها الدامي

طلع زوجها حرامي. .. "

وهذا التناص الفولكلوري / الشعبي أبرز انحرافات لغوية تجسدت في اللهجة العامية / اليومية التي بُنيت عليها الأنشودة، والتي شكلت هوية انتماء مكاني وعرقي. فالراوية تذكر بعشيقة وبأحزاني [262] كما تذكر محفوظات متوارثة من أيام الموصل والبيت الحجري القديم الواقع على جرف النهر، بيت جرجس الساعور، جدها الأكبر الذي أخذ لقبه من عنايته بكنيسة الطاهرة. وتبرز ثقافة اللغة في التمسك باللغة الأم رغم سيطرة لغة أخرى حينما تقول: " لم أسمع والدتي تتحدث بغير اللهجة العراقية في البيت، رغم أن أبي كان يريدنا أن نتعلم أيضاً الآشورية، لغة الأم. أما الانكليزية، فظلت لغة الشارع والعمل ونشرات

262- قريتان عراقيتان تقعان في شمال محافظة الموصل.

الاخبار"[263]. أكدت الراوية هنا هويتها الثقافية من خلال ارتباطها الفريد باللغة أو اللهجة العراقية كما بينت النصوص الحكائية كيفية الحفاظ على تلك الهوية.

في الوقت الذي تتجاذب فيه ذات البطلة بين لغتين، تنقل النصوص صوتا آخر على لسان كالفن الأميركي، صديق الراوية:

- دونت ووري ماي دير. .. .. نحن نتناقش في السياسة

- بوليتيكس، دائماً بوليتيكس ! "[264]

كما يتضمن النص استخدام اللغتين العربية والأمريكية في سياق واحد، لإظهار الاختلاف بين الهويتين الثقافتين الموجودتين، كما يوضحه النص الآتي:

"مددت يدي وتلقفت يد ماما المتيبسة، بينما الجموع تضع أيديها على مواضع قلوبها وتلهج بالنشيد الوطني الذي تعزفه فرقة للجاز: «يا رب احفظ أميركا... غاد بلس أميركا". وكان صوت السيدة العراقية بتول الساعور، أمي، هو النشاز الوحيد الذي يولول بالعربية:«سامحني يا أبي. .. يا با سامحني".[265]

تعج الرواية بالحوارات السردية التي تتضمن التداخل اللغوي، مع الحرص على إبراز ثقافة اللغة الأخرى، كما يظهر في قولها حينما تشارك في التفتيشات والمداهمات العسكرية:

- شسمك ؟

263- المصدر السابق ، ص- 21

264 - المصدر السابق ، ص- 21

265 - المصدر السابق ، ص—29-30

-محمد خليل

-اسمك الكامل

-محمد خليل محمد عياش العبيدي

....

ثم بانت من الباب المفتوح امرأة مكشوفة الشعر وتوجهت نحوي بالكلام بنبرة ملتاعة:

- دادا، والله رجلي ما مسوّي شي. .. والله ما مسوّي شي.

.. ماكو شي لا تخافين. .. مجرد تحقيق بسيط.

.....

سأله الرقيب هل يعرف فلانا، صاحب الاسم المكتوب في الورقة، فأجاب بالانكليزية : " نو "

-Do you speak English ?

-. Yes I do

اختار الباحث البعض من الحوار الطويل الذي يكشف عن جوانب ثقافية خفية تجسد الهوية اللغوية الثقافية التي تنتمي إليها البطلة. ومن المثير للاهتمام أن الكاتبة قدمت الحوار على لسان الرقيب بالإنجليزية كتابة ونطقا، ليس لإظهار جهله بلغتها الأم، بل لتسليط الضوء على الهيمنة والسلطة اللغوية التي يمارسها المستعمر ضد الشعوب المسالمة، وعلى ما ينطوي عليه من إقصاء وتهميش لهم. بالإضافة إلى ذلك، حرصت الراوية

على توظيف اللهجة العامية العراقية، مما يعكس انتماءها الثقافي لبلدها الأم واعتزازها بهويتها وعروبتها، رغم أنها تمثل هوية البلد المحتل وتحمل جنسيته. إلا أن هذا لم يمنعها من الدفاع عن ثقافتها اللغوية حتى وإن كانت باللهجة العامية.

الصراع بين الهويتين

لم يكتف المبلغ الهائل الذي يعده البنتاغون لمن يختاره لوظيفة الترجمة بالجيش الأميركي، على أن يطمس المشاعر المتوارية في منطقة نائية من أعماق زينة. فلم تتفرّغ بصورة كاملة من ذاكرة كانت تجلبها أحيانا إلى الوراء، وتسبب فيها اضطرابا. فمع بداية عملية الغزو الأميركي على العراق بعدما حصل الرئيس على موافقة الكونغرس، طرأت لديها مشاعر مقلقة: "رغم حماستي للحرب أكتشف أنني أتألم ألما من نوع غريب يصعب تعريفه. هل أنا منافقة، أميركية بوجهين؟ أم عراقية في سبات مؤجّل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو من سنوات؟ لماذا أشعر بالإشفاق على الضحايا وكأنني تأثرت بالأم تيريزا، شريكتي في اسم القديسة شفيعتي؟ كنت أنكمش وأنا أشاهد بغداد تقصف وترتفع فيها أعمدة الدخان بعد الغارات الأميركية. كأنني أرى نفسي وأنا أحرق شعري بولاعة سجائر أمي، أو أخز جلدي بمقصّ أظافري، أو أصفع خدّي الأيسر بكفي اليمنى"[266].

ولما انتقل مكان عمل زينة من تكريت الى الموصل، سرعان ما ينمو هذا الاضطراب والقلق في شخصية زينة فيما يتعلق بانتمائها للهوية الأميركية المكتسبة. وذلك بعد أن تقابل الجدة رحمة جرجيس ساعور، تلك المسيحية الكلدانية. فتأتي الجدة ملبية دعوة حفيدتها التي لا تستطيع

266- المصدر السابق ، ص-23-24

الخروج لرؤيتها، برفقة حيدر السائق شقيق زينة بالرضاعة، وشقيق مهيمن المنتظم في جيش المهدي. وهما ابنا طاووس تلك المرأة الشيعية البسيطة التي كانت تسكن في مدينة الثورة. وقد ظلت هذه المرأة المسلمة هي وأبناؤها يرافقون الجدة حتى نهاية حياتها. فتفكر كيف يكون موقف النقيب دونو فان عندما يعرف ان لزينة المترجمة أخا في مليشيا جيش المهدي؟

تجد زينة نفسها في مفترق طرق حيث يتعارض موقفها الشخصي تجاه أمريكا كوطن لها، تشعر بأن عليها أن ترد الجميل له، مع موقف جدتها التي لا تزال تعيش في العراق، ذلك الموقف الوطني الذي يعبر عن تمسك من عاشوا في العراق بتاريخهم الغني عبر الزمن، حيث شربوا من مياهه واستفادوا من ثرواته. فلم تجرأ زينة أن تفصح لجدتها عن حقيقة عملها مع الجيش الاميركي لئلا تفجعها. فتارة تربطه بالأمم المتحدة. وتارة أخرى تربطه بمنظمات إنسانية جاءت لتقوم بخدمة للشعب العراقي. ولكن الجدة اكتشفت على أن حفيدتها مترجمة للاحتلال وعميلة له، فراحت تؤنبها :"يا حيفي عليك يا زيون. ..ياويلي على اصلك"، فردت زينة مبررة عملها مع الجيش الأميركي: "نحن نقوم بعمل جيد في هذا البلد صدقيني". وتأتي الكاتبة بإشارات توحي بعدم رضا الجدة على عمل حفيدتها التي تخلقت بأخلاق الامريكان. ومن تلك الاشارات محاولات الجدة رحمة لإعادة حفيدتها إلى جذورها وعراقيتها، فتذكرها الترانيم والتجارب التي ألفتها وهي طفلة، وتعطيها بدلة جدها يوسف الساعور لترتديها، لعلها تعود إلى رشدها بعدما أن صارت خضراء[267]، من أهل تلك المنطقة الخضراء، حينما لمعت أزرارها.

267 - إشارة إلى تغير أخلاقها وتأثيرها بالسلوك الأميركي ، ومقر وظيفتها في الجيش كانت في معسكر بمنطقة تسمى "المنطقة الخضراء"، فتشير الكاتبة إلى أن زينة التي تسكن في المنطقة الخضراء يمكن أن تتأثر بأخلاقيات فئة تلك المنطقة.

تقص الجدة عليها قصصا عن الوطنية والقومية، وعيناها وقلبها يقولان :"هل يعقل في هذا الزمان المجنون ان تنجب بزة العقيد العراقي سترة ضد الرصاصة صنعت في أمريكا؟"[268]. وتتمنى في أن يأخذها البعض ويحسنوا تربيتها. كما تشعر بالخذلان والعار بسبب عمل حفيدتها مع المحتل. وتتفكر أن هذا العمل سيبقى وصمة عار في تاريخ العائلة لأن زينة قد خالفت كل المفاهيم والقيم والتقاليد والثقافات المرجعية التي تمتلكها الجدة.

تصف الكاتبة زينة بلقب الخضراء كما أتت بحديث نبوي في الصفحة الأولى من الرواية. وذلك عندما يبدأ القارئ في قراءة الصفحة الأولى من الرواية يواجهه تحذير نبوي صارم "إياكم وخضراء الدمن". يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتنبيه إلى خطورة المرأة الجميلة اللعوب المنحدرة من أصل سيء. عندما سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى "خضراء الدمن"، أجاب "المرأة الحسناء في المنبت السوء". يُظهر ذلك حرص النبي على عدم الوقوع في فخ جمال المرأة، حيث يمكن أن يكون جمالها سطحيًا ويكمن الفساد في أصلها. يتناول حديث الرسول هذا معنى التحذير من الانجذاب للجمال الذي قد يكون غير مرتبط بأصل طيب، مُشبهًا المرأة الجميلة التي لا تنحدر عن أصل كريم بالنبتة الفارعة في مزبلة. يُحذِّر القول النبوي بشكل صريح من الاعتماد على مظاهر جذابة ذات أصل فاسد. وفقًا لتفسير عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، فالقصد هو "حُسْنُ الظاهر في رأي العين مع فساد الباطن، وطيبُ الفَرع مع خبث الأصل"[269].

268 - المصدر السابق ، ص- 90

269- خواطر حول الأحفاد الأميركيين - جريدة الرياض، https://www.alriyadh.com/808248، تاريخ المراجعة: 2023/2/7

فترمز الكاتبة إلى أن النضارة يجب ألا تكون ستارا يحجب رؤية أصل فاسد. إن الجذور والانتماء تحتل موقعا مرموقًا في تاريخ الأمم، حيث يرتبط بذاكرتها الجماعية، وتسعى جاهدة لاستبعاد كل ما تعتبره غريبا عنها. غير أن الحداثة تمزّق كل نسيج موروث. فبتقديم هذا الحديث، تريد الكاتبة إلى توجيه الأحداث نحو هدف معين. تربط الرواية بين قول النبي ورحلة الشخصية الرئيسية، زينة وبين المنطقة الخضراء التي ظلت مقرًا للقوات الأميركية خلال الاحتلال العراقي، حيث كانت زينة تعمل كمترجمة لأغراض عسكرية. المنطقة تظهر كمغرية ولكنها في الواقع ضارة. في عودتها مع الأميركيين، لم يكن أحد في العراق يهتم بحب زينة، حيث رُفِضَت بشكل قاطع حتى من قبل جدتها رحمة.

عندما تصل إلى أعلى درجات توتر صراعاتها، تجد نفسها في صراع دائم بين هويتها العراقية وانتماءاتها الجديدة. تتعامل مع واقعين متناقضين، حيث كل واحد منهما يحاول أن يجذبها إليه. لقد تساءلت مرة تساؤلا حرك في نفسها: " هل أنا منافقة، أمريكية بوجهين ؟ أم عراقية في سبات مؤجل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو من سنوات؟ لماذا أشعر بالإشفاق على الضحايا وكأنني تأثرت بالأم تريزا... ؟"[270]. ومن هذا السؤال تبدو فكرتها التي ما كانت تعتقد بها قبل مجيئها الى العراق، حينما عاشت لأكثر من خمسة عشر عاما في الولايات المتحدة واندمجت في عادات وتقاليد وثقافة الأمريكيين. وذلك عندما عادت إلى العراق كجزء من القوات الأمريكية بعد الاحتلال، واجهت مثل هذه التصادمات بهذا التأثير الأمريكي عليها وبين الذكريات الوطنية لجدتها. ولم تكن هذه التحديات تقتصر على ذلك فقط، بل تضمنت

270- المصدر السابق ، ص- 23

أيضًا تصادما مع مهيمن، أخيها في الرضاعة الشيعي الذي ينتمي إلى جيش المهدي المقاوم، بالإضافة إلى مواجهتها للواقع الصعب في العراق بعد الاحتلال. فيلاحظ أن هذه العوالم الثلاثة التي واجهتها من موقف الجدة ومن مقاومة مهيمن ومن الواقع المؤلم في العراق قد ساهمت في إعادة فكرة زينة المتعلقة بهويتها العراقية بعد أن تأثرت بالحضارة الأمريكية.

ملامح أزمة الهوية

يمكن أن تكشف ملامح أزمة الهوية التي عانتها الشخصية الرئيسة زينة عبر النقاط التي أشارت إليها الرواية. وتتمثل هذه النقاط في النصوص اللاحقة :

1- الإحساس بالحزن والاستياء

بينما دخلت العراق، شعرت بموجة من الحزن تغمرها. تتذكر وتقول: "ديل... ديل... ديلاني، بعشيقة وبأحزاني، تهزني جدتي جيئة وذهابا بعد أن تجلسني بمواجهتها في حضنها،. ... محفوظات متوارثة من أيام الموصل والبيت الحجري القديم.... بيت جدي جرجس الساعور... أخذوني يوما إلى هناك وأنا صغيرة.... أحببت أقاربي الموصليين ذوي الشعور اللامعة... كانو يزورونا في عيد الميلاد... تذكرت الترنيمة ونحن في الرتل الذي قطع بنا الطريق المستمدة من الموصل إلى القرى المحيطة بها"271. وهي تعبير ينبع من عمق مشاعرها وأحاسيسها. يختزل هذا التعبير مشاعر الحنين والألم اللذين يحيطان بها. يتبادر إلى ذهنها صورة جدتها العجوز، التي كانت تهزها مشاعر الحنين والفراق عند كل مرة تلتقي فيها أو تفترق. هذه المشاهد تحمل في طياتها تراثا عريقا يمتد إلى أيام الموصل والبيت القديم الحجري، بيت جدها جرجس

271 - المصدر السابق، ص-11

الساعور. تتدفق الذكريات إلى ذهنها، وتستحضر ذلك اليوم الذي زاروه فيه وهي صغيرة. يرتبط قلبها بأقاربها الموصليين ذوي الشعور العميق واللامع، الذين كانوا يزورونهم في عيد الميلاد، مضيئين أوقاتهم بوجودهم الدافئ. تتذكر تلك الترنيمة التي كانوا ينشدونها وهم يسيرون في رتل متصاعد، وتخيم على تلك اللحظات طيات الطريق الذي جمعهم والذي امتد من الموصل. تسترجع الذكريات بيقظة، مغمورة في حنينها إلى أيام طفولتها ولحظات الصبا، وتخيل الرتل العسكري الأميركي وهو يمر بنفس الطرق التي شهدت بدايات حياتها، محملا معه رموز الماضي ومشاهد البدايات.

في جهة أخرى، تروي قائلة: "مررنا ببعشيقة فوقفت الفتيات أمام البيوت ينظرن إلينا،... لم يكن على وجوههن ما يكشف عن نوع مشاعرهن، لكن أيا منهن لم تكن تبتسم أو تلوّح بمنديلها، أو تتطابق مع ما كان في خيالي من مشاهد لأفلام أميركية عن الحرب العالمية الثانية... مررنا برجال ذوي شوارب كثيفة.. يرمقون رتلنا بنظرات من نار.. كنت أريد أن أتباهى أمامهم بأنني منهم، سليلة منطقتهم، أتكلم لغتهم بلهجتهم،. .. لكن كل ذلك كان مخالفا للتعليمات، إن كلامي ثرثرة قد تعرّضني وفاقي للخطر، والتعليمات تريدني خرساء. لذلك تضايقت، للمرة الأولى، من بزتي العسكرية التي تعزلني عن الناس. .. وعلي أن أكون ابنتهم وعدوتهم في آن واحد، وأن يكونوا هم، في الوقت عينه، أهلي وخصومي"[272]. فيتضح من هذه العبارات أن زينة كانت تريد أن تبرهن لأهل وطنها الأصلي أنها جزء من منطقتهم، رأت في عيون مواطنيها تلك النظرات المليئة بالتوجس والحقد، تلك النظرات التي اعتبرتها دليلا على أنهم

272 - المصدر السابق، ص-13

ينظرون إليها باعتبارها محتلة وليست محررة. غير أنها عاجزة عن تعبير إرادتها، لأن الكلام الزائد قد يعرضها ورفاقها للخطر. كما أنها كانت تشعر بالإزعاج للمرة الأولى من الزي العسكري الذي يفصل من انتظموا في الجيش عن المواطنين الأصليين، أولئك الذين يشكلون هويتها الأساسية وتحس بأنها محاصرة بين أن تكون ابنتهم وعدوتهم في الوقت نفسه.

تواجه زينة صدمة مفاجئة لا بد لها من التعامل معها: ابتعادها عن أهلها، وضرورة مواجهة نظراتهم الاستنكارية. وهي تفصح قائلة: " من يومها بدأت أعي إصابتي بأعراض داء الشجن وأتعايش معه ولا أبحث له عن دواء.

كيف أقاوم الداء الذي أعاد إنجابي، وهدهدني، وكبّرني، وربّاني، وأدبني فأحسن تأديبي؟"[273]

وعند رجوعها من العراق بدأت تشعر بأعراض ما يُعرف بداء الشجن، وعاشت معه بدون أن تبحث عن علاج. لا يمكن لها أن تصارع هذا الداء الذي يبدو كأنه يولدها من جديد ويهزها ويشعرها بالقدرة على البناء والتأديب الذاتي. إنها ترى أنه قد جعلها تعيش لحظات من السعادة وتتذوق مرّ أحزانه. ينجب الشجن لها نسخة جديدة من نفسها، تمتاز بقدرتها على أن تقوم بتأديبها بطريقة متجددة. وهذا الشجن مع أنه يثور في قلبها لا يسبب لها قلقا، لأنها مستعدة لتتقبل التنوع والاختلاف بروح متسامحة. وبمجرد أن وصل شعور زينة إلى مستوى داء الشجن، تغيرت الكثير من أفكارها، وتصوراتها للعالم، وحتى نظرتها للحياة عموما. وتتخيل أن الشجن لو كان شخصًا، لما قامت بقتله، بل أنها تطالب ببقائه إلى الأبد، وأنه شعور يحفّزها ويصقل شخصيتها ويزيّن نفسها ويلقِّنها دروسا قيّمة.

273 - المصدر السابق، ص- 15

يبدو الاستياء والندم على وجه زينة حينما تسمع مزاح زملائها الجنود الأميركان في محاولتهم تمثيل مراسم عاشوراء، إذ أظهرت ردا قاسيا معهم عبر عرضها عليهم تمثيل حركات المصلين أمام حائط المبكى، فتقول: " رأيت شون وهاملتون وبيل يتسلّون بأداء فصل تمثيلي، وسط حشد من المجندين والمجندات الذين يقهقهون بأصوات صاخبة... كان الأول يحمل مضرب بيسبول ويوجّهه عموديا إلى جبهته. والآخر يولول وهو يرفع يده اليمنى ويهوي بها على صدره في إيقاع منتظم. أما ثالثهم فكان يقفز في مكانه وهو يمرر" هيدا. ... هيدا...." . وفهمت أن بيل كان يصرخ "حيدر. .... حيدر".....

لا أدري ما دهاني، فالمزحة تبقى في نهاية الأمر مجرد مزحة....

- تعال يا شون نؤدي تمثيلية المصلين أمام حائط المبكي[274].... مثل اللعب الأوتوماتيكية....

تطلع الجميع نحوي باستغراب.....

-كلنا نمزح. ..... أنت معنا أم معهم؟" [275].

كانت قد اعتادت ثقافة أبناء العراق من مراسم وطقوس وشعائر دينية، فبقايا ثقافتها العراقية قد امتعضت من مجرد مزحة أميركية وتقليد هازئ لما رأوا من مراسم عاشوراء.

274 - حائط المبكي يعتبر من أشهر معالم مدينة القدس، ولهذا الحائط مكانة كبيرة عند أتباع الديانتين الإسلامية واليهودية .إذ يُذكر في بعض المصادر الإسلامية على أنه الحائط الذي قام الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بربط البراق إليه في ليلة الإسراء والمعراج. يعتبر اليهود الحائط الأثر الأخير الباقي من هيكل سليمان. هو أقرب نقطة من مكان الهيكل التي يمكن لليهود الصلاة فيها حسب الشريعة اليهودية العصرية. وأطلق عليه اسم «حائط المبكى» نسبة إلى الطقوس التي كان اليهود يؤدونها قبالة الحائط. أصبح الحائط مصلى يهوديا وأهم المعالم اليهودية الدينية.

275 - المصدر السابق، ص- 115

فاستفزتها ضحكات المجندين رغم أن الدين لم يكن دينها، وتصرفت مثل أي متطرف غيور على العقيدة.

تستخدم الرواية مجموعة متنوعة من التقنيات لتبين درجات صراع الهوية الذي تلازمه زينة. ومن بينها استخدام المونولوج[276] والذي من خلاله تطرح زينة العديد من التساؤلات، فتقول: "ورغم حماستي للحرب، اكتشفت أنني أتألم بألم خاص، ألم غريب يصعب تعريفه. هل أنا منافقة أمريكية بوجهين؟ أم عراقية في سبات مؤجل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو منذ سنوات؟ لماذا أشعر بالإشفاق على الضحايا..؟.... ولماذا لا أستطيع الجلوس في مقعدي لمدة خمس دقائق؟ أقول للأخرى التي هي أنا إن هناك أطفالا يفزعون وأبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد....."[277].

بالإضافة إلى تقنية المونولوج التي تسلط الضوء على تقاطع المواقف وتناقضها، استخدمت الساردة تقنية أخرى أسهمت في زيادة حدة الصراع الداخلي لزينة، وهي تقنية الاسترجاع، استرجاع ذكريات الماضي السعيدة التي كانت مدفونة في أعماق زينة واعتقدت أنها قد تم محوها بسبب البعد الذي استغرق خمس عشرة سنة. لكن هذه الذكريات نمت شيئا فشيئا بمجرد وقوع قدمها أرض العراق. تزاحمت عليها الذكريات وعاودها الحنين، وظهر اعترافها بالارتباط بهذا البلد منذ نزولها من الطائرة: "شممت رائحة العراق وكأن البلد كله تجمع في أنفي وميزت عبقه ونفح هوائه الساخن على الوجوه، وكانت نادية المصرية ترتعش ورلى تسعل

276 - المونولوج أو حديث النفس هو حوار يوجد في الروايات، بين الشخصية وذاتها أي ضميرها، يعني الحوار مع النفس.

277- المصدر السابق، ص- 24

وكأنها ستموت ومددت يدي أضرب على ظهرها وكأنني مسؤولة عما يصيبها في بلدي، و رلى ضيفتي راحتها واجبي"278. إنّ إحساس زينة بالمسؤولية نحو الضيفتين يدعم موقفها العراقي ويبرز شهامتها العربية، إلا أنها بسرعة تنسحب من هذا الاعتراف، فتقول :" سأضع لهذا الفلم عنوان "العودة المتأخرة"، وفيه تعود البطلة إلى الأرض التي غادرتها قبل خمس عشرة سنة، لا عودة زائرة مشتاقة إلى مسقط رأسها بل جندية إلى أرض قتال"[279].

تأتي تقنية الحلم لتجسد هذا الصراع أيضاً، إذ تعتبر الأحلام وسيلة للتواصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، حيث يمكن للبطلة أن تخترق حدود الوعي وتسافر عبر أعماق ذاتها، سعياً لاستكشاف الحقيقة. وبعدما تصل إلى العراق في رحلة مليئة بالتحديات، تترك حقيبتها الكبيرة بجانب الحائط، وتستريح على السرير، فتنغمس في نوم عميق، حيث ترى من خلال هذا النوم حلما عجيبا، تقول: "رأيتني أطرق باب جدي يوسف في شارع الربيع و أنا مرتدية فستان عرس بنفسجي اللون، و لم يكن البنفسجي من ألواني المفضلة، لكن الأحلام لا تترك لنا رفاهية الاختيار، و قد فتح جدي الباب و لم أخف منه رغم علمي و أنا في الحلم بأنه قد مات و سألته :

-متى جئت من السفر ؟

ردّ : قمت من يومين، أردت أن أحضر عرسك يا سناء. و لم أصحح له اسمي. ..لكن جدتي رحمة أطلت من وراء كتفه و قالت:

278 - المصدر السابق، ص- 39

279 - المصدر السابق، ص- 39

-هذه زنزن ألم تعرفها ؟ المكرودة تزوجت و أنت غائب، و ها هي تعود إلينا بعدما ترملت..... يا عيني عليها.

اجتزت باب الحديقة و تقدمت من جدي لكي أقع على يده و أقبلها لكنه سحبها، فانسحب جسده بالكامل من المشهد. وفي هذه اللحظة نفسها تحول لون فستان عرسي إلى الأسود، و بقيت جامدة في مواجهة جدتي نتبادل الآسى في الحلم. .الفيلم"[280].

استعاد الحلم لزينة ذكرى جدها الذي فارق الحياة منذ سنوات عديدة. كان هذا اللقاء في منزل جدها، حيث قابلته زينة وهي ترتدي ثوب زفاف بلون غير تقليدي، وهو اللون البنفسجي. ومن خلال الحلم، غيّر جدها اسمها من زينة إلى سناء، مما رمز إلى تحول هويتها. حينها، تصحح الجدة الاسم ويتغير لون الثوب البنفسجي إلى اللون الأسود، وهذا يرمز إلى الصعاب والمصائب التي تواجهها زينة. كان هذا الحلم عبارة عن تعبير عن هواجس زينة وصراعها مع تراثها وأصولها[281]. شعرت زينة بإحساس بالذنب خلال الحلم، حيث علمت تماما بموقف الجدة رحمة وموقف الجد العقيد يوسف الساعور.

2- الشعوربفقدان الأمان

زينة شعرت بفقدان الأمان بعد أن اجتثت من حضن جدتها وفقدت وطنها الأم. كان لديها شعور مماثل بفقدان الأمان عندما انفصل والداها في بلاد المهجر، مما أجبرها على مواجهة ظروف صعبة للغاية. كانت ابنة التناقضات التي تضم كل الصراعات في العالم الجديد. فقد

280 - المصدر السابق، ص- 42

281 - آمال قيرواني، تشظي الهوية في الرواية النسوية العربية" الحفيدة الأمريكية"لإنعام كجه جي أنموذجا،دراسة، مجلة المدونة، المجلد 08/ العدد 02، قسم اللغة العربية ، جامعة البليدة، الجزائر، تاريخ النشر: 2021/06/30

فرض عليها أن تعيش بهوية مزدوجة، وهذا ما وصفت طاووس حالتها بعد عودتها من ديترويت بعبارة توحي بمعان عميقة جدًا، حيث وصفتها طاووس بأنها "كلب أبو بيتين"[282]. فعندما سمعت زينة وصف طاووس لا تنكرها بل تعترف بأنها تنطق بالحق، وتقر بأنها كلب له بيتان لا يأمن لأي منهما، فلا ترجع على استرجاع حياتها السابقة ولا على التآلف مع حياتها في المنطقة الخضراء.

هذه الازدواجية لم تكن تجربة للبطلة وحدها، بل كانت تجربة تتمثل في من يقرؤون الرواية أيضا. فالقراء يشعرون بالغضب تجاه زينة عندما تختار الانخراط في المداهمات الليلية وترتدي الزي العسكري، ولكن في نفوسهم ينشأ تعاطف معها عندما تدافع بفخر عن عروبتها ووطنيتها، وتذكر بأنها تدافع عن دين ليس دينها. وهذا كما أثار استهزاء الجنود الأمريكيين بمراسم عاشوراء بتقليدهم الساخر لها انزعاجا واضحا في نفسها. ومواقف هذه الازدواجية فيما يتعلق بشأن انتمائها للوطن تتكرر في النصوص الروائية. فكلما تتخذ زينة بموقف جريئ بأقوالها وأفعالها نحو الجيش العدو تغسل به أدرانها كما تدفع القارئ إلى التعاطف معها.

3- انشطار الشخصية

تتعرض زينة لصراع داخلي شديد، حيث تسعى جاهدة لتحديد هويتها الوطنية والسياسية. يزداد تعقيد هذا الصراع مع تفاقم الحبكة الروائية، حيث تتشابك الأحداث الفرعية مع نسيج الرواية، بدءًا من انهيار البرجين في نيويورك. وتظهر حدة هذا الصراع عندما تقررزينة كتابة تجربتها في العراق على حاسوبها، حيث تقوم بإستحضار الماضي من خلال ذاكرتها وربطه

282 - إنعام كجه جي ؛ الحفيدة الأميركية ؛دار الجديد، بيروت ؛ط 4 ؛ 2016 ؛ ص -156

بواقعها الحالي ووعيها. يأتي هذا القرار لأن زينة تسعى إلى فهم ذاتها من خلال تحليل تجربتها الحياتية عبر الكتابة، بهدف تحديد حقيقة هويتها وتحديد مسارها الشخصي.

أدى تدوينها لتجربتها إلى تجزئة شخصيتها إلى جزئين. أحد هذين الجزئين يحاول تبرير الموقف الأمريكي، في حين يعارض الجزء الآخر هذه التبريرات. ومن ثم، أطلقت الكاتبة على الجزء الثاني من شخصيتها، الذي يعارض التبرير للمواقف الأمريكية في العراق، لقب المؤلفة. لأن الجزء الثاني من شخصيتها، الذي يعارض وجود القوات الأمريكية في العراق، هو الذي أثر على مشاعرها الوطنية تجاه العراق وأعاد إشعالها. فتقول: "لكنه تاريخي من قبل أن أولد، وأنا سليلته وصاحبة الحق فيه مهما بدوت غريبة عنه وناكرة له[167]". وفي موضع آخر تقول: "مثلما قررت طاووس أن تخلف لي يديها، قررت جدتي أن تورثني ذاكرتها، والمؤلفة سعيدة بهذا القرار، لأنه يخدم روايتها".[168] وتقرر في موضع آخر أن المؤلفة ستقتلها[169]، مما يعني تغلب الشطر الثاني على كيانها المتذبذب بأكمله. كما تشكو أن المؤلفة تزعجها بأنها تراها ربيبة للاحتلال وترى جدتها من نفائس المقاومة، كما أنها ترسم لها ملامح البنت الضالة، العائدة فوق الدبابة الأميركية مثل نزيلة المنطقة الخضراء وسجينة الشخصية المرذولة.

تعج الرواية بنصوص مختلفة تكشف انشطار شخصية البطلة وتشظيها. ومنها أن طاووس وصفت حالتها" كلب أبو بيتين"[283]. فتدرك زينة أنها هي كلب له بيتان لا يأمن لأي منهما وأنها ليست قادرة على استرجاع حياتها السابقة ولا على التآلف مع حياتها في المنطقة الخضراء.

283- المصدر السابق، ص-156

وتكون أزمتها هذه واضحة حينما تشك : " أنا مع من؟ "؛ وذلك عندما تجمّع المجنّدون في مداهمة عسكرية وسألها نقيبهم : " أنت معنا أم معهم؟ "[284]

كما تبدو حسرتها بانخراطها في الجيش الأميركي في قولها عندما ماتت الجدة: " لعل جدتي ماتت بحسرتي، بحسرة عملي وبدلتي العسكرية. ماتت بسبب عاري. عار الحفيدة الأميركية".

284 - المصدر السابق، ص - 116

الفصل الثالث : أزمة الهوية في "عجائب بغداد"

أزمة الهوية الوطنية في "عجائب بغداد"

رواية "عجائب بغداد" تتسجد في معاطفها الثيمات العديدة والمحاور ذات أهمية بالغة. ولكن الثمية المركزية تكمن في الهوية الوطنية، وترسم الرواية مظاهر طمس الهوية في الواقع العراقي وردود الفعل من الضحايا تجاهها عبر شخصيات وأحداث وتقنيات عجائبية. نبحث عن الهوية الوطنية في الرواية تحت العناوين التالية.

الشخصيات المجهولة

من الملحوظ أن الكاتب بنى شخصيات ركائز في الرواية وحفلها بأوصافها وأيديولجياتها وتطواراتها تدريجيا حسب الرواية مع أنه لم يسمها، مثلا، أنه لم يسم البطل الرئيسي الصحفي السارد، وكذلك لم يسم الأستاذ والشاب المسرحي والأعمى والفتاة المحجبة وصياد الجثث ونحوه. لم لم يسمهم؟. لأن الثيمة الرئيسية أي إشكالية الهوية، تكمن في عدم تسميتهم، يعني ليس لأسمائهم أي أهمية في الجو العراقي الذي تمحى فيه الهوية العراقية، وأيضا تدل على أنهم أنموذج مشابه لعديد من العراقيين والأساتذة والطلبة الذين كابدوا طمس الهوية، وأن الاسم لشخص إنما يفيد في وطن يهتم بالهوية الوطنية ولا يفيد في الوطن المتشظي بالحروب الطائفية التي خلقت هويات فرعية كالكردي والشعي والسني طمسا للهوية الوطينة العراقية؛ مع أنه سمى لورا ورندة وبوحمد وجرجيس ونحوهم لأنهم يتمتعون بالهوية

الوطنية بشكل أو بشكل آخر. ويمكن القول إن عدم تسمية الشخصيات و إبقائهم مجهولين يدل على أزمة الهوية التي تكابدها.

هوية السارد

عند تفكيك هوية السارد، فطبعا ننتقل بمرحلة فقدان الهوية ومرحلة إيجاد الهوية. فالصحفي السارد هو عراقي الأصل بل لم يحظ بهويته العراقية لما أنه قلع من وطنه إلى الأوطان العالمية منذ صغره لما أن أباه كان تاجرا جوالا لا يستقر في مقام حتى تركه في دبي بالإمارات. نشأ في الأوطان المختلفة واستقر بدبي كي يكون صحفيا، بل لا يتحسس بدبي وطنا له بل لا يتحسس بأي انتماء إلى وطنه العراق أو أي بلد آخر بل يتحسس بأنه جوال صحفي يتجول في العالم لتغطية الأحداث. ثم يحثه رئيس تحرير مجلته بوحمد لكشف هويته العراقية بعد مقتل أطوار بهجت. هنا استعمل الكاتب شخصية تعاني من إشكالية الهوية وعدم استقراراها كي يعالج كشف الهوية ويرسله إلى وطن اندرست فيه الهوية ومعالمها. فطبعا كشف الهوية في ذلك الوضع الشنيع شبه مستحيل.

مرحلة فقدان الهوية

مرحلة فقدان الهوية تتمثل في إرسال الراوي إلى بغداد وموقفه تجاهه ووجهات نظره عن بغداد. يقول الراوي لبوحمد: "المجلة لا تحتاج إلى قصص حرب مقرفة وبشعة عن همج يتقاتلون من أجل لا شيئ".[285] يعبر عن رأيه وتراجعه النفسي عن مهمة كشف الهوية عن الوطن الذي يكره أن ينتمي إليها. ومع ظهور الكراهية في ردوده يقنعه محرره ببيان مدى أهمية

285- وارد بدر السالم؛ عجائب بغداد؛ دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت؛ ط 1؛ 2012؛ ص-11.

انتماء لوطن ولد فيه وشناعة عدم الانتماء إلى موطن مثل أبيه الجوال. يمثل له عن "القوقعة" التي حتى لها وطن تنتمي إليها ولكن الصحفي الراوي ليس له وطن ينتمي إليه. ويعتقد الباحث أن تمثيل القوقعة تمثيل أنسب في وصف الهوية الوطنية لأن الهوية تكون مع الشخص مهما اختلف في البلدان وبالعكس كما تمشي القوقعة مع وطنها وبالعكس. ومما يدل على هذه المرحلة ماقاله: "ربما أخذتني وقتها اضطرابات شتى متخيلا نفسي وسط النيران. لا أعرف بغداد إلا من خلال أب هجرها منذ طفولته وأم غابت في ذاكرة طليقة ليست لي صلة بما حدث".[286] ومما يدل عدم انتمائه إلى أي مكان، استرجاعه أحيانا في أوائل الرواية، استرجاع أسفاره إلى الهند وإلى البلدان الآسيوية الشرقية و بوكيت وتايلاند وغيرها.

وبعد الوصول إلى بغداد، لا يزال يتحسس بالغربة ولا يتحسن مع أجوائها ولا يشعر ببغداد كمسقط رأسه. وهذا الشعور ينتاب السارد في هذه المرحلة فقط وذلك لما أنه عولج كصحفي أجنبي وذلك كونه بحراسة الجنود المارينز و فندق الشيراتون وسيرهم بالهمرات الأمريكية و عدم انفتاحه لزقوق بغداد أول الأمر و كون أصدقائه من الأجانب كلورا ورندة وخميس الأسود. تتفهم لورا شعوره بالغربة وتتفاهم معه كي تكون صديقته في سفره وفي تدرج الأحداث يتشاجر معها عن الوضع العراقي الغباري لأنه كان متوترا في قبول العراق المتشظية بالحروب وطنا له.

286- المصدر السابق، ص-19.

مرحلة كشف الهوية

يستهلك الروائي ثلثي الرواية في وصف هذه المرحلة. يصل الراوي إلى إيجاد هوية تدريجيا حسب تفاقم الأحداث. تتغير وجهات نظره الأولى عن العراق عندما نلاحظه يتغير تدريجيا حسب الأحداث. يواجه الأحداث الشنيعة كحدث سيف الزرقاوي والانفجارات والكف الانتحاري وجثث المشرحة فنراه لا ينحاز إلى جهة الحكومة العراقية المساندة بالولايات المتحدة التي لا تعبأ بشعبها ولا يلقي للحروب الطائفية ردود فعل بل تتساهم في القتل والإبادة ولا إلى جهة الطائفيين العنصريين الذي يحلون سفك الدماء في كل أزقة ولا إلى جهة الأمريكان الذين يتظاهرون كمنجين للشعب العراقي. تتقلب وجهات نظره حتى ينتقد كل جهة بكل سلبياتها لما أنه رأى المشاهد العنفية التي وقعت أمامه فيتفقد هوية عراقية كي ينتمي إليها ويلوذ بها. ولكن الهوية الوطنية العراقية مندرسة في العراق الطائفية بل هي مستحيلة. فلذلك يخلق الروائي فضاء يتوبية عشوائية باسم "قرية الأستاذ" كي يجد هويته المفقودة منذ عقود.

يحاول السارد على التجوال الحر بعيدا عن زملائه فيتحسس تدريجيا بأنه يتعلق قلبه ببغداد تلقائيا و يشعر بأحاسيس العراقيين كعراقي وأحس بأنه يتجرب معهم: "أعتقد، وأنا في تجوالي الحر غير الضامن، أنني كنت أجرب لساني وصوتي ولهجتي وثيابي وفصولي ومدينتي التي أعود إليها مكرها كما لو أن القدر منحني فرصة أن أدون خرابها الأكيد وأكون شاهدا على زوالها".[287] ولكن السارد يؤكد أنه مهما يتحسس بانتمائه للعراق لا تزال الأنظار الشعبية تحدق عليه

287-المصدر السابق، ص-33.

وتنظره بعين الغرابة ويدل على ذلك أنه لما دخل في المقهى الذي وقعت بجواره انفجار المنتحر كان عليه أن يصرف وقتا طويلا كي لا يكون موضع الشك حتى يغادر المكان.

يتحسس الراوي بالانتماء عندما يجرب لغته مع الشاب المسرحي حيث يقول: "أحببت أن يتكلم كما يشاء ليحفف من احتقانه ولأجرب لغتي المهاجرة أكثر من ثلاثة عقود. فبعد رحيل لورا استعنت بذاكرة اللغة المطوية في كتاب أغلقه أبي منذ سنوات متراكمة".[288] ومما يدل على أن السارد يتحسس بالانتماء إلى وطنه ردوده لأبيه الذي يلح بالمراسلات للعودة من العراق وبوحمد الذي يراسله للرجوع لما شاهد المشاهد اللاإنسانية وحبيبته ميريام التي تخاف عليه من دبي. ولكن تبدو لورا هي التي تحفزه دائما على إيجاد هويته المفقودة وهي تحثه بين حين فآخر لإيجاد جذوره: "انزع عنك جلد السائح وعطر دبي وكن في بغدادك التي تبحث عنها. هذا وطنك وهذه حربك مع الإرهاب".[289]

ومع خوض السارد إلى قرية الأستاذ العشوائية يميل قلبه إليها ويجد أنه وجد الانتماء الذي لا يزال يفتقدها عبر العقود. يجد في شخصية الأستاذ قيما عالية ويجد في القرية القيم التي تليق بالهوية الوطنية النادرة فيتعلق قلبه بها، ويحب أن يكون جزءا منها ويتفاعل في نشاطاتها كأنه واحد منها ويساهم لجذب الانتباه الإعلامي هناك بعد أن أسهم في المسرحية البوذية التلقائية اليومية. يعني قبل خوضه إلى قرية الأستاذ يحس بأنه يجب عليه كشف هويته وهوية وطنه المفقود ولكنه يتيقن بذلك عندما دخل القرية العشوائية التي لا تيسطر فيها

288-المصدر السابق، ص-65.

289-المصدر السابق، ص-63.

عنف الأديان والأيديولجيات. ينغرز في خلده قول الأستاذ: "ليس هناك أسهل من أعمل لك بيتا صغيرا وستكون أخا للجميع".[290]

يلتقي السارد مع شخصيات عديدة من القرية منهم جرجيس الأفندي الأشهب الذي يتحاور معه غالبا من المقهى في الرواية. مرة اشترى له شايا وبعد دفع ثمنه اشترى له شايا ثانيا وهو يقول لصاحب المقهى: "لا تأخذ من الغريب العائد إلى غربته".[291] ثم نرى السارد يشتري قميصا من امرأة وهي تقول له: "كأنك غريب يعود إلى غربته".[292] يتفكر السارد لم أن جرجيس والمرأة لم تقولا "من غربته" ولا يجد جوابا لذلك. يلاحظ الباحث من هذه التجربة التي كانت للسارد أنه مهما أوجد السارد وطنه المفقود في قرية الأستاذ، لا زال هناك رجال يتوترون عن الهوية في قرية الأستاذ ومدى امتداد عمرها وأن الغريب مثل السارد لا يجد الوطن المفقود والهوية الوطنية في وطن تآكلته العنف والحروب الطائفية بل ستكون هي سرابا زائلا. وهذا المعنى يبدو راجحا في نهاية الرواية.

يحس الكاتب بمواطنته في أجواء القرية شيئا فشيئا. أحيانا غاب عن المنطقة الخضراء يوما أو يومين فتفقدته رندة ولورا وتراسلا معه سبب غيبوبته فقال: "سأغيب عن المنقطة الخضراء يوما آخر أو يومين...أنا في بغداد في بيت أحد أقاربي".[293] الوطن للفرد محل سكون وسلام. فهكذا قرية الأستاذ بالنسبة للسارد محل سكون سلام ومهبط الهوية التي افتقدتها وأجدتها بعد سنوات.

290-المصدر السابق، ص-101.
291-المصدر السابق، ص-111.
292-المصدر السابق، ص-112.
293-المصدر السابق، ص-123.

ومن الرجال الذين تفاعل معهم من القرية صياد الجثث، حيث يرسم الصياد بكل دقة. الصياد يجمع الهويات من الجثث الطافية في نهر دجلة، يتلقي به الفتى الصحفي و يتحاوران حول الهوية التي يلتقطها الصياد في نهر دجلة. رمى الصياد الكومة من الهويات تحت قدمي السارد حيث يصف ذلك الموقف: "عشرات من الوجوه الصغيرة المكبوسة قريبا من أسمائها تطالعني، وهي منكفئة على قش الزورق. هويات لا غبار عليها لأناس قتلوا بطريقة ما، وأغرقوا بعشوائية مفرطة. تناولت إحداها فطالعني وجه شاب يحدق بعينيه الواسعتين إلى لحظة التصوير الصامتة...أحمد...اسم الأم عائشة...اسم الوالد عبد الله...التولد 1985 المهنة طالب..الحالة الزوجية أعزب...وكانت الثانية هوية شرطي بدا بوجهه الضعيف كأن هناك من يهدده في لحظة التصوير...الثالثة صورة شابة لم تخف ابتسامتها الخجلة. أما عدسة الكاميرا تتالت بين أصابعي الوجوه لشباب وشابات وشرطة وجنود"،[294] وحينما يرد السارد الهويات لصاحب الزورق انزلقت هوية واحدة من الهويات قرب قدمه فأخذه خلسة نظر الصياد وكانت هي لشاب وسيم يطالعه بعينين غامضتي الإشارة. وبعد هذه الواقعة نرى أنه تتطور شخصية السارد إلى درجة أنه أنجز إنجازا في حياته، وكأنه نال الهوية الوطينة سلوى بتلك الهوية التي احتفظها في جيبه لما انزلقت من الصياد. يقول عن تلك الحالة النفسية التي حصل عليها بعد ذلك: "كنت أشعر بشيئ من الارتباك والخجل في داخلي. لكن الشاب الغريق استقر في جيب قميصي وكنت أشعر بالرضا بالرغم من كل شيئ"[295] "...لعلي أقف عليه في نهاية

294-المصدر السابق، ص-143.

295-المصدر السابق، ص-143.

الشوط المضني وفي جيبي هوية وطن غرقت فانتشلها صياد ماهر يرتزق على صيد الجثث، وهي في جيبي الآن. شعور جديد بالمواطنة يعز علي مفارقته بعد الآن".[296]

ومن المشاهد التي تؤكد انتماء السارد لوطنه وإيجاد هويته، تجربته مع الأطفال التي تلعب مع الرأس الأمركي كرة القدم، صور ذلك المشهد ويرسل الصورة إلى بوحمد قائلا: "بوحمد. تمعن في اللقطة جيدا وانظر إلى وجوه الصغار المنتصرين على رأس الأميركي". ففي هذه الأسطر دلالة باهرة على أنه كيف يفرح بغلبة العراقي على وجه الأمريكان وذلك ولو بنصر صغير كهذه التجربة.[297]

ومنها أنه يخبر ميريام عشيقته، كم هي فرحه وكم هي تحسسه بالمواطنة العراقية لقرية، مهما هي عشوائية حيث يقول: "ما زلت أحبك يا ميريام وستفرحين حينما أخبرك أن عندي هوية شخصية حصلت عليها أخيرا من النهر بعدما صعب علي الرجوع، لتكتب لي نقطة الصفر ابتداء من النهر. النهر منحني هويتي وهويته في لحظة حرجة يا ميريام؛ رغما عن أبي المرتحل حينما كتب اسمي على ساحل غريب وعمدني بمياهه كل هذا العمر، لكنه أغلق علي ممر الحياة التي كان يجب أن أكونها منذ وقت طويل".[298] وفي فصل "صحف بغداد" يقول: "تحسست الهوية في جيبي "كأني أقبض على حياة خرجت من قمقم النهر ولاذت في جيبي الصغير"،[299] وعندما تقترب أم لتفقد هوية ابنها بين الجدران دامعة العينين لا يظهرها الهوية التي في جيبه مهما تفاقمت أحزان أم لولدها بل تتجمد وجدانه ويأخذه صمت حيث يقول:

296-المصدر السابق، ص-146.

297-المصدر السابق، ص-97.

298-المصدر السابق، ص-186.

299-المصدر السابق، ص-183.

"اختطفني صمت مؤذ، تحسست الكائن في جيب قميصي. لم أجرؤ على مطابقة اسمه مع ابن المرأة، غير أني كنت أكثر حزنا منها".[300] وكل هذه دلالات كافية على شعوره بالمواطنة وإيجاد الهوية.

وفي خضم تأكيد الدلائل من نص الرواية، تبدو أشدية انتماء السارد للقرية البوذية و شعوره بالمواطنة هناك في قوله: ""سأغيب عنكم يومين يا أستاذ وأعود..أعود إلى...الأبد" أخرجت "الأبد" من أعماقي و كنت ألهث. لم تكن كلمة بل كانت قرارا".[301] ففي هذا النص استعمل الراوي كلمة "أبد" وتلك الكلمة لا تشير وقتا محددا أو مدة محدودة بل تتجاوز الحدود و السور أي أنه يعود إلى وطنه أي القرية في أسرع وقت وتلك العودة عودة أبدية كما يعود من له هوية وطنية إلى وطنه بعد ما أكثر من الحل والترحال في الأماكن والبلدان النائية.

يتفاعل السارد في بناء المسرحية البوذية مفاعلة جدية حتى تلاصقت آراءه مع آراء أستاذ القرية وفي يوم عرض المسرحية أمام الشبكات والفضائيات والقنوات العربية والغربية حاول محاولة باذلة في التعريف عن القرية وحقيقتها وتاريخ نشأتها و شعوبها أمام القنوات بكل حماسة وجدية كما يفعل الواحد بالتعريف عن وطنه أمام العالم و يحاول تعزيز وطنه بقوله وفعله. وهذا أيضا يزيد مدى انتماء الراوي إلى هذا المكان كوطن له وإيجاد هوية له هناك.

300-المصدر السابق، ص-192.

301-المصدر السابق، ص-148.

يلخص الباحث شخصية السارد و إشكالية الهوية فيها في النقاط التالية:

- استعان الكاتب بالسارد المجهول (لم يسمه) ليعالج قضية الهوية الوطنية التي هي في الأزمة. فجعل لهذه الشخصية عدم انتماء لأي مكان ووطن وزاد معها وصف صحفي جوال.

- تبدو في أوائل الرواية أن هذه الشخصية لا تهتم بالهوية الوطنية أي اهتمام حيث يطعن الوطن الذي تقع فيه الحروب الطائفية وينتقد وطنه الأصلي الذي ولد فيه كآخر أجنبي.

- هذه الشخصية هي نتاج العولمة و المدنية المستحدثة كما تشير إليه العطور الإماراتية ولأب صاحب أعمال ثري يتجول في السواحل والرفاهية ولأم لا يعرف نسبها لأنه يعرف عن أبيه بأنه مزواج من النساء المختلفة الهويات. نشأ في دبي نتاجا لتجوال أبيه.

- تتطور ملامح هذه الشخصية لما يخوض في بغداد ويتحرر من جنود المارينز كي يرى شخصيا أجواء بغداد الدموية وشعوبها وقضاياها بعد الاحتلال الأمريكي والأحداث العجائبية التي يراها وتتطور أفكار هذه الشخصية ضد الظلم وتجاه بغداد ويتحسس بالمواطنة شيئا فشيئا.

- يساعده في إيجاد هويته لقاءه مع شخصية الشاب المسرحي و الأستاذ الجامعي وشخصيات من القرية البوذية.

- قرية الأستاذ هي نقطة التحول بالنسبة للسارد حيث هي تعمل كبداية لإيجاد الهوية الوطنية.

- إشكالية الهوية للسارد تختلف عن إشكالية الهوية للعراقيين الآخرين لأن إشكاليته تتمثل في طمسها بسبب الهجرة أو نحوها أما إشكاليتهم تتمثل في طمسها من قبل الميليشات التي تدعي بالهويات الفرعية وتتقاتل لتحقيقها مهما كثرت الجرائم والوفيات والقتل أو من قبل جنود الاحتلال الذين لا يعبأون إلا منافعهم وتأمين سرقة النفط من الوطن العراقي. الفرق الآخر هو أن السارد يحاول على كشف هويته في موقف حرج حيث أبيدت الهوية العراقية بأكملها وينجح في ذلك ولكن في قرية عشوائية مستحيلة في العراق التي تأكله الحروب أما العراقيون غير السارد طمست هويتهم ولا ينجحون في كشفها وإرجاعها بل يتنازلون عن هذه المهمة ويسلكون مسالك أخرى كانقياد للموت أو الهجرة أو الخيانة بالتحالف مع الأعداء. أما في الرواية يخلق الروائي مرجعية نجاحهم في قرية الأستاذ.

- تتمثل إشكالية الهوية في هذه الشخصية في المراحل: مرحلة فقدان الهوية وهي في الربع الأول للرواية ومرحلة إيجاد الهوية وهي في باقي الأرباع.

- اختيار الكاتب قرية عشوائية يوتوبية غير حقيقية يدل على أن إيجاد الهوية للسارد هي مهمة مستحيلة فيوطن لتحقيق ذلك قرية عشوائية خيالية كي يتحقق أمل الذي يعاني من الهوية ويتحقق الأمل العراقي، فاستعان بالعشوائية والفانتازية تنويها لبعدها وإمكانها في الواقع.

الأستاذ الجامعي

الأستاذ الجامعي هو الشخصية التي هي أنسب بالنسبة للسارد كي يسمى شخصية مساندة للسارد. ربما لم يسمه الروائي طول كتابه لكونه مثالا لجميع الأساتذة التي تحمل نفس التجربة التي عاشتها الشخصية الروائية. هذه الشخصية هي مثال ناجح للأنظمة التعليمية التي كانت قبل أي في دور صدام لأنه نتاج تلك الأنظمة. ولهذه الشخصية خلفية علمية كثة في مجال التعلم والتعليم، عمل كعامل أساسي في إنتاج الجيل الجديد في العراق حتى الاحتلال الأمريكي والحروب الطائفية. ومن ميزة هذه الشخصية أنها أنموذج لطمس الهوية وأنموذج للكفاح والنضال ضد أنظمة الظلم والجور والصوت الصادح ضد الإرهاب كما يمثل نموذج النهضة والإحياء.

تتجلى صورة الأستاذ في النص الذي قدمه مراسل إحدى القنوات أمام الكاميرا: "مؤسس حي من الصفيح في بغداد...مفكر غير معروف يخلط الأديان في دين جديد قوامه شخصية بوذا وأفكاره. أكاديمي سبعيني يعد أستاذ الأجيال في العراق. يختطف ثلاثة أشهر وتخلصه قدية مالية ضخمة...مؤسس حركة اجتماعية تأخذ من الأديان جوهرها وترمي بتفاصيلها في قاع النهر..رجل الساعة في بغداد يقود حركة تصحيحية ضد رجال الدين المتزمتين. يؤمن أن الخلاص الثقافي والمعرفي هو الطريق الأمثل لخروج البلاد من أزمتها السياسية. أستاذ جامعي متمرد على سلطة يراها جاهلة وأمية، استبعدت الثقافي واتخذت من السلاح ذريعة لمحاربة معارضيها، ولا يعفيها من العمالة إذا...."[302].

302-المصدر السابق، ص-168.

محاولة طمس الهوية

يستعرض الكاتب قصة الأستاذ في فصل "المخطوف". لقد كان أستاذا جامعيا في إحدى الجامعات العراقية حتى ظهرت الفتن بين صفوف الأساتذة والطالبين. أخذ الأوغاد منهم موقف العنصرية والطائفية حتى تداخلت في أمور الجامعة غرباء فمارسوا الظلم و القتل على الطلبة والأساتذة. واجه الأستاذ محاولات اغتيالات مرات عديدة إلا أن تلك المحاولات فشلت لما فشلت الإطلاقات وأخطأت الرصاصات. اندهش الأستاذ لما قتل الطالبون أستاذ البايولوجيا. ثم تفاقمت الأمور و انقلبت الأمور على رأسها، فأصرته امرأته بالهجرة من الجامعة كما فعلها الأكاديميون الأخر من العراق. ولكن الأستاذ رفض قرار زوجتها رفضا باتا حتى عانى حالة الخطف. ومن المؤسف أن من خطفه هم نفس الطلبة الذين قام بتدريسهم. فيتفكر على أنه ما علمهم تعليمات الجور والظلم ولكنهم يمارسون الظلم. أفضحوه كل الفضاحة وطرحوه في حوض شاحنة كالحيوان هدما لكل القيم التدريسية. ولكن الأستاذ لحسن حظه، نجا من أيديهم.

المقاومة لأجل الهوية الوطنية

لم يهرب الأستاذ من وطنه كما هرب الجبناء الأكاديميون، بل ثبت في وطنه فسافر إلى مكان مبتعد عن العاصمة ثم بنى لنفسه كوخا وعكف هناك شهورا. ثم اكتشفه الصبيان ثم عكف سنين على القراءة كأنما يبحث بين الكتب سرا مدفونا. تكدس حول الناس وهو لا يعرف عدد الناس المتكاثر يوما فيوما فتشكلت القرية، ثم صارت قرية الأستاذ لما أنهى اعتكافه وصار الوقود الأيديولجية للقرية. فكانت مقاوماته لاحتماء الهوية؛ الاعتكاف المديد (ربما تطورت

أفكاره عن القرية التي سيؤسسها) وقراءة السنين (ربما وصل إلى السلام بعيدا عن الأديان) وإنشاء القرية الوطنية التي افتقدت في العاصمة وترؤس قوم مختلف الأديان والأجناس والأنواع تحت مظلة السلام والوئام والتحاب المتجذر على أيديلوجيات بوذا.

الحلم عن الهوية الوطنية

يجري بين الصحفي البطل و بين الأستاذ حوار خاص وكذلك يجري بينه وبين المراسل الأمريكي حوار خاص حيث يتجلي في الحوارين موقف الأستاذ من الهوية الوطنية التي يحلم بها لأن قرية الأستاذ إنما هي بذرة واحدة بادئة وستمتد هذه البذرة في كل البقاع العراقية كما يحلم به. يعبر عن رأيه وحلمه عن الهوية الوطنية (في الهامش): "قال أيضا إنه لا يمكن إنشاء مدن المعرفة ما لم تكن مبنية على التنوع الثقافي والتعايش الديني والاجتماعي...وعلينا أن نوجد مناطق حرة ومتحررة من المركز الحزبي. قال: إن اقتصاد المعرفة يجذب الاستثمار والسياحة ورؤوس الأموال وينشر خبرات التكنولوجيا الإلكترونية ويقضي على البطالة. ويسمح بتدفق المعلومات. تحدث عن المدن الذكية كسنغافورة ودبي وشبكات المعرفة الحديثة والمدن الخضراء. ووصف القطاع الخاص لدينا بالكسول لأنه لم ينهض بدوره التاريخي في توليد المعرفة وصياغة أفكار".[303]

وفي عباراته دلالات؛ وهي أن العراق إشكاليتها الأساسية هي الجهل لأن الجهل أنتج الحروب الطائفية و جعل الأفكار والأحلام بأن لا تفكر بالمودة واللاعنف والوئام والهوية العراقية التي ستقودهم إلى رقي المجد والعلاء وتحفزهم على قلع العدو الحقيقي الأجنبي أي الاحتلال

303-المصدر السابق، ص-90.

الأمركي. ومما يدل على جهالتهم أنهم لم يطلعوا على الهدف الرئيسي من الاحتلال الأمريكي وهي سرقة ثروتهم الغالية النفط من تحت ترابهم بحجاب المنجي أو بحجاب المنقذ من النظام الاستبداي الذي مارسه صدام حسين، بل داوموا في الحروب الطائفية التي نشبت بعد انفجار ضريح الإمامين و مقتل أطوار بهجت فلعبوا بالهوية الوطنية كي تسيل دماء وتنفجر مفخخات. يحلم الأستاذ حلم المعرفة التي تقود العراق إلى هويتها الأساسية ومجدها الثري.

قرية الأستاذ

تمثل قرية الأستاذ أنموذجا أبلغ للهوية العراقية وإن كانت عشوائية، فهناك معان عديدة في خلق هذا الفضاء في منتصف الرواية إلى نهايتها. يعني تحدث نصف أحداث الرواية في قرية الأستاذ أي أنموذج الهوية الوطنية.

يورد الباحث ملاحظات هامة عن قرية الأستاذ:

- تشكلت قرية الأستاذ عشوائيا حيث كان الأستاذ الجامعي أول من سكن هناك وهو لم ينتبه أن هذا المكان سيتحول إلى قرية ثم توافدت أعداد من الناس وتجمعوا حول الأستاذ في سكنى الصفيح ثم يسودهم الأستاذ بعد اعتكافه. وبعدئذ تعرف هي بقرية الأستاذ لأنها أسست و نشأت على بذرات أفكاره وأيديلوجياته.

- في الحقيقية قرية الأستاذ هي حل طرحه الكاتب في الرواية. لأن المطالع من الرواية حفلت بكثير من المشاكل كأصوات الانفجارات والمفخخات المتكررة و غبار الحروب الطائفية وصيرورة الأعمى إلى قاتل و شهود الأطفال مشاهد القتل والهجمات و

الانتحارات التي تقع في المقهى و أندية الناس و دمار الأنظمة وغيرها من المشاكل التي طرحها أولا مع إشكالية الهوية التي هي المشكلة الأساسية. ثم يطرح في منتصف الرواية حلا لجميع هذه المشاكل وهذا الحل هو "قرية الأستاذ".

- تتحول قرية الأستاذ ملجأ كل واحد حيث الأطفال والكهول والكبار كلهم يجدون مواطنتهم فيها. في الرواية يجد الكاتب القامة التي بلا رأس-كونه سيف الزرقاوي- وهي تجد وجوديتها وانتماءها في قرية الأستاذ، وهكذا زينب الشعثاء أي الفتاة التي كانت تقود الأعمى القاتل في فندق الشيراتون، والمرأة المسيحية المحجبة باسم "مريم" و جرجيس الذي يتوتر فور ظهور الغرباء في القرية والأمهات التي فقدن أولادهن و الأطفال كهلم يجدون موطنيتهم في قرية الأستاذ.

- أخرج الكاتب هذه القرية من خياله لتكون حلا للهوية التي لم تجد مستقرها في الواقع العراقي إثر الحروب الطائفية، فهذه القرية مستحيلة في الواقع العراقي ولكن جعلها الكاتب حقيقية بإضافتها في قالب الرواية وإن كانت عشوائية. وذلك يدل على أن الحل الذي يحل عقدة إشكالية الهوية هو بعيدة المنال والإمكان في وطن أكلته الحروب والتناحر، وإنما خلق الكاتب هذا الفضاء الفانتازي إنما هي إظهار للأمل العراقي و حنينه تجاه الهوية والحرية.

- القرية هي تقبل التنوع و الاختلافات؛ ومما يدل على ذلك الرايات الملونة التي ترى من بعيد في سقف القرية. وهي دالة على أن الهوية الوطنية هي تفوق الهويات الفرعية فكل علم ملون مختلف يقف تحت عنوان هام؛ قرية الأستاذ، لأن قرية

الأستاذ هي تجمع السنيين والكرديين واليزيديين و الشيعة والنصارى وغيرهم. فلكل حزب رأي مختلف ولكنهم يهتمون أولا الهوية الوطنية وهي الهوية التي نالوها بانضمامهم في قرية الأستاذ.

- أيديولجية الشعب الطارئ في قرية الأستاذ و تفاهمهم حولها تستفاد من قولهم: "كلنا غرباء..لم نكن نعرف بعضنا من قبل؛ لكن جمعتنا المصيبة الواحدة في فوضى الاحتلال والقتل على الهوية وما شاكل ذلك..".[304]

- ومن أبلغية وجدان الهوية في القرية، أنها تضمن للموتى أيضا هوية. يعني سرد الراوي ما شاهد من المشاهد العجائبية كالقامة التي تمشي بلا رأس و الإصبع الذي يتحرك المعروف ب"أخي الإصبع" و رماد الفتاة التي تتقلب في قارورة التي بيد أبيها الذي يسكن في البيت الأزرق. فلكل هذه الشخصيات الفانتازية الموتى تستمتع بوجود و انتماء وهوية في قرية الأستاذ.

- يتمثل مقهى القرية المتحف القومي الذي يحتفظ أرشيفات و آثار عديدة لأن المقهى تتزين جدرانها بالهويات وغيرها كقطعات الأخبار العراقية.

- توجد المراحل الثلاثة لقرية الأستاذ؛ وهي مرحلة النشأة، ومرحلة الشهرة، ومرحلة الانحطاط. هذا التقسيم تقسيم اختياري. فالمرحلة الأولى هي المرحلة التي تحدث فيها القرية حول الأستاذ نتاجا للهجرة المتزايدة و تشييد أركانها على مبادئ بوذا والقيم الإنسانية. ومرحلة الشهرة تبدأ بالتوافد الإعلامية إلى القرية لتغطية

304-المصدر السابق، ص-83.

أحداثها من الفضائيات والقنوات. ثم مرحلة الانحطاط فتتصدر بعد التغطية الإعلامية التي حدثت في القرية وما يعقبها من نتائج سلبية كظهور الغرباء المتكاثرة وسرقة الهويات الملصقة على حائط الهويات وغيرها.

- يتضح أن الكاتب وضع الأديان والأيديلوجيات الإيجابية التي لصالح البشرية في موضع الحرج والظلم؛ أي ينطق لنا مفهوم النص أن الأديان هي التي تسبب الهجمات وثقافة العنف بين المجتمع. فطرح مكانا لا يهتم بالدين حلا للعنف. فهذا الموقف للكاتب يتعرض للنقد، أولا وضع الأديان أمثلة للعنف-ربما كانت هذه الفكرة نتاجا لهول الهجمات في الحروب الطائفية التي تقتل الأبرياء و تهدم الحضارات والمباني باسم الدين فيبدو أن الدين هو الناصح والباعث للظلم بالنسبة لعراقي. فنتسائل أنه كيف يضع الأديان كباعث ظلم؟، نفهم منها أن هذا الموقف هي الأفكار المتجددة في رأس صحفي مستلهم من الصحافة الغربية وليس له انتماء عريق بوطنه فلا يرى الأديان أمثلة السلام فالبطل الصحفي شخصية جدلية لما أنه يرفض الدين و يصاحب الأستاذ الذي يرى الأمور مثله ويوافقه لما أنه امتزجت ثقافته بالثقافة الغربية الليبرالية. والنقد الثاني هو إن كان الحل المطرح حل للهوية الوطنية فلم يكون ذلك الحل مؤسسا على أسس المبادئ البوذية؟ لأن البوذية أصبحت ديانة متفردة بذاتها، فبناء الأستاذ الذي يرى الأديان مهبط الظلم كيف ينحاز إلى دين ويسمي قريته ومسرحيتها بوذية؟ ومهما حاول الأستاذ إجابة هذه الأسئلة أمام الفضائيات بأن بوذا فكرة من أفكار كثيرة و البوذا مثال من

أمثلة كثيرة. ولكن لماذا اختار هذه التسمية لقرية هي تكون حلا لإشكالية هوية وطنية؟ فالتسمية لا تزال جدلية كما جرت نزاعاتها في الرواية.

المسرحية البوذية

المسرحية في الرواية كانت محاولة لإيصال أصوات شعوب القرية أمام العالم. فهذه المسرحية أيضا تتضمن معاني الهوية الوطنية. فهنا يناسب بيان البعض منها. المسرحية كانت طرح الشاب المسرحي الذي طرح "أن تنفتح القرية على حالة مسرحية يومية متصلة حتى من دون إشعار أهلها. مسرحية طبيعية تجري في حياة القرية.."[305] تشارك الجميع وبذلوا كل وسعهم في جعل المقهى كمسرح بما فيهم الأستاذ والطالبون والطالبات وشعوب القرية. ثم رجا تزيين خلفية المقهى. فهذه الخلفية هي مثال رائع للهوية الوطنية المزدوجة بجميع الأجناس والأنواع والفنون. وهذه الخلفية تفهم عناصرها من النص التالي: "ورجا أهل القرية أن من لديه لوحة أو صورة شخصية أو منظر طبيعي من ورق أو قماش أن يضعه في المكان الذي يناسبه في هذه الخلفية حتى لو كانت أدوات زينة يمكن لصقها ودقها ورايات صغيرة وتحفيات ورقية وشهادات وفاة وميلاد وهويات الأحوال الشخصية وعقود الزواج والطلاق وكتب التطوع والتسريح من العسكرية القديمة والجوازات المسافرة وغير المسافرة ورسائل الغرام المخبأة هنا وهناك ومظاريف الرصاص التي يستعملها المليشياويون وعناصر القاعدة للتهديد والابتزاز وصور

305-المصدر السابق، ص-135.

القوات الأمريكية وجيش المهدى والقاعدة والحكومة وأعضاء البرلمان والصحف القديمة وقطع صور السياسيين والبرلمانيين من الصحف الجديدة.."[306].

أراد الكاتب كون الخلفية مزج هذه الأشياء المذكورة في النص المطروح إما لأمرين:

الأمر الأول: الأشياء التي أرادها الأستاذ لصقها بالخلفية هي أشياء الحكومة المتكاسلة التي تسود في عرش العراق بدعم الولايات المتحدة أو أشياء مرتبطة بالميليشات والسياسيين الماضيين أو مرتبطة بالولايات المتحدة أو أشياء الماضي الدامس بالإجمال. فأرادها كلها في الخلفية للتنويه على أن النظام الجديد الذي أنشأه في القرية البوذية هو النظام المتطور بناء على ذلك الماضي الداكن الدامس. فلتكن المواضي الدامسة في الخلفية مهملة مستدبرة وليكن الحاضر والمستقبل مشرقا معتبرا ذا عناية.

الأمر الثاني: الخلفية كما في كل مسرح لها أهمية بالغة، لأنها تحكي حالة الأشخاص الذين يلعبون الدور و يدل أوصافهم وحالتهم الاجتماعية والأزمنة التي يلعبون فيها المسرحية. فمن الخلفية يستطيع السامع أو الجمهور قراءة خلفية المسرح وفهم سياق المسرحية المقدمة في المسرح. فهكذا هذه المسرحية البوذية مسرحية حقيقية تنبئ عنها الخلفية التي تضمنت أحداث وصور طمس الهويات. فكشف الهوية الوطنية لا تتحقق بنسيان الماضي الذي حفل بطمس الهويات وقلعها.

306-المصدر السابق، ص-135.

صياد الجثث والهويات للموتى

صياد الجثث هو العنوان الأهم في مبحث الهوية بعد مبحث السارد والأستاذ وقريته. لم يسمه الكاتب لتمثيله لكثير من الصيادين الذي يصطادون الجثث. الصياد الحقيقي هو من يصطاد الأسماك بل هذه الشخصية ليست بصياد الأسماك، ولكن مجرد صاحب الزورق الذي يختلف بين ضفتي دجلة حاملا المسافرين والمراسلين وغيرهم. أما الصياد فانتمائه وهويته الوطنية تعود إلى قرية المعرفة أي قرية الأستاذ. وكان الزورق مصدر رزقه قبل الأزمات الاجتماعية ولكن بعد الأزمات صار صياد الجثث لأنه شاهد الجثث الطافية في نهر دجلة التي هي أنموذج الحضارة والرقي.

الحروب الطائفية والتوترات السياسية تتراكمت إلى درجة أنها لم تعبأ بالجثة البشرية ولم تكرمها حق التكريم. وهي لا تعبأ بالأحياء الأبرياء أصلا أولا فتقتلها وهكذا تقتل هويتها، وهذه هي فعلة شنيعة بالتأكيد. ثم يعتلون إلى الدرجة العظمى من الظلم وذلك عدم تكريم الجثث وذلك بطرحها في نهر دجلة مربوطة بالأثقال كي تستقر في أسفلها وبعضها تطفو فوق الماء فتصير عشاء الكلاب وغداءها.

فالأمر الملحوظ في هذا الموقف أن التربة الضرورية هي ضمان وطن يمتلك الهوية الوطنية لأفرادها كي تنام بعد الموت. المناضلات كلها لأجل تلك التربة التي هي مثال الهوية التي تناضل لأجلها. ولكن الواقع العراقي لا يتيح لأفرادها تربة كي تنام فيها. وهذه هي غاية طمس الهوية. فنهر دجلة صارت وسيلة للظلم كي تمارس هذه الغاية من طمس الهوية. فإلى هذا الموقف الحرج يأتي دور شخصية "صياد الجثث" الذي وضعها الكاتب في قرية الأستاذ. يتنبه الصياد

أمر الجثث فكان أول أمره تفتيش الجثث لينال ما فيها من النقود كي تكون مصدر رزقه وعائلته. ثم يترك كل ذلك ثم يهتم بالهويات التي تكمن في جيوب الجثث. فجمع أكثر من 800 هويات حسب ما يقرره الراوي الصفحي في مقابلته معه. يجمع كل يوم هويات عديدة وكان يندم على أنه لم يستطع جمع الهويات من الجثث الطافية في الليالي لأنه لم يجمعها في الليل لظلامها. وكان يلصق كل هوية يجمعها فوق جدار الهويات حسب أمر الأستاذ. طار صيت هويات الموتى التي تكتشف في قرية الأستاذ بعد تغطية المسرحية البوذية التي وقعت هناك. ففاض الناس من كل فج العراق فتكدست القرية بالغرباء ثم نفدت الهويات في الجدار لكثرة الناس أو للسرقة فكشفوا موضع كشف الهوية أي نهر دجلة فانكف الصياد أن يوصل الهويات لأنه خاف على الأعداد من الناس المتكدسة على الضفاف المتكالبة على كشف هويات موتاهم بكل حساسية. ولكن الأستاذ يوصل الهويات منه إليهم. وفي نهاية القصة نسمع نعي موت الصياد. وهذه النهاية البشعة صبغت للرواية عنصر المأساة.

وهنا بعض الملاحظات حول شخصية صياد الجثث وما يتعلق بالهوية الوطنية:

- بنى الكاتب شخصية صياد الجثث لتوطين هوية وطنية للموتى. أولا بنى هوية وطنية للأحياء بحل قرية الأستاذ، ثم أراد بناء هوية للأموات بخلق وسيلة وتلك الوسيلة هي شخصية الصياد.

- الزورق بالنسبة للصياد وأهله وطنه لأنه سافر ليالي مع عائلته خلاصا من الطائفيين والعنصريين، ومأمن حماية هويته وعائلته. فكان أول الأمر حامي هوية شخصية ثم صار صاحب منتج هويات الكثيرين فصار شخصية بسيطة تعمل عمل رجل بأمة.

- لا تنتمي الشجرة المثمرة المعطية الأثمار لمن حولها أمام المتكبرين الجاهلين، فهكذا لا تنمتي شخصية الصياد بأكثر. فوضع الكاتب نهاية لهذه الشخصية في آخر القصة. فقتله يدل على قتل الهويات بأجمعها وتدل أيضا على أن المحاولات المتكررة من جهة الضحايا لا تنفع ولا تنجح مهما يكن من شيئ.

مظاهر العجائب كعوامل الهوية الوطنية

ومن ميزة هذه الرواية أنها احتوت على صور فانتازية عديدة ومشاهد خارقة غير عادية. فهذه العناصر حققت تسمية الرواية باسم "عجائب بغداد" مع أنها تقول شيئا عن الهوية الوطنية. ومن مظاهر العجائب التي أوردها الروائي في روايته:

1. القامة التي بلا رأس
2. الإصبع الحي
3. قارورة الرماد

تظهر القامة التي بلا رأس في فندق الشيراتون حيث احتشد المراسلون والمراسلات لتغطية هذه العجائب التي تنفجر في بغداد بما فيهم رندة ولورا والصحفي السارد. وقصتها كما يحكي أخوها: " هذا أخي..هو أكبر مني..اختطفته القاعدة لمدة أسبوع..هو لا يستطيع أن يتكلم كما تشاهدون..رأسه مقطوع..ذبحه الزرقاوي بنفسه، وألقاه أتباعه في النهر...غير أن إرادة الله أكبر من الزرقاوي..فعاد أخي بعد أن سبح النهر وترك رأسه عند جماعة الزرقاوي.....عاد إلى البيت بعد أن سبح النهر..وكما تراه. تحدى سيوف الزرقاوي ولم يمت ويحب الحياة فلماذا

يموت؟!".[307] سمى الكاتب الزرقاوي وذلك ليتجلى أن قاتل الهويات ولو كان رئيسهم لقد فشلوا في هدفهم. فإحياء الكاتب جثة مقطوعة الرأس تدل على أن العراقي الأصيل حتما سيفشل أمامه الظلمة وأن العراقيين يناضلون حتى بعد الموت لأجل الهوية فقتلهم وإبادتهم لا يزيد إلا إحيائهم وإشراقهم بالحمية الوطنية كرة ثانية غالبة من الحالة الأولى. والأمر الآخر الملحوظ هنا هو أن الكاتب لم يجعل لهذه الشخصية الرأس والحال أن الرأس هو مقر رفع الصوت باللسان، دلالة على أن العراقي لا يحتاج للأعضاء كي يقاوم بل مقاومته تتكون من روحه بل من هويته الوطنية العريقة في ذاته وهي لا تنحصر على الأعضاء ولا تعتمد على الأعضاء فحسب.

ثم صعد الكاتب إلى درجة قصوى من القامة التي بلا رأس وذلك بخلق شخصية الإصبع الحي المسمى "أخي الإصبع". وفي انتصاب الإصبع في بعض الأحيان إلى السماء دلالة واضحة على إشارة حادة ونذير على الظلمة والطائفيين وجلادي الأبرياء. الإصبع هي الباقية بعد حرق جميع الجثة. أما الجزء الباقي أي الإصبع هي كافية في ردع العنف وهي تحمل في طياتها مبادئ الكفاح والمقاومة لأجل الهوية الوطنية. والإصبع تتلذذ بالهوية في قرية الأستاذ العشوائية.

يأخذ الكاتب بعد ذلك المأخذ الأبلغ والفانتازية العظمى من الإصبع أو الجزء الصغير من العضو وذلك بجعل الرماد لفتاة محترقة المحتفظة في قارورة زجاجية ذات حياة. وهي تتحرك وتعلو وترسم في حائط الزجاجة وتدل بعض الإشارات وأبوها يترجم لغتها. وفي خلق هذا المشهد أيضا دلالة على أن الهوية الوطنية ومحاولة الضحايا لإثباتها لا تقف بحرق البعض أو

307-المصدر السابق، ص-44، 45.

إبادة الجسد إبادة كلية بل تتصاعد حميتها و تتقوى أكثر فأكثر. وفي هذه الإيحاءات دلالة أيضا على آمال العراقيين لتحقيق الهوية الوطنية في فجر مشرق.

أمثلة الإعراض عن الهوية الوطنية

لقد أتى الكاتب في روايته بأمثلة الإعراض عن الهوية الوطنية التي يحاول لأجلها السارد وأستاذ القرية والقرية البوذية وغيرهم. تلاحظ هذه الأمثلة في شخصية الوالد الجوال وأشرف وخميس الأسود.

والد السارد هو تاجر بحار مزواج يحب الأفلام الهندية يعيش بالرفاهية مع الأخدان في مختلف السواحل العالمية بدبي ولا يعرف السارد عن أمه. وهذه الشخصية غادر العراق منذ ولادة الصحفي البطل ولا يشعر بأي انتماء للعراق أو البلدان الأخرى. يحذر ولده عودته إلى العراق مرات وأصر عليه الرجوع بعد وصوله إليها. يعبر السارد نصف كراهية ضد والده لجعله غير منتم إلى أي بلد وذلك يفهم من النصوص التالية في الرواية:

- "الفاصلة عميقة بيني وبينه ولاحقا سأشرح لها حكاية بحار وتاجر تشاجر مع وطنه وتاه في بطون البحار سنوات طويلة حتى أنجبني على ساحل غريب وعمدني بمياهه وقال لي هذا وطنك، فتشاكلت السواحل المتشابهة علي وصارت الأوطان لي ماء يجري في عروقي".[308]

- "وفيهما قال لي إن أباك سندباد لا وطن له فلا تكن على شاكلته...في قبرص على ظهر سفينة قادمة من بيروت التقاه مخمورا تحيط به صبيتان فاتنتان قال عنهما بوحمد

308-المصدر السابق، ص-3.

أنهما حوريتان، وفي الصين على مقاعد رجال الأعمال في طائرة "الاتحاد" الإماراتية كأي تاجر محترم التقاه ثانية".[309]

- "تعددت أمهاتي لأب مزواج ومطلق ومسافر. تعددت أمهاتي الهنديات والفلبينيات والمغربيات، فكنت أبتعد عن فساد الأمومة المكرر الذي أراه أمامي. هذا الأب الذي رسم لي تلك الصورة القبيحة هو من جعلني لا أرى الأم إلا بتلك الصور المتداخلة والانتماءات المختلفة والشهوات الفاسدة".[310]

- "وبحار تاجر جوال اسمه أبي أكرمني برسالة إيميلية يدعوني فيها للرجوع عن وطن لم يعد لنا فيه شيئ "افتقدك،عد"".[311]

- "البحار العتيق لديه الوقت الفائض ليكتب لي بالعودة، فالمدن المحترقة لا تصلح للسكن والعيش، وحذار أن تجلب معك شبهة الوطن المحتل..هذا أبي الذي خالف كل قوانين الجاذبية وظل محلقا في السماء، يعبر البحار والأنهار والمحيطات من دون أن يكل أو يتعب، ولعلني ورثت منه هذه العادة ولكن!".[312]

- "ضحك أبي مرة حينما عدت من قنصليتنا في دبي أحمل الجديد. هزأ بي..مبروك يا ابني..أرني توقيع هوشيار زيباري..دعني أرى توقيعا كرديا على جواز عربي...هههههههه

309-المصدر السابق، ص-10.

310-المصدر السابق، ص-19.

311-المصدر السابق، ص-27.

312-المصدر السابق، ص-48.

ضحك بطريقته المجنونة عندما يستخف بالأشياء وهو يرفع الجواز بيده كأنه يمسك طائرا نجسا لم يره جواز الاحتلال من قبل.."[313]

خميس الأسود شخصية عراقية الأصل تعمل لصالح الجريدة الكويتية. وهذه الشخصية لا تشعر وتحن بالهوية الوطنية التي تفقدها الشعوب العراقية لأنه كان يجري وراء منافعه بتغطية الوفيات والانفجارات وأحداث الدماء وإرسال صور الدماء للصغار والكبار. أي لم ير من الحروب الطائفية إلا الدم للمواطنين. فلو كان له أية شعورية بالهوية الوطنية لرق قلبه ولم يعمل بهذه التغطية الجنونية. يكره السارد هذه الشخصية كل الكراهية لبشاعة صنائعه في وظيفة الصحافة.

"أشرف" شخصية شاذ وهو أيضا لا يعبأ بالهوية الوطنية التي هي في الخطر بل يجري وراء منافعه وهو شاذ وله صداقة حميمية مع الرقيب الوسيم الأمريكي مايكل. يظهر من صنائعه و دوره في القصة أنه تناسى وطنه ولا يريد أي انتماء للهوية الوطنية بل لا يرى من العراق الدموية بالحروب إلا منافعه البدنية والمالية.

313-المصدر السابق، ص-166.

الخاتمة ونتائج البحث

خلاصة البحث

تناولت هذه الأطروحة دراسة وتحليل الرواية العراقية في مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، مع التركيز على روايتين رئيسيتين تمثلان حقبة ما بعد الاحتلال بشكل عميق، هما"الحفيدة الأميركية" لإنعام كجه جي و"عجائب بغداد" لوارد بدر السالم. وهدفت الدراسة إلى استكشاف كيفية تجسد الواقع العراقي الجديد في الأدب الروائي، من خلال مناقشة عدة محاور أساسية، مثل: التغيرات الاجتماعية والسياسية، تأثير الاحتلال على هوية الفرد والجماعة، وتحولات الثقافة العراقية في ظل الحرب والدمار.

شهد الأدب العراقي بعد الاحتلال تحولات كبيرة في أسلوبه ومحتواه، حيث أصبح الأدباء يسعون إلى توثيق تجاربهم الشخصية والجماعية في مواجهة الفوضى والانقسامات التي اجتاحت العراق بعد عام 2003. لم تقتصر الرواية العراقية في هذه المرحلة على تناول موضوعات الحروب التقليدية أو صراع الهوية فقط، بل توسع نطاقها ليشمل قضايا أكثر تعقيدًا مثل الانهيار الاجتماعي، الأزمات الاقتصادية، والتحديات الثقافية التي خلفها الاحتلال.

رواية "الحفيدة الأميركية "تقدم رؤية معقدة للعلاقات العراقية-الأمريكية، حيث تطرح قضية الهوية العراقية والتحديات التي يواجهها العراقيون في محاولاتهم للتأقلم مع عالم ما بعد الاحتلال. من خلال شخصية زينة، الحفيدة الأميركية التي تحاول لاكتشاف جذورها العراقية،

تتقاطع الرواية بين هويتين متناقضتين: الهوية الأمريكية التي نشأت عليها، والهوية العراقية التي يسعى جدتها لاستعادتها. تتناول الرواية موضوعات مثل الاغتراب، التكيف، والبحث عن الذات في ظل عالم مضطرب. كما تكشف عن التوترات بين الذاكرة الشخصية والجماعية للعراق، وتستعرض تأثيرات الاحتلال على الأجيال المختلفة.

رواية "عجائب بغداد "تقدم رؤية للأحداث التي مر بها العراق بعد الاحتلال الأمريكي، مركّزة على بغداد كمدينة ذات تاريخ عريق ومتعدد الثقافات. تعكس الرواية تأثير الاحتلال على الحياة اليومية للبغداديين، مستعرضة العلاقات الإنسانية في ظل الفوضى والدمار. بأسلوب سردي يطغى عليه الحزن والألم، يعكس الكاتب الانهيار الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي أصاب المدينة، مع إبقاء بصيص من الأمل وسط المعاناة. تعد الرواية محاولة لتوثيق وتحليل الحياة اليومية في بغداد بعد الاحتلال، كما تطرح تساؤلات عميقة حول مستقبل العراق الثقافي والتاريخي.

نتائج البحث

بعد إجراء هذه الدراسة توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

- تطورت الرواية العراقية في أربع محطات بارزة، الأولى منها: مرحلة التأسيس التي حدثت مع ظهور العراق المعاصر كدولة مستقلة، والمحطة الثانية اتسمت بالصراع الآيديولوجي الذي كان ينهل من طروحات عالمية وعربية، والثالثة مرحلة الحرب والحصار في ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته والرابعة مرحلة الاحتلال الأميركي

للعراق عام 2003 وتداعياته والتي تميزت بزحم غيرمسبوق في عدد الإصدارات وعدد الروائيين.

- تميزت التجربة الروائية العراقية عن نظيراتها في العالم العربي بتأثرها بالتطورات السياسية والاجتماعية السريعة التي شهدها العراق منذ تأسيس الدولة عام 1921. كما أدت هجرة بعض الكتاب إلى الخارج في السبعينيات بسبب هذه التطورات، إلى ظهور حركة روائية في المنفى تركزت على قضايا الاغتراب والحنين والصراعات الحياتية والوطنية.

- الرواية التي كتبت بديار الغربة البعيدة عن العراق كانت أكثر تركيزا حول هموم الشعب واضطراباته لما تمتع به الكتاب من الحرية التي لم تتوفر للكتاب الذين اختاروا البقاء في داخل الوطن تحت النظام الدكتاتوري.

- تشكل الهجرة تهديدا كبيرا للهوية؛ لأنه يؤدي إلى ازدواجية فيها، حيث تختلط الهوية الأصلية بالهويات الفرعية، مما يسبب ضياع الحدود وتضارب الأهداف وغياب الملامح المميزة.

- الأقلام الروائية النسوية العراقية قد احتلت منزلة طيبة بالساحة الأدبية العربية. الكتاب العراقيون الذين عاشوا مشاهد الحروب المتلاحقة قد عالجوا الأدب وسيلة للتعامل مع المصائب وتداعيات الحروب. ولعبت الحرب في السنوات الأخيرة دورا مهيمنا وتركت بصمتها على الرواية العراقية عامة والنسوية خاصة.

- إن الرواية العراقية في المنفى صرحت عن عذاب العراقي وخوفه وهلعه ومعاناته وتناولت من خلالها السير الذاتية للكتاب تجربة الاعتقال والحرب. وتعتبر بأنها سجل أدبي حي لتاريخ العراق الحديث ومدون للأحداث العامة وتداعياتها.

- قامت الروايات العراقية ما بعد الاحتلال بتسجيل الأحداث والمتغيرات التي طرأت على الواقع العراقي وتوثيق مآثر الاحتلال. كما رسمت الظروف المأساوية التي تسببت من فقدان الأمن الاجتماعي والسياسي وغياب النظام الديمقراطي وضياع الاستقرار الوطني.

- تمظهرت الهوية في الرواية العراقية في بيان مشاكل الهجرة إلى المنافي ومظاهر الحصار داخل الوطن وتداعيات الظروف السياسية والاجتماعية وغيرها في تهديد الوجود الهوياتي

- إنعام كجه جي تعبر خلال رواياتها عن المشاكل الاجتماعية العراقية والظروف المأزومة المأساوية.

- "الحفيدة الأميركية" هي رواية جسدت خصائص الكتابة النسوية بإسناد البطولة للمرأة وكثرة الأدوار البطولية النسائية.

- تتميز الحفيدة الأمريكية بعدد من الخصائص الفنية من حيث أنها تشير مبكرة إلى المأساة منذ الصفحات الأولى، مما يسهم في جذب القارئ إلى عالم من الحزن والتشويق

وأنها تختار الجمل التعبيرية بعناية فائقة ودقة ملحوظة كما أنها توضح في البناء التعبيري الذي يخلو من أي غموض.

- تمزج الحفيدة الأمريكية بين عمق الطرح الفكري والثراء الفني، وتُبرز قضايا إنسانية واجتماعية معقدة، من خلال تحليل بنيتها السردية، وأساليبها اللغوية، والرموز التي تتضمن عليها، مما يجعلها أداة فعّالة لفهم التوترات الثقافية والهوياتية.

- يعتمد بناء رواية الحفيدة الأمريكية على التنقل بين الزمان والمكان بأسلوب غير تقليدي، مما يعمّق تأثير الأحداث ويمنح القارئ تجربة متنوعة تتنقل بين مشاعر الألم والأمل، والصراع والمصالحة.

- الصراع الداخلي الذي تعيشه زينة بين هويتها الأميركية التي نشأت عليها، وهويتها العراقية التي تسعى لاستعادتها، يمثل المحور الرئيسي للشخصية.

- تتناول الحفيدة الأمريكية قضايا معقدة تتعلق بالفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية من خلال رحلة بطلتها في عالم يتقاطع بين ثقافتين متباينتين: واحدة تمثل جذورها العراقية والأخرى تعكس واقعها الأميركي. عبر سردها الدقيق والمعقد، تطرح الرواية أبعاد الهوية المتشظية والصراعات النفسية والثقافية التي تخوضها الشخصية الرئيسية في مواجهة واقع مليء بالفوضى والحروب والتناقضات.

- أظهرت الحفيدة الأمريكية بوضوح كيف تتأثر الهوية الفردية والجماعية بالتغيرات العميقة التي تمر بها المجتمعات، خاصة تلك التي تعاني من أزمات سياسية

واجتماعية. فقد تجسدت الفوضى الاجتماعية في العمل كمرآة لتوترات الهوية وتشظّيها، حيث يواجه الأفراد مأزقًا مزدوجًا؛ السعي وراء الانتماء والاستقرار في بيئة غير مستقرة، ومحاولة إيجاد توازن بين القيم والمعتقدات المتناقضة.

- وارد بدر السالم يعبر خلال رواياته عن المشاكل الاجتماعية والطائفية والظروف الكئيبة العراقية. وله تأليف في أدب الرحلة: كتابه عن رحلته التي قام بها إلى الهند بعنوان " الهندوس يطرقون باب السماء".

- في رواية "عجائب بغداد"، استخدم الكاتب الأحداث والشخصيات لتقديم صورة معقدة وعميقة عن واقع اجتماعي مضطرب، يعكس تأثير الظروف السياسية والثقافية المتغيرة، مما أدى إلى نشوء أزمات هوية متشابكة وعميقة. واحتوت على صور فانتازية عديدة ومشاهد خارقة غير عادية. فهذه العناصر حققت تسمية الرواية باسم عجائب بغداد.

- رسمت عجائب بغداد مدينة بغداد كمدينة تكافح الفوضى والحرب، حيث يظهر تأثير الصراعات والمآسي ليس فقط في بنية المجتمع، بل في أعماق أفرادها أيضًا. هذا يعكس المعاناة المشتركة، وأحيانًا العزلة والانقسامات التي زادت من تعقيد أعباء الهوية.

- لم تكن عجائب بغداد مجرد سرد لأحداث الفوضى، بل كانت توثيقًا أدبيًا يعكس الأبعاد النفسية والفلسفية لتأثر الأفراد والجماعات بالعنف والتهجير والتغيرات

الاجتماعية العميقة. هذا أضاف عمقا أكبر لفهم أزمات الهوية الوطنية والشخصية. تناولت الرواية مظاهر التمزق والانفصال، وكشفت عن محاولات للتصالح مع الذات في وسط بحر من الاضطرابات.

- ترسم عجائب بغداد مظاهر طمس الهوية في الواقع العراقي وردود الفعل من الضحايا تجاهها عبر شخصيات وأحداث وتقنيات عجائبية.

- بنى وارد بدر السالم شخصيات ركائز في الرواية وحفلها بأوصافها وأيديولجياتها وتطواراتها تدريجيا حسب الرواية مع أنه لم يسمها. وعدم تسمية الشخصيات و إبقائهم مجهولين تدل على أزمة الهوية التي تكابدها. لأن الروائي يرى أن إشكالية الهوية تكمن في عدم تسميتهم، وأنه ليس لأسمائهم أي أهمية في الجو العراقي الذي تمحى فيه الهوية العراقية. وأنهم نماذج مشابهة لعديد من العراقيين الذين كابدوا طمس الهوية، وأن الاسم لشخص إنما يفيد في وطن يهتم بالهوية الوطنية ولا يفيد في الوطن المتشظي بالحروب الطائفية.

نتائج البحث من حيث المقارنة بين الرو ايتين

بعدما قارن الباحث بين الروايتين توصل إلى التالية:

- تعتمد الحفيدة الأميركية على أسلوب سردي بسيط وواقعي يركز على الشخصيات الفردية وصراعاتها الداخلية، بينما أن عجائب بغداد تستخدم أسلوبا سرديا أكثر شعرية ورمزية، مع اهتمام خاص بمشاهد المدينة وظروف سكانها. فتختلف عجائب

بغداد عن الحفيدة الأميركية في أن دراما السرد فيها يتتابع بشكل متصاعد، غارقة في تفاصيل اليوميات لتعرض مشاهد تتجاوز حدود العجائب المرتبطة بسريالية الواقع الملطخ بالبشاعة. الرواية لا تقتصر على هذه العجائب الواقعية، بل تمتد لتستعرض عجائب خيالية تتحدى أقصى التصورات والاستيهامات، وصولًا إلى عوالم تتجاوز المنطق واللا معقول.

- عادت البطلة في الحفيدة الأميركية إلى وطنها الأصلي للعب دورها كمترجمة في جيش وطنها الحالي الذي تعيش فيه. في حين أن البطل في عجائب بغداد عاد إلى وطنه الأصلي كمراسل لمجلة وطنه الحالي الذي يعيش فيه. فتماثل الروايتان حيث أن الشخصيتين الرئيسيتين عادتا إلى وطنهما الأصلي للعب دورهما.

- جعلت الهجرة البطلة في الحفيدة الأميركية تندمج في المجتمع الأمريكي اندماجا وتصير "المواطن العالمي" وتوقن بأن الإنسان مع الاحتفاظ بالهوية يستطيع التعايش والتفاعل على مستوى عالمي مع أي شخص مهما اختلفت ثقافته وموطنه. بينما أن أن الهجرة لم تؤثر في شخصية البطل في عجائب بغداد ولم تجعله يصير "المواطن العالمي".

- تمثلت الفوضى الاجتماعية في الحفيدة الأميركية في أحداث غياب الأمن وشيوع الفوضى والهجرة والمداهمات العسكرية والإهانة للمدنيين. بينما أن الفوضى الاجتماعية تمثلت في عجائب بغداد في أحداث الحروب الطائفية والميليشات والخطف وعدم الاستقرار السياسي والصحافة القذرة والهجرة وتهاون البشرية.

- تشكلت أزمة الهوية في الحفيدة الأميركية في الصراع الداخلي الذي تواجهها البطلة بين الهويتين، الحقيقية الأصلية والمكتسبة الجديدة كما تصورت في ضياع الهوية والانفتاح على الهوية الأخرى والتهجين الثقافي. وتنكشف ملامح أزمة الهوية في إحساس البطلة بالحزن والاستياء وشعورها بفقدان الأمان وانشطار شخصيتها.

- تمظهرت أزمة الهوية في عجائب بغداد في تقديم شخصيات مجهولة ومرحلة فقدان الهوية ومرحلة كشف الهوية. تختلف أزمة الهوية لدى بطل عجائب بغداد عن إشكالية الهوية لدى العراقيين الآخرين، حيث تكمن مشكلة السارد في طمس هويته نتيجة الهجرة أو ظروف مشابهة، بينما تكمن مشكلة الآخرين في طمس هويتهم على يد الميليشيات أو على يد جنود الاحتلال الذين لا يهتمون سوى مصالحهم. يسعى بطل عجائب بغداد لكشف هويته في وضع صعب، ويتمكن من استعادتها، ولكن في قرية عشوائية دمرتها الحروب في العراق. بينما العراقيون الآخرون، الذين طمست هويتهم، يفشلون في استعادتها ويتنازلون عن هذه المحاولة، ويتجهون نحو خيارات أخرى مثل الانقياد للموت أو الهجرة أو الخيانة بالتحالف مع الأعداء.

- تباينت الحفيدة الأميركية وعجائب بغداد في تشكل أزمة الهوية، حيث أن الحفيدة الأميركية تعاني من ازدواجية الهويتين والصراع بينهما، وأن عجائب بغداد أبرزت مهمة البحث عن الهوية.

الاقتراحات والتوصيات

هذا البحث ركز على الفوضى الاجتماعية وأزمة الهوية في الروايتين العراقيتين ما بعد الاحتلال "الحفيدة الأميركية" و"عجائب بغداد" فحسب بصفة خاصة. وثمة مجال واسع لتتبع وتصفح جميع روايات الكاتبين المذكورين وروايات غيرهما من الأدباء العراقيين، الصادرة بعد 2003 والتي تعالج إشكالية الهوية الناتجة عن التغيرات الاجتماعية الحديثة ولإجراء أبحاث جديدة على حدة بشكل مستقل حسب المحتويات والمضامين.

يوصي البحث بضرورة توسيع دراسة الشخصيات المغتربين في الرواية العراقية المعاصرة، وتحديد دور الرواية في معالجة مسألة الهوية في سياق الحروب والاحتلالات التي مرت بها المنطقة وفهم دور الشخصيات في الرواية ما بعد الاحتلال في بناء هوية وطنية جديدة.

وفي الختام يحمد الباحث الله جل وعلا على توفيقه لإتمام هذا البحث، وبنعمته تتم الصالحات.

المصادروالمراجع

المصادر- الروايات:

1. إنعام كجه جي، الحفيدة الأميركية، دار الجديد، بيروت، ط4، 2016.
2. إنعام كجه جي، سواقي القلوب، دار الجديد، ط2، 2016.
3. إنعام كجه جي، طشاري، دار الجديد ؛ بيروت ؛ط2، 2014.
4. إنعام كجه جي، النبيذة، دار الجديد، بيروت، ط2، 2018.
5. وارد بدر السالم، عجائب بغداد، دار الثقافة للنشر والتوزيع- دبي، ط1، 2012.
6. وارد بدر السالم، الحلوة، دار نينوي، دمشق، ط 1، 2017.
7. وارد بدر السالم، تجميع الأسد، مؤسسة ثائر العصامي، ط1، بغداد، 2018.
8. وارد بدر السالم، جمهورية مريم، دار المتوسط، ايطاليا، ط1، 2017.
9. وارد بدر السالم، عذراء سنجار، دار ضفاف، بيروت، ط1، 2016.

المراجع:

الكتب :

1. إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، مطابع دار الشؤون الثقافية. بغداد، 2001.

2. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، مطابع المؤسسة العربية المتحدة، صفاقس. تونس، ط1، 1986.

3. أحمد زين الدين، أصوات سردية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2017.

4. أسامة غانم، الرواية العراقية بين الذاكرة والمتخيل، الاتحاد العم للأدباء والكتاب، بغداد، 2023.

5. باسم عبد الحميد الحمودي، رحلة مع القصة العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الأردن،1980 .

6. بشير حاجم، زمن الحكي.. زمن القص. تقنية الحوار في الرواية العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2009.

7. تمثيلات الآخر في الرواية اللعربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع 2010/9/29، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2011.

8. الحبيب الدائم ربي، الكتابة والتناص في الرواية العربية، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 2004.

9. حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

10. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مطابع المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990.

11. حسين السكاف، الرواية العراقية... صورة الوجع العراقي.. ثماني سنوات في عمر الرواية العراقية 2004- 2012، الروسم للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2014.

12. حسين علام: العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010.

13. حنان محمود جميل، الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2018.

14. حيدر جمعة العابدي، الأنساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية ما بعد 2003، الفؤاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2017.

15. د. أحمد رشيد وهاب، السلطة في الرواية العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة والنشر، بغداد، ط1، 2013.

16.د. أسامة غانم، تأويلية السرد : المتخيل – التاريخ – المتلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2020.

17.د. بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1999.

18.د. حسين سرمك حسن، اللعنة المباركة- جدل المقدس والمدنّس في الأدب الروائي عند وارد بدر السالم، دار نينوى، دمشق، ط1، 2018.

19.د. دعاء عادل آل عزوز، المكونات السردية في الرواية العراقية، روايات وارد بدر السالم أنموذجاً، مؤسسة ثائر العصامي، بغداد، ط1، 2018.

20.د. سالم المعوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2018.

21.د. سعيد حميد كاظم، التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2003، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017.

22.د. صبحة أحمد علقم، تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدؤاسات والنشر، بيروت، ط1، 2006.

23.د. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(1870- 1938)، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1988.

24.د. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية.. بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.

25.د. عقيل مهدي يوسف، شخصية المثقف في الرواية العراقية الجديدة- نماذج منتخبة، دار الشؤون الثقافية العامة والنشر، بغداد، ط1، 2012.

26.د. فتحي بو خالفة، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010.

27.د. فوزية لعيوس الجابري،المركز والهامش في الرواية، عذراء سنجار أنموذجاً دار الرضوان، الأردن،ط1، 2018.

28.د. كمال ديب، موجز تأريخ العراق، دار الفارابي، بيروت، 2013.

29.د. محمد عبد القادر، جماليات الرمز والتخييل، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.

30.د. مصطفى عطية جمعة، ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة: الذات، الوطن، الهوية، وكالة الصحافة العربية، الجيزة، ط1، 2023.

31.د. نجم عبد الله كاظم ، التجربة الروائية في العراق في مرحلة الريادة والنضج، دار الشؤون الثقافية العامة والنشر، بغداد، ط2، 2009.

32.د. نجم عبد الله كاظم ، الرواية العربية المعاصرة والآخر. دراسات مقارنة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2007.

33.د. نجم عبد الله كاظم، فهرست الرواية العراقية 1919- 2014، دار الشؤون الثقافية العامة والنشر، بغداد، ط1، 2015.

34.د. نجوى الرياحي القسنطيني، في نظرية الوصف الروائي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008.

35.داود سلمان الشويلي، الجنس في الرواية العراقية، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1، 2018.

36.الرواية العربية. .. ممكنات السرد، مهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، 2004، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، ط1، 2006.

37.شجاع مسلم العاني: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة .بغداد، ط1، 1994.

38.صدوق نور الدين، رواية الذاكرة وذاكرة الرواية، دار شهر يار، البصرة، ط1، 2017.

39.صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مطابع دار المعارف . القاهرة، ط 5، 1995.

40.عبد الزهرة عمارة، الموجز في الرواية العراقية الحديثة 2000- 2017، عمارة برس للطباعة، العراق، ط1، 2017.

41.عبد الزهرة عمارة، أنطولوجيا الرواية العراقية في المهجر 1980-2016، عمارة برس للطباعة، العراق، ط1، 2017.

42.عبد الله إبراهيم: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، مطابع دار الشؤون الثقافية . بغداد، ط1، 1988

43.عبد الله إبراهيم، السرد والاعتراف والهوية، الياقوتة الحمراء للبرمجيات، الأردن، ط1، 2011.

44.فارس نايف الفائز، تمثلات الموت في الرواية العراقية 2003- 2013، دار الرافدين، بيروت، ط1، 2017.

45.فاضل ثامر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، مطبعة دار المدى .دمشق، ط1، 2004

46.ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، ط1، 2013.

47.ماجدة حمودة، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

48.محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2006.

49.محمد عبد الرؤوف عطية،التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009.

50.مصطفى ساجد الراوي: بناء الشخصية في الرواية، الرواية العراقية نموذجا، مطبعة مركز عبادي.صنعاء، ط1، 2003.

51.مصطفى عمر الكيلاني، الرواية والتأويل، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

52.ياسين النصير: الرواية والمكان، دراسة في فن الرواية العراقية، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية، بغداد، ط1، 1980.

مقالات المجلات والجرائد:

1. إيمان عبد دخيل عيسى، نشأة القصة العراقية، رسالة ماجستير، جامعة بابل،2019.

2. جعفر جمعة زبون، خطاب العولمة في الرواية العراقية 2003- 2013، رسالة دكتوراة، الجامعة المستنصرية، 2018.

3. د. أوراد محمد كاظم ومريم جبل كاظم، تحبيك التاريخ في الرواية النسائية العراقية بعد 2003، المقالة، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 24، العدد 4، جامعة بابل، 2017.

4. د. بيداء محيي الدين ميرو،الهوية الثقافية في رواية الحفيدة االأميركية للكاتبة إنعام كجه جي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، 64، 2020.

5. د. سناء الجمالي، إشكالية الانتماء في رواية"الحفيدة الأميركية"لإنعام كجه جي، رسالة جامعية، جامعة السلطان قابوس، 2019.

6. د. همام ياسين شكر، الحدث العجائبي بعده نقدا للأيديولوجيا قراءة في رواية عجائب بغداد لوارد بدر السالم، مجلة آداب الكوفة، 51، 2022.

7. د. همام ياسين شكر، الرواية العراقية واختراق المحظور.. قراءة في رواية الحلوة لوارد بدر السالم، المقالة، مجلة أسلوبيات، المجلد 3، العدد 2، 2022.

8. راما عبد الجليل راضي الأوسي، المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة 2003 - 2013، جامعة القادسية، رسالة دكتوراة، 2016.

9. سواقي القلوب- رواية أولى للعراقية إنعام كجه جي تستدعي الذاكرة وتسائل المكان – المقالة، جريدة الغد، 2021.

رسالات الدكتوراة والماجستير:

1. رشا ناصر العلي، الأبعاد الثقافية للسرديات النسوية المعاصرة في الوطن العربي 1995- 2005، رسالة دكتوراة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2009.

2. رقية العماد، النصوص المهجرية أثناء الحرب الاستعمارية الأمريكية للكاتبة إنعام كجه جي في روايتها " الحفيدة الأميركية"، المقالة، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد 1، 2023.

3. سلام إبراهيم، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، دورية "التبين"، العدد الثاني، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.

4. علاء كريم عاجل، الاختلاف في منشأ وانتماء الرواية العراقية، مجلة جامعة سومر، 24، 2020.

5. فاضل ثامر، الرواية العراقية من الريادة إلى النضج، المقالة، دوريةالمدى الثقافي، العدد 179، 18 2004.

6. قيرواني أمال، تطور الرواية السياسية النسوية في الوطن العربي، "الحفيدة الإمريكية "لإنعام كجه جي أنموذجا، رسالة جامعية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2012.

7. محمد عبد الحسين هويدي، أزمة الهوية في رواية الحفيدة الأميركية لإنعام كجه جي، رسالة جامعية، جامعة المثنى، 2018.

8. نصرة أحميد جذوع، الوطن في الرواية النسوية العراقية، رسالة جامعية، جامعة الأنبار، 2019.

9. هلن نعماوي زاده، سهاد جادري، علي سيهيار، إنعام كجه جي الصحفية والروائية العراقية : حياتها وآثارها، المقالة، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، الدوحة.

10. وجدان يعكوب محمود، المفارقات الزمنية في الرواية النسوية العراقية 2003 – 2013 رسالة جامعية، الجامعة المستنصرية، 2018.

11. وسام علي محمد ورقية ناظم، ضياع الهوية العراقية في المنفى الغربي، رسالة جامعية، جامعة كوفة، 2020.

CERTIFICATE

This is to certify that this thesis work titled **SOCIAL ANARCHY AND IDENTITY CRISIS IN THE TWO POST INVASION IRAQI NOVELS "AL HAFEEDA AL AMEERKIYYA" AND "AJAEB BAGHDAD": A STUDY** submitted to the University of Calicut, in a partial fulfilment of the requirements for the award of Doctor of Philosophy in the Arabic Language and Literature is a bonafide record of research work carried out by Mr. SIDHIQUE MP under my supervision and no part of the thesis has formed for the award of any degree earlier.

Dr. SAINUDDEEN PT

Associate Professor, Department of Arabic,University of Calicut

& Research Supervisor, Research Department of Arabic

TM Govt. College, Tirur

Date:

DECLARATION

I SIDHIQUE MP hereby declare that the work presented in the thesis entitled **SOCIAL ANARCHY AND IDENTITY CRISIS IN THE TWO POST INVASION IRAQI NOVELS "AL HAFEEDA AL AMEERKIYYA" AND "AJAEB BAGHDAD": A STUDY** is based on the original work done by me under the guidance of Dr. SAINUDDEEN PT, and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate software at C.H.M.K. Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from Al generated contents.

SIDHIQUE MP

Place: TMG College Tirur

Date:

SOCIAL ANARCHY AND IDENTITY CRISIS IN THE TWO POST INVASION IRAQI NOVELS "AL HAFEEDA AL AMEERKIYYA" AND "AJAEB BAGHDAD": A STUDY

(Revised Copy)

Thesis submitted to the University of Calicut for the award of the Degree of

DOCTOR OF PHILOSOOPHY

IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

By

SIDHIQUE MP

Under the Supervision of

Dr.SAINUDDEEN PT

Associate Professor, Department of Arabic, University of Calicut

Research Department of Arabic, Thunchan Memorial Government College, Tirur

UNIVERSITY OF CALICUT

KERALA-INDIA

2025